مكائد الشيطان

بحث جامع، في:

«حقيقة الشيطان - وخطواته في إضلال العباد -
ومداخله - ومكائده - وأسباب الاعتصام منه»

تأليف

محمد عيسى

الناشر
مكتبة الإيمان بالمنصورة
٠٥٠/٢٢٩٨٨٠٥٨

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى ، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد ...

فهذا كتاب عظيم ، وسِفر كريم ، في بيان حقيقة الشيطان ، ومكائده، وخطواته، في إضلال العباد ، ثم أسباب الاعتصام منه ، كتبته تذكرة لنفسي، وعملاً صالحًا أدخره ليوم رمسي[1] ، نصيحة لله ولرسوله ، ولعامة المسلمين وخاصتهم ، في التحذير من هذا العدو اللدود ، والشيطان المريد في زمان سقط فيه أكثر الخلق في شباكه ، وحبائله، ومصايده ، وفخوخه.

وهو كتاب لا غنى لأحد من المخلوقين عنه، فهو يناسب جميع طبقات الناس ، عالمهم وجاهلهم، ذكورهم وإناثهم ، صغيرهم وكبيرهم، حاكمهم ومحكومهم ، إذ كل بني آدم مستهدف من قِبل هذا العدو المبين.

فالله تعالى أسأل أن أكون وفقت فيما كتبت ، وأحسنت فيما جمعت، وأصبت فيما صنعت ، ثم إن المعصوم من عصمه الله ، فرحم الله امرأ وجد خطأ فأصلحه ، واتصل بمؤلفه لينبهه عليه ، فما قصد كاتبه بذلك إلا وجه

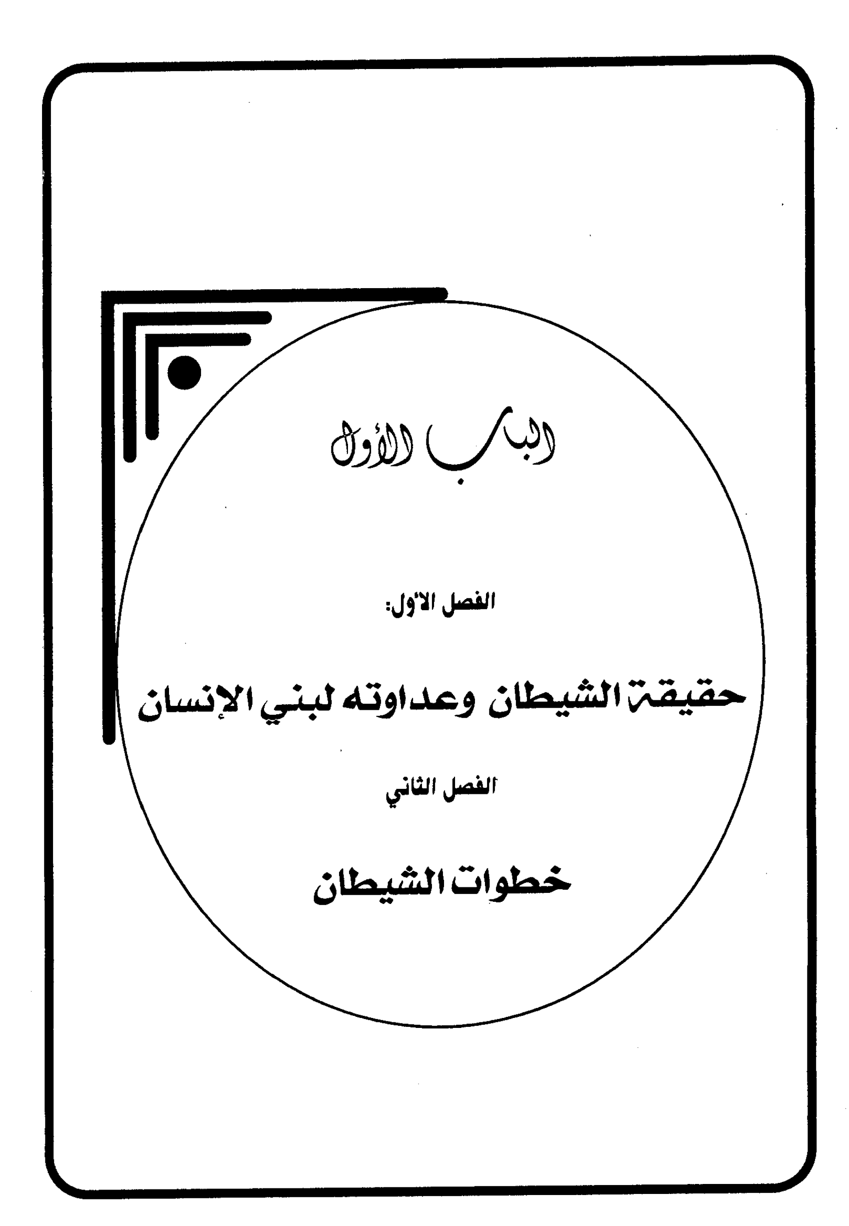
(١) الرمس : القبر.

الله تعالــى ، والدار الآخرة ، وعلــى الله تعالى حســن القبول ، ومــنه أرجو الإثابة ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبه

محمد أحمد عيسى

مصر . الزقازيق . الشبانات



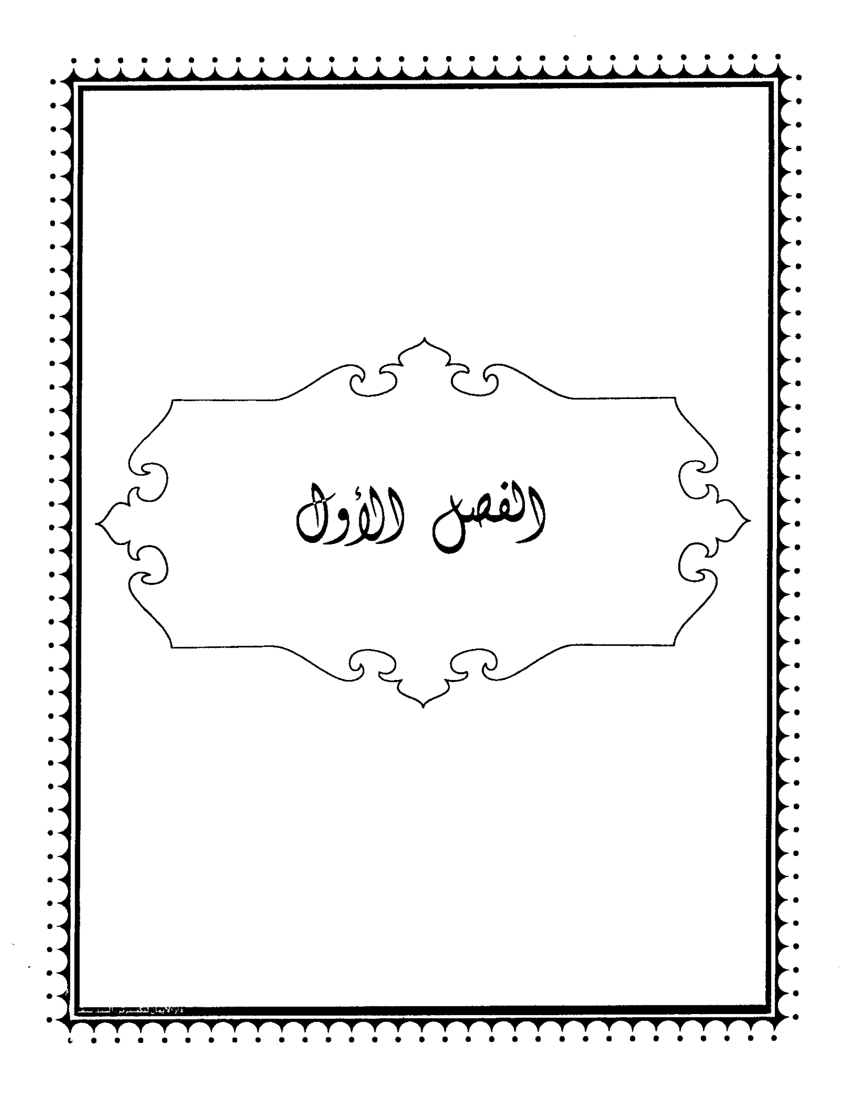
الباب الأول

الفصل الأول:

حقيقة الشيطان وعداوته لبني الإنسان

الفصل الثاني

خطوات الشيطان



الفصل الأول

المبحث الأول

حقيقة الشيطان

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : الشيطان في كلام العرب :

كل متمرد من الجن والإنس والدواب ، وكل شيء . وكذلك قال ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن.

ثم ساق بسنده عن أسلم العدوي ، أن عمر ركب برذونًا [١] فجعل ـ البرذون ـ يتبختر به ، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترًا فنزل عنه، وقال: ما حملتموني إلا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي.

قال : وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانًا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه ، وأفعاله وبعده عن الخير[٢].

قلت : ويدل على أن من الإنس شياطين : القرآن والسنة:

من ذلك الآية المتقدمة ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾.

قال بعض العلماء: إنما قدم شياطين الإنس لشدة خطرهم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾ [البقرة: ١٤].

والمقصود بـ «شياطينهم» هنا : إخوانهم ، ومن على شاكلتهم من

(١) في «لسان العرب» : البرذون : الدابة.

(٢) انظر : «جامع البيان» (١/ ٤٩).

اليهود - والآية في وصف المنافقين.

ويستدل - أيضًا - على هذا بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: ١٢١] .

والآية نزلت بصدد احتجاج اليهود - لعنهم الله - على المسلمين في تحليل الميتة حيث قال اليهود للمسلمين : الشاة يقتلها الله - يعني تموت - لا تأكلونها ، وما تقتلونه بأيديكم - أي تذبحونه - تأكلونه ، فأخبر الله تعالى أن المسلمين لو أطاعوا هؤلاء وأشباههم في تحريم الحلال ، وتحليل الحرام كان هذا شركًا بالله تعالى.

ومنه يُعلم أن المشرع للخلق جميعًا هو الله تعالى، وليس من حق أية سلطة أيًا كانت أن تشرع من دون الله. وطاعة أولئك في معصية الله بغير عذر تدخل العبد في الشرك الذي يسميه العلماء «شرك الطاعة».

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والشيطان لغة: واحد الشياطين على جمع التكسير.

وقيل : هو من شطن ، أي : بعد عن الخير والهدى ، وبعد عن الله بكفره وذنبه.

وقيل : هو من شاط يشيط ، إذا احترق ، واشتاط الرجل إذا احتد غضبًا.

والشيطان : يقال له أيضًا : إبليس ، وهو من الجن ، كما قال تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

ونحن مأمورون شرعًا بالإيمان بوجود الجن، ذلك العالم الغيبي، وإن الإيمان بالغيب ـ وهو كل ما غاب عن الإنسان مما أخبر به الله ورسوله ـ من أخص خصائص المؤمنين.

قال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)﴾ [البقرة: ١ ـ ٣].

والأدلة على وجود الجن ـ ومنهم الشياطين ـ من القرآن والسنة كثيرة مشهورة.

وقد ذكر لفظ الجن في القرآن (٢٢) مرة، ولفظ الشياطين نحو (٨٧) من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وهناك سورة في القرآن هي سورة الجن.

ومن السنة قوله ﷺ: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرآت عليهم القرآن**»[١].

وقوله ﷺ لأبي سعيد الخدري: «**إني أراك تحب الغنم، والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»[٢].

ومنها هذه الأحاديث التي سترد معنا في هذا الكتاب في شأن الجن

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٠) نووي من حديث ابن مسعود.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٤٣) فتح، ومالك (١/ ٦٨)، والنسائي (٢/ ٢)، وابن ماجه (١/ ٣٩).

والشياطين ، وهذه الجن خلقت من النار ، قال تعالى : ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، قال ابن عباس : أي من خالص النار ، أو قال: من طرف لهبها.

وقال تعالى : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر : ٢٧]. وقال تعالى - حاكيًا عن إبليس - : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : «**خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[1].

والجن وإن كانت مخلوقة من النار ، فهي ستعذب بالنار كذلك. فقد قيل: إن أصل خلقها من النار ، وهي الآن ليست نارًا ، كما أن خلق الإنسان من طين ، وهو الآن ليس طينًا ، والأحسن أن يقال: إن الله على كل شيء قدير.

شكل الجن والشياطين:

اعلم - رحمك الله - أن الجن والشياطين يتشكلون ويتصورون في صور مختلفة ، وقد دلت على ذلك آثار صحيحة منها:

١ - ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال: إني محتاج ، وعليَّ عيال ، ولي حاجة شدة، قال: فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «**يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته ، فخليت سبيله. قال: «**أما إنه كذبك سيعود**»فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت:

---

(١) رواه مسلم (١٨/ ١٢٣ - نووي).

لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج ، وعليَّ عيال لا أعود، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك؟**» قلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «**أما إنه كذبك ، وسيعود**» فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ، ثم تعود ، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ حتى تختم الآية، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله، قال: «**ما هي؟**» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟**» قلت: لا ، قال: «**ذاك شيطان**»[1].

فتأمل - رحمك الله - ففي هذا الحديث عدة فوائد ، أذكر لك عشراً منها:

١ - أن الشياطين يتشكلون ، فقد جاء في صورة فقير.

٢ - أن الشيطان لص سارق ؛ حتى إنه لا يتحرج من السرقة من صدقة الفطر.

٣ - أنه كذوب ، فقد كذب على أبي هريرة مراراً قائلاً: إنه فقير ذو حاجة وعيال.

(١) ذكره البخاري (٤/ ٤٨٧) ، (٦/ ٣٣٥) ، ٩/ ٥٥ فتح) معلقًا مجزومًا به وهو صحيح.

٤ ـ دخول الحيلة على أبي هريرة ﷺ ورحمته له مراراً مع إخبار النبي ﷺ له أن هذا الأسير كاذب فالمؤمن غِرٌّ كريم.

٥ ـ يقين أبي هريرة في صدق النبي ﷺ كما في قوله: «فعرفت أنه سيعود ؛ لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود فرصدته».

٦ ـ أن الشيطان قد يتكلم بالقرآن فهو يحفظه ويتكلم به.

٧ ـ أن الشيطان قد يصدق أحيانًا.

٨ ـ جواز أخذ الحكمة والعلم من غير المؤمنين، والانتفاع بما يخبرون به من الحق كما انتفع أبو هريرة وأقره رسول الله ﷺ على ذلك.

٩ ـ عظم آية الكرسي ، وأنها من أسباب الاعتصام من الشيطان.

١٠ ـ حرص الصحابة ﷺ على الخير كما في الحديث : «وكانوا أحرص شيء على الخير».

ومما يدل على تشكل الجن والشياطين كذلك:

ما رواه النسائي عن أُبي بن كعب ﷺ أنه كان له جرن فيه تمر ، وأنه كان يتعاهده فوجده ينقص ، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فقلت له: أجني أم إنسي؟ قال: بل جني، وفيه أنه قال له: بلغنا أنك تحب الصدقة ، وأحببنا أن نصيب من طعامك ، قال: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية ، آية الكرسي، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**صدق الخبيث**»[1].

وغير ذلك من الأحاديث التي ستأتي معنا في هذا الكتاب إن شاء الله.

من ذلك قوله ﷺ : «**الحيات مسخ الجن ، كما مسخت القردة**

---

(١) **صحيح.**

رواه النسائي ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ، وانظر «الفتح».

والخنازير من بني إسرائيل»[1].

وعن أبي هـريرة رضي الله عنه أنـه ﷺ قـال : «**علىٰ ذروة كـل بعير شـيطان فامتهنوهن بالركوب**»[2].

وعنه ﷺ قال : «**لولا أن الكلاب أمة ؛ لأمرت بقتلها ، ولكن خفت أن أبيد أمة فاقتلوا منها كل أسود بهيم ، فإنه جنها ، أو من جنها**»[3].

وقـال ﷺ : «**إذا قام أحدكم يصلي ، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل ، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود**». قلت : يـا أبا ذر! ما بال الكلـب الأسود من الكلب الأحمر، من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: «**الكلب الأسود شيطان**»[4].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «الكلب الأسود شيطان الكلاب، والحية تتصور بصورته كثيرًا وكذلك بـصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوىٰ الشيطانية من غيره ، وفيه قوة الحرارة»[5].

ومشهور في السيرة: تصور الشيطان ـ لعنه الله ـ بصورة شيخ نجدي ، واجتمع مع الكفار في دار الندوة للـتشاور في أمر النبي ﷺ ، وهو الذي أيد

---

(١) رواه ابن حبان ، والطبراني في «الكبير». وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٨٢٤) (٤/٤٣٩).

(٢) رواه الحاكم ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤/٣٨).

(٣) رواه مسلم في «المساقاة» برقم (٤٧).

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٦) نووي والنسائي (٢/٦٤) ، وابن ماجه (١/٣٠٦) .

(٥) رسالة الجن لشيخ الإسلام (صـ ٤١) ، وانظر وقاية الإنسان من الجن والشيطان صـ ٢٣ للشيخ الفاضل وحيد عبدالسلام بالي ، وقد استفدت منه كثيرًا في هذا البحث.

أبا جهل ـ لعنه الله ـ على رأيه في قتل النبي ﷺ.

كما تصور أيضًا ـ لعنه الله ـ يوم بدر في صورة سراقة بن مالك سيد بني مدلج ، وجاء مع المشركين بجنده وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم، فلما رأى عدو الله جبريل عليه السلام مقبلاً عليه، وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبرًا وشيعته ، فقال الرجل: يا سراقة ألست تزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب.

فإن قيل : كيف يُرى الشيطان ، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾؟ [الأعراف: ٢٧].

قال الحافظ ابن حجر:

هذا مخصوص بما إذا كان على صورته التي خُلق عليها .

وروي عن الشافعي قوله : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبيًا.

قال ابن حجر: وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها ، وأما من ادعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوانات فلا يقدح فيه ، وقد تواردت الأخبار بتصورهم في الصور.

المبحث الثاني

عداوة الشيطان لبني الإنسان

لا أخطر على المؤمن - لاسيما الداعية - من الشيطان الرجيم، فإن المؤمن يبقى بخير ما كانت الشدائد الخارجية : «اجتماعية وسياسية ، واقتصادية» ما لم يتخاذل أو يضعف أمام شيطانه.

وجاء في الأثر عن أنس : «المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه»[1].

والشيطان هو العدو الأكبر للمؤمنين ، لا يفتأ يمكر ويوسوس ، ويستدرج ما بقيت الحياة ، وبقي الشيطان ، فإنه قال - كما حكى الله عنه - : **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾** [ص : ٨٢ - ٨٥].

والمؤمنون - والدعاة إلى الإسلام خصوصًا - يجب أن يكونوا أشد احتراسًا من الشيطان ، منهم من عدوهم ؛ لأنه أعدى الأعداء ، وأمكر الماكرين.

ولقد نصح الله لنا وحذرنا من عداوته في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

قال تعالى : **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾** [فاطر : ٦]، ومع هذا فقد اتخذه أكثر الناس صديقًا لهم ، فأطاعوه في معصية الله، وقد أخبر الرحمن جلَّ جلاله عن خسران من اتخذ

(١) **ضعيف.**

رواه أبو بكر بن لال في «مسنده» ، عن أنس مرفوضًا ، وضعفه العراقي في «تخريج الإحياء» ، ولكن معناه صحيح ، ولعله موقوف ، والله أعلم.

الشيطان وليًا فأطاعه في معصية الله فقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

فالعجب ممن عرف ربه ثم عصاه، وعرف الشيطان فأطاعه، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وخطورة ما في الشيطان وتلبيسه أنه إن أغلق دونه منفذ أو باب جاء من ثان، وإن حبس من جانب وسوس من آخر، وصدق رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**». [متفق عليه][(١)].

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد! أينام الشيطان؟ فتبسم ضاحكًا، وقال: لو نام لاسترحنا.

والشيطان هو حامل لواء الضلال في العالم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)﴾ [يس: ٦٠ - ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ

(١) أما زيادة «فضيقوا مجاريه بالجوع» لا أصل له. انظر تحقيق رسالة الصيام لابن تيمية - للألباني صـ ٧٥ - ٧٦.

﴿الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (120)﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١٢٠].

ومن خطورة هذا العدو أنه قعد لابن آدم بطرقه كلها.

فعن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه كلها، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر، وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّوَل ـ الحبل المربوط بالوتد ـ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهاد النفس والمال فقال: تقاتل فتقتل فتنكح المرأة، ويقسم المال؟ قال: فعصاه فجاهد، فمن جاهد في سبيل الله فقتل فله الجنة، فمات فله الجنة، فوقصته دابته فله الجنة**»[1].

فالشيطان بالرصد للإنسان على طريق كل خير يصده عنه.

حتى قال مجاهد ـ رحمه الله ـ ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز معهم إبليس مثل عدتهم «عددهم».

وقد أخبر تعالى أن الشيطان ملازم للطريق المستقيم ليصد الناس عنه. ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

فتأمل سوء الأدب في مخاطبة الرب جلَّ شأنه، ثم تأمل قوله: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ما قال: «على صراطك»، بل قال: ﴿صِرَاطَكَ﴾، أي أنه يلازمه ملازمة دائمة.

---

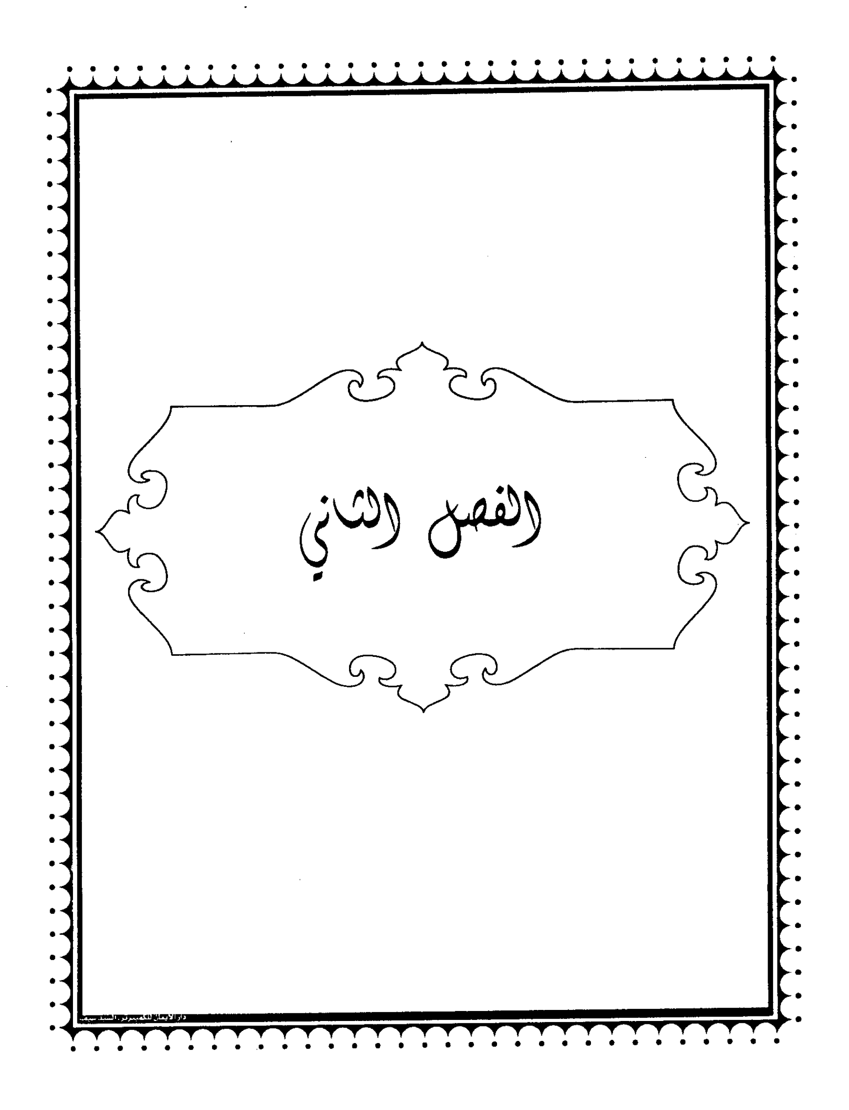
(١) **صحيح.**
رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٥٢).

وفي حديث ابن مسعود الصحيح قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ، ثم خط خطوطًا عن يمينه وشماله ، ثم قال: «**هذا صراط الله مستقيمًا ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان، ثم قرأ قول الله تعالى :﴿ وأنَّ هـذا صـراطي مُستقيمًا فاتَّبِعُوهُ ولا تتبعُوا السُّبُل فتفرَّق بِكُمْ عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣]**» .

ولأجل هذا لا يكاد يسلم من الشيطان أحد ، إلا من عصمه الله ، قال ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم**»[1] .

والصحيح: أن أسلم : أي أسلم الشيطان لي وانقاد ، فلا يأمرني إلا بخير ، وقيل : أسلم الشيطان ، أي: آمن ، وهذا بعيد، وقيل: فأسلم أنا منه، والأول أصح ، وهو اختيار شيخ الإسلام.

(١) **صحيح**، وسيأتي.


الفصل الثاني

خطوات الشيطان

أو «مراتب الإغواء»

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الشيطان ـ لعنه الله ـ يستدرج العبد إلى الشر ، والفساد خطوة خطوة ، ولأجل هذا حذرنا الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان في غير موضع من كتابه.

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن مراتب إغواء الشيطان للعبد سبعة مراتب [1]، وهي:

المرتبة الأولى أو «الخطوة الأولى»:

وهي : الكفر والشرك ، ومعاداة الله ورسوله ، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه، وهو أول ما يريد من العبد، فلا يزال به حتى ينال منه، فإذا نال ذلك صيره من جنده ، وعسكره ، واستنابه على أمثاله وأشكاله؛ فصار من دعاة إبليس ونوابه ، ومعلوم أنه ليس بعد الكفر ذنب ، أي: لا ذنب أعظم من الكفر.

فالشيطان ـ لعنه الله ـ هو أول من أمر بعبادة غير الله، كما في «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : «**إني خلقت عبادي حنفاء ، كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وأحلت لهم ما حرمت عليهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

---

(١) ذكرها العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في «التفسير القيم» (صـ ٦١٤) وأزيد عليها توضيحات قليلة.

وكما في «الصحيح» عن ابن عباس أنه قال في «اللات والعزى»: إنها كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم فعبدوهم.

وكما أن الشيطان يدعو إلى الشرك ، فهو يدعو إلى الكفر كذلك ، فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركًا كما هو معلوم.

من ذلك ما في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «**يأتي الشيطان إلى العبد فيقول له: من خلق كذا، من خلق كذا، ثم يقول: من خلق؟ ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[1].

فأهم ما يريده الشيطان من الخلق هو أن يفسد عليهم عقيدتهم ، ويوقعهم في الشرك بالله تعالى.

فالشيطان هو الذي زين للناس عبادة الأصنام والتماثيل. وهو الذي زين لطائفة منهم عبادة القبور فصرفوا لها أنواعًا شتى من العبادات، كالدعاء ، والنذر ،والاستعانة، والاستغاثة، والطواف ، والذبح إلى آخره.

وهو الذي زين لكثير من الحكام نبذ شريعة الله خلف ظهورهم ، واستبدالها بالقوانين الوضعية الجاهلية، والحكم في ميزان الله نوعان : إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ ﴿**الظَّالِمُونَ**﴾ ﴿**الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧].

وهو ـ لعنه الله ـ الذي أغرى السفهاء من الكفار والمنافقين بأوليائه من المؤمنين الموحدين الملتزمين فأطلقوا عليهم من الألقاب ما ينفرون به العامة عن اتباع سبيل المؤمنين ، وعن اتباع القرآن والسنة الصحيحة. ولا يعلمون أن هذا هو الكفر الصراح.

---

(١) **متفق عليه** ، عن أبي هريرة . وروى نحوه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» عن عائشة، وفيه : «**فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه**» وهو في «صحيح الجامع» (١٦٥٧) ، و«الصحيحة» (١١٦).

وهو ـ لعنه الله ـ الذي استولى على المتصوفة فأفسد عقائدهم ، وعباداتهم في صور شتى لا تحصى ، وروج لهم من الخوارق الشيطانية ما يؤيد بدعتهم الخبيثة.

وكان من السلف ـ رحمهم الله ـ من قال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء ، ويمشي فوق الماء ، ولا يلتزم بالكتاب والسنة فاعلموا أنه شيطان فاحذروه على دينكم.

وهو ـ لعنه الله ـ الذي زين لكثير من علماء المشركين سوء عملهم ، فصدهم عن السبيل ، وهم يحسبون أنهم مهتدون، فترى الواحد منهم قد يكون حافظًا للقرآن وللمتون ، وهو جاهل بالتوحيد الذي سينجيه يوم يقوم الناس لرب اللعالمين.

ومنهم من لا يعمل بعلمه. وما أحسن ما قيل :

لو كان للعلم من دون التقى شرفٌ لكان أشرف خلق الله إبليس

وصدق من قال:

وعالم بعلمه لا يعملن معذب من قبل عُبَّادِ الوثن

فكثير ممن يتسمون بالعلم يجهلون التوحيد والاعتقاد الصحيح، ومنهم من يعلم لكنه يجاري العامة وأشباههم، أو ينافق الحكام ، وهؤلاء ضحايا إبليس لعنه الله.

وهو الذي زين لطائفة من غلاة التصوف تفضيل الأولياء على الأنبياء ، حتى يقول قائلهم: «خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله»[1].

وكان الواحد منهم يقول: حدثني قلبي عن ربي ، وأوحي إلى طائفة منهم: أنه يصل إلى رتبة يسقط عنه فيها التكليف فلا صلاة ، ولا صيام، ولا

(١) انظر للمؤلف : «الصوفية في قفص الاتهام».

زكاة ، ولا حج ، وما أجمل ما يقول شيـخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقد ابتلي بطائفة من هؤلاء ـ ممن ادعى أنـه من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ـ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهو كافر ملحد ومثل هـذا من يزعم أنه محـتاج إليه في علـم الظاهر دون علم الـباطن ، أو يدعي أن الولاية أفضل من النبوة[1].

ويقول أيضًا :

«إن الاتفاق انعقد على أن الأنبياء أفضل مـن الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وأمة محـمد أفضل الأمم ، والـقرن الأول خير الـقرون، والسابقـون أفضل الصحابة، ونبينا أفضل الأنبياء»[2].

والشيطان ـ لعنه الله ـ هو الذي زين لطائفة من الخلق إنكار وجود الله، وأسندوا الأفعال إلى المخلوقات كالدهريين والشيوعيين وغيرهم ، فمنهم من قال : ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية : ٢٤].

وزين للنصارى عقيدة التـثليث ، فمنهم من قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]. وقولهم : ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٠].

وزين لليهود قولهم : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٠].

ووصفهم ربهم بالبخل فقالوا : ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة : ٦٤].

ومع ذلك لم يتحرج اليهـود والنصارى من أن يقولوا : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]. مع إقـرار اليهود أن النصارى ليـسوا على شيء ، وإقرار النصارى أن اليـهود ليسوا على شيء ، ونقول : صدقـت الطائفتان ، فليس هؤلاء على شيء ، وليس هؤلاء على شيء.

(١ ، ٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان مجموعة التوحيد (صـ ٤٧١).

وهو - لعنه الله - الذي زين للمشركين قولهم : الملائكة بنات الله ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفورٌ مبين﴾ [الزخرف: ١٥].

وهو - لعنه الله - الذي زين للقدرية نفيهم القدر ، وإنكار علم الله المسبق بالحوادث فصاروا مجوس هذه الأمة.

وهو - لعنه الله - الذي زين لطائفة من الخلق وصف الله بما لا يتصف به، وطائفة أنكرت ما وصف به نفسه تعالى ، وما وصفه به رسوله الكريم[1]، وطائفة شبهت المخلوق الضعيف بالخالق الكريم اللطيف.

وهو الذي زين لطائفة من الصوفية وغيرهم القول بوحدة الوجود ، فتكلم على لسان ابن عربي:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت: عبد فذاك رب ... وإن قلت: رب فأنى يكلف؟

وقال قائلهم : **أنا هو وهو أنا**

فنحن روحان حلتا بدنا

وقال آخر:

ما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

وقال الحلاج - لعنه الله - ما في الجبة غير الله . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) قال شيخ الإسلام : أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بأن من مخلوقاته ما يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص، ويعلم أنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وهذا المذهب هو أسلم وأعلم وأحكم ، بل السلامة كلها ، والعلم كله في اعتناق هذه العقيدة فأبلغ العلم أن يعرف الإنسان قدره ولا يتجاوز حده. «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (صـ ٤٧٢) «مجموعة التوحيد».

أولياء الشيطان:

وهؤلاء كلهم ومن حذا حذوهم في الضلال هم من أولياء الشيطان وجنوده.

قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠)﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩)﴾ [النساء: ١١٩].

وقال شيخ الإسلام:

«فإن الشيطان يخيل للإنسان الأمور بخلاف ما هي عليه، قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٣٧)﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧] ... وقال تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ [الأنفال: ٤٨]»[1].

(١) الفرقان (صـ ٥٥٥) مجموعة التوحيد.

وبين - رحمه الله - أن من الخوارق ما يكون من الشيطان[1]، وبين أن مثل هذه الأمور الخارقة للعادة «مثل: أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحيانًا ، أو يملأ إبريقًا من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحيانًا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سُرق لهم ، أو بحال غائب لهم، أو مريض ،أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما بين أن هذه الخوراق قد تظهر على يد عدو الله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين ، وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويُعرفون بنور الإيمان ، والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة، مثال ذلك: أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ، ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابسًا للنجاسات معاشرًا للكلاب يأوي إلى الحمامات والمقابر والمزابل رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف،[2] وهؤلاء يأتيهم أرواح تخاطبهم ، وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام ... ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم[3].

(١) الفرقان (صـ ٥٢٢).

(٢) الفرقان (صـ ٥٣٤).

(٣) الفرقان (صـ ٥٥٦ ، ٥٥٧).

وقال أيضًا بعد أن ذكر بعض الكرامات لجماعة من أولياء الرحمن:

«وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية مثل حال عبدالله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه كان من جنس الكهان ، قال له النبي ﷺ: «**قد خبأت لك خبأ**» قال: الدخ. الدخ، وقد كان خبأ له سورة الدخان ، فقال النبي ﷺ : «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»، يعني إنما أنت من إخوان الكهان، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره : أن النبي ﷺ قال: «**إن الملائكة تتنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**».

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال : «**بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رُمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم ، أو يولد عظيم، قال رسول الله ﷺ: فإنه لا يرمى بها لموت أحد ، ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ؛ حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يزيدون**».

وفي رواية : قال معمر : قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟

قال: نعم، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ.

والأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه.

وكذلك مسيلمة الكذاب، كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور، وأمثال هؤلاء كثيرون مثل: الحراث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبدالملك بن مروان، وادعى النبوة، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يري الناس - بجبل قاسون - رجالاً وركبانًا على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنًا ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال عبدالملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله، فطعنه فقتله.

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردهم مثل آية الكرسي. «ثم ذكر حديث أبي هريرة في حفظ زكاة الفطر» ثم قال: ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها مثل من يدخل النار بحال شيطاني أو يحضر سماع المكاء والتصدية، فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلامًا لا يعلم وربما لا يفقه، وربما كشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة كما يتكلم الجني على لسان المصروع، والإنسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال...

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكة وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع، ومنهم من يطير بهم الجني إلى مكة أو بيت

المقدس أو غيرهما، ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجًا شرعيًا ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم إذا حاذىٰ الميقات، ولا يلبي ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسعىٰ بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار. بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته، وهذا ليس بحج مشروع باتفاق المسلمين، بل يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء ، وإلىٰ غير القبلة.

ومن هؤلاء المحمولين من حمل مرة إلىٰ عرفات ورجع فرأىٰ في النوم ملائكة يكتبون الحجاج، فقال: ألا تكتبوني؟ فقالوا: لست من الحجاج ، يعني: لم تحج حجًا شرعيًا.

وبين كرامات الأولياء وما يشابهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة:

منها: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوىٰ ، والأحوال الشيطانية سببها ما نهىٰ الله عنه ورسوله ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** (٣٣)﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالقول علىٰ الله بغير علم ، والشرك ، والظلم، والفواحش ، قد حرمها الله تعالىٰ ورسوله ، فلا تكون سببًا لكرامة الله تعالىٰ بالكرامات عليها فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات ، وكانت مما يستعان بها علىٰ ظلم الخلق ، وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء : من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتىٰ يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار ، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالىٰ طرد شيطانه فيسقط كما جرىٰ هذا لغير واحد.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق ، إما حي ، أو ميت سواء كان ذلك المخلوق مسلمًا أو نصرانيًا أو مشركًا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته ، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

ومنهم هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب. يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته ، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل على زوجته ، ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته.

ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحدًا يغسلني فإنما أجيء وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصًا في صورته فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غسله ـ أي غسل الميت ـ غاب ، وكان ذلك شيطانًا ، وكان قد أضل الميت ، وقال: إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك فلما مات جاء أيضًا في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك.

ومنهم من يرى عرشًا في الهواء وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول.

ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد، وهؤلاء منهم من يرى ذلك

عند قبر الذي يزوره فيرىٰ القبر قد انشق وخرج إليه صورته فيعتقدها الميت وإنما هو جني تصور بتلك الصورة.

ومنهم من يرىٰ فارسًا قد خرج من عند قبره أو دخل في قبره ، ويكون ذلك شيطانًا ، وكل من رأىٰ نبيًا بعين رأسه فما رأىٰ إلا خيالاً.

ومنهم من يرىٰ في منامه أن بعض الأكابر إما الصديق رضي الله عنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته أو ثوبه ، فيصبح وعلىٰ رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه.

وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات.

والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم ، وهم علىٰ مذهبهم ، والجن منهم الكافر والفاسق والمخطئ ، فإن كان الإنسي كافرًا أو فاسقًا أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم علىٰ ما يختارونه من الكفر[1].

* * *

الخطوة الثانية : البدعة:

والمرتبة الثانية من مراتب الإغواء : البدعة ، وهي أحب إلىٰ إبليس من المعصية والفسوق ؛ لأن ضررها في نفس الدين ، وهو ضرر متعد، بخلاف المعصية فإن ضررها قاصر علىٰ المعاصي.

وهي ذنب لا يُتاب منه في الغالب ؛ لأن المبتدع يرىٰ أنه علىٰ صواب، وأنه مطيع لله ببدعته، وهي مخالفة لدعوة الرسل ودعاء إلىٰ خلاف ما جاءوا به، وهي باب الكفر والشرك ، فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقي أيضًا

(١) عن الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (صـ ٥٩٦ ، ٦٠٢).

نائبه وداعيًا من دعاته.

وحقيقة البدعة: أنها طريقة في الدين مخترعة يقصد بالسير عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية أو هي: الحدث في الدين بعد الإكمال، ومخالفة هدي النبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأعمال، ولا يشترط في البدعة أن يقصد صاحبها معاندة الشرع، فإن من قصد ذلك كفر وارتد، ولكن البدعة عادة ما تحدث لجهل أو لنوع تأويل فاسد أو سوء فهم، أو غلبة هوى، أو نحو ذلك.

فإذا أعجز العبد الشيطان عن هذه المرتبة، وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة ومعاداة أهل البدع والضلال نقله إلى:

* * *

الخطوة الثالثة: الكبائر:

وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فالشيطان أشد حرصًا على أن يوقع العبد فيها، ولا سيما إذا كان عالمًا متبوعًا، فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه، ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه في الناس، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينًا وتقربًا بزعمه إلى الله تعالى، وهو نائب إبليس ولا يشعر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

هذا إذا أحبوا إشاعتها، وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها لا نصيحة منهم؟ ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه كل ذلك لينفر الناس عنه، وعن الانتفاع بعمله، وذنوب هذا العاصي بالكبيرة لو بلغت عَنان السماء أهون عند الله ؛ لأنه إذا تاب قبل الله توبته، وبدل سيئاته حسنات، وأما ذنوب أولئك فظلم للمؤمنين، وتتبع لعورتهم، وقصد لفضيحتهم، والله سبحانه بالمرصاد، ولا تخفى عليه كمائن الصدور، ودسائس

النفوس.

وحقيقة الكبيرة:

قيل: هل كل ذنب توعد الله عليه بعقاب شديد أو توعد عليه بالنار، وهذا أصح الأقوال، ومن العلماء من حصرها بالعدِّ، ومنهم من ضبطها بالحد، والله أعلم.

* * *

الخطوة الرابعة: وهي الصغائر:

والصغائر إذا اجتمعت على العبد ربما أهلكته، وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا**»[2].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «**إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها، وينسى المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به وإن الرجل ليعمل السيئة فيبقى منها مشفقًا حتى يلقى الله آمنًا**»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١١/٣٢٩). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٦، ٢٦٨٧).

(٢) رواه الدارمي (٢/٣٠٣)، وابن ماجة (٢/١٤١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٣).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٠).

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى:

الخطوة الخامسة : الشغل بالمباحات:

فإذا عجز الشيطان من العبد فلم يوقعه في كفر أو شرك أو بدعة أو كبيرة أو صغيرة[1] فإنه يصيره في المرتبة الخامسة وهي أن يشغله بالمباحات، وهي الأشياء التي لا ثواب منها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بهذه المباحات.

وهذه المباحات كثيرة:

منها : كثرة النوم: فإنه يضيع على العبد كثيرًا من الطاعات المستحبة كقيام الليل ، أو الواجبة كصلاة الفجر، وطلب العلم ، وغير ذلك.

ومنها: كثرة الطعام والشراب : وبهذا يضيع على العبد أيضًا كثير من الطاعات المستحبة كترك أو عجز كثير من الناس عن صلاة التراويح بعد عشاء رمضان، وقد يصيب العبد بعلل تضعفه عن القيام بالواجبات.

ومنها : السهر فيما لا يفيد: وكان النبي ﷺ وأصحابه يكرهون السمر بعد العشاء إلا لطلب علم ، أو لمصلحة من مصالح المسلمين، واليوم يبدأ الليل عند كثير من الناس بعد العشاء بزمن فيخرج إلى مواطن الفساد كالمتنزهات والمقاهي والنوادي الليلية ودور السينما ، أو يجالس رفقاء السوء يلعب الكوتشينة والشطرنج وغيرهما.

أو يقبع أمام شاشة التلفاز ليشاهد الأفلام والمسلسلات ويضيع وقته بتغيير القنوات وما أكثرها وأفسدها في هذا الزمان.

ومن المباحات : اللباس : فيتفنن العبد في اللبس والمنظرة فيكسر قلوب الفقراء ، ومن اشتغل بمنظره لا يرجى خيره.

---

(١) وقد يوقعه فيها جميعًا في وقت واحد.

ومن ذلك: التكالب على جمع المال من الحلال: أما جمعه من الحرام فحرام، أما جمعه من الحلال فمباح. ومعنى المباح: مرتبة بين مرتبتين:

الأولى: الكراهة.

والثانية: الاستحباب.

فيقول له: اجتهد في جمع المال فإنه عون لك في الرخاء وعدة لك عند البلاء، ويذكره قول النبي ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[1]، ونظائر هذا. ويذكره قول القائل يمتدح المال:

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وجود حاتم وزهد ابن أدهم

إذا اجتمعت في المرئ والمرؤ ونودي عليه لا يباع بدرهم

وقول الآخر:

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقول الآخر يذم الفقر:

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه ممقوتًا وليس بمذنب ويرى العداوة ولا يعلم أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى حنت إليه وحركت أذنابها

وإذا رأت يومًا فقيرًا ماشيًا نبحت عليه وكشرت أنيابها

---

(١) **صحيح.**

رواه أحمد (٤/ ١٩٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٦٤) رجاله رجال الصحيح.

ويرغبه في جمع المال قائلاً: تخـرج الصدقة على الفقراء وتؤدي زكاة المال ... إلخ. ولا ريب أن المال ممدوح في مواضع ومذموم في مواضع.

لكن إن ألهى جمعه وشغل عن طاعة فلا يشك عاقل حينئذ أنه مذموم.

* * *

الخطوة السادسة: الشغل بالمفضول عن الفاضل:

وهو أن يشـغله بالعـمل المفضول عـن الفاضل، فيـأمره بفعل الـخير المفضول، ويحضه عليه، ويحسـنه له. إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من ينتبه لهذا من النـاس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًا ومحركًا إلى نوع من الطاعة لا يـشك أنه طاعة وقربة فإنه لا يكـاد يقول: إن هذا الداعي الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخـير، ويرى أن هذا خير فيقول: هذا الداعي من الله وهو معذور، ولم يصـل إلى علمه أن الشيطان يأمر بسـبعين بابًا من أبواب الخـير، إما ليتوصـل بها إلى باب واحد مـن الشر، وإما ليفـوت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأفضل.

وهذا لا يُتوصل إلى مـعرفته إلا بنور من الله عزَّ وجلَّ يقـذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله تعالى وأحبها إليه وأرضاها له وأنفعهـا للعبد وأعمها نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصـتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة، وخلفائه في الأرض.

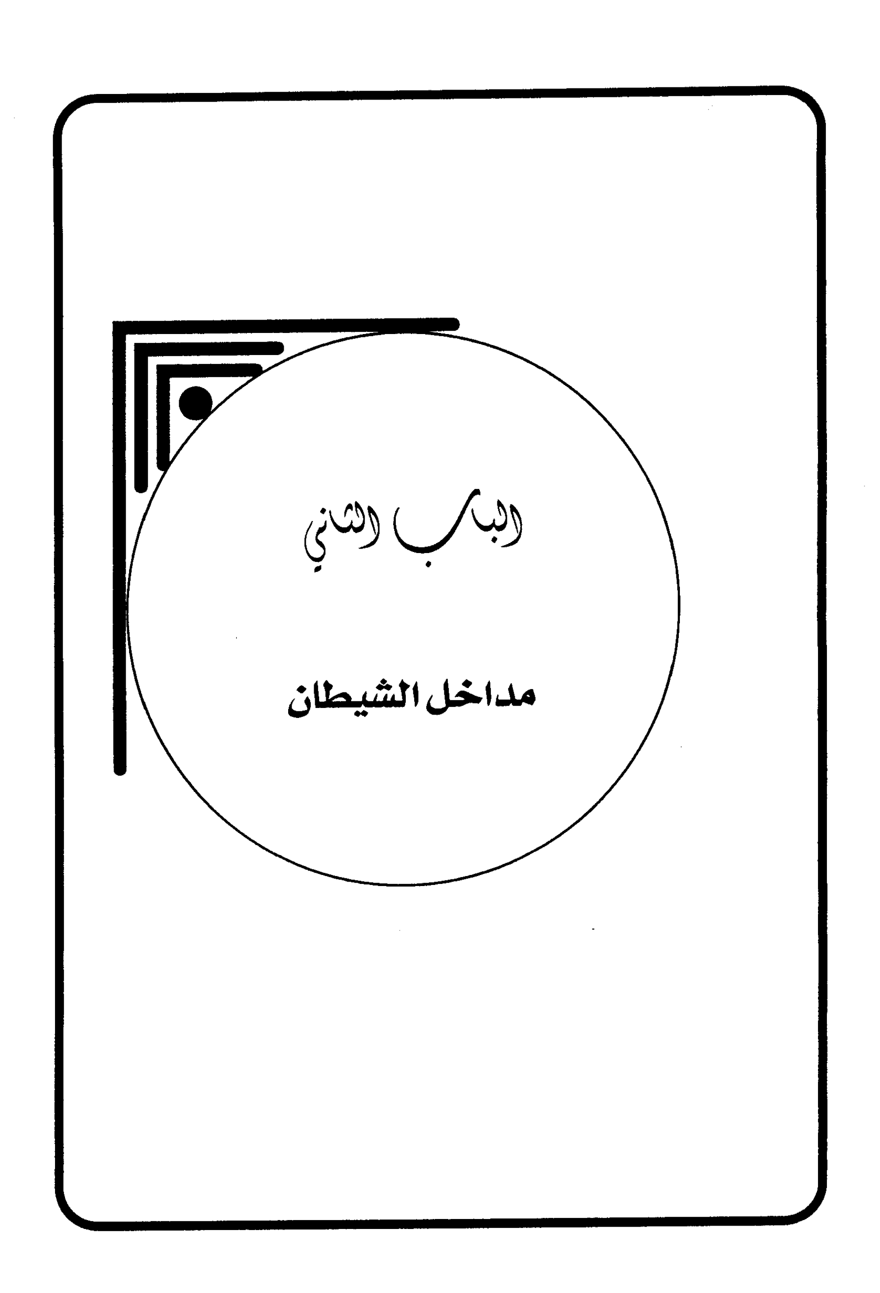
وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك، فـلا يخطر ذلك بقلوبهم والله يمن بفضله على من يشاء من عباده.

* * *

الخطوة السابعة: تسليط الناس عليه:

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيا عليه سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتحذير منه ، وقصد إخماده وإطفائه ليشوش عليه قلبه وينشغل بحربه فكره، وليمنع الناس من الانتفاع به فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه لا يفتر ولا يني.

وهذا واضح في مجتمعنا ، فما من عبد التزم بدينه واستمسك بهدي نبيه وسنته وسار على نهجه إلا وجد الصدود والعناد ، والسخرية والاستهزاء من الأقارب والأباعد والأصدقاء والأعداء ، فليس له ملجأ إلا إلى الله.



الباب الثاني

مداخل الشيطان

تمهيد

تسلط الشيطان على القلوب:

إن بغية الشيطان من ابن آدم التمكن من قلبه ؛ لأن به صلاح البدن ، وفساده ، وهو ملك الأعضاء.

قال ﷺ : «**ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت؛ صلح البدن كله ، وإذا فسدت فسد البدن كله ألا وهي القلب**»[1].

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس].

ولذا كان القلب هو محل الابتلاء والاختبار ، فعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**»[2].

قال ابن القيم :

«ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب ، والاعتماد عليه ، أجلب عليه بالوساوس ، وأقبل بوجوه الشهوات إليه ، وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده به عن الطريق ، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ، ونصب له من المصايد والحبائل ، فإن سلم من الوقوع

(١) رواه البخاري (١/١٢٦) «فتح»، ومسلم (١١/٢٨) «نووي».

(٢) مسلم (٢/١٧١).

فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق، فلا نجاة من مصايده ومكايده إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى ، والتعرض لأسباب مرضاته ، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته ، والتحقق بذل العبودية الذي هو أولى ما تلبس به الإنسان ليحصل له الدخول في ضمان : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

فهذه الإضافة هي القاطعة بين العبد وبين الشيطان ، وحصولها سبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين ، وإشعار القلب إخلاص العمل ، ودوام اليقين ، فإذا أشرب القلب العبودية والإخلاص صار عند الله من المقربين وشمله استثناء ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر : ٤٠]»[1].

«والشيطان مع ما يبذل في الإضلال من جهد، وما يمكر في الإغواء من مكر ، يظل أمام صخرة الإيمان العاتية عديم الحيلة ، هياب الجنان يتبدد كيده، ويفنى مكره ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦]»[2].

وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

فأبشر - أخي - واعلم أن كيد الشيطان مهما عظم فهو ضعيف. ومما يدل على ضعفه ، ما ورد مما يدل على بكائه .

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول : يا ويلة أمر ابن آدم**

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٦/١).

(٢) «عداوة إبليس» لمحمد سعيد رسلان (صـ ٤٣).

بالسجود فسجد ، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[1].

وقال ثابت البناني : بلغني أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية : **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾** [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

كذلك ما ورد في السنة الصحيحة من هروب الشيطان عند سماع الأذان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع الأذان ، فإذا قضي الأذان أقبل ، فإذا ثوِّب**[2] **بها أدبر ، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى**»[3].

قال ابن مفلح:

«وإنما يدبر الشيطان من الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له بذلك يوم القيامة ؛ لقوله ﷺ : «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**».[4] وقيل: ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد»[5]. اهـ

---

(١) انظر الخلاف في وجوب سجدة التلاوة في «مصائب الإنسان من مكائد الشيطان» لابن مفلح (صـ ٩٦).

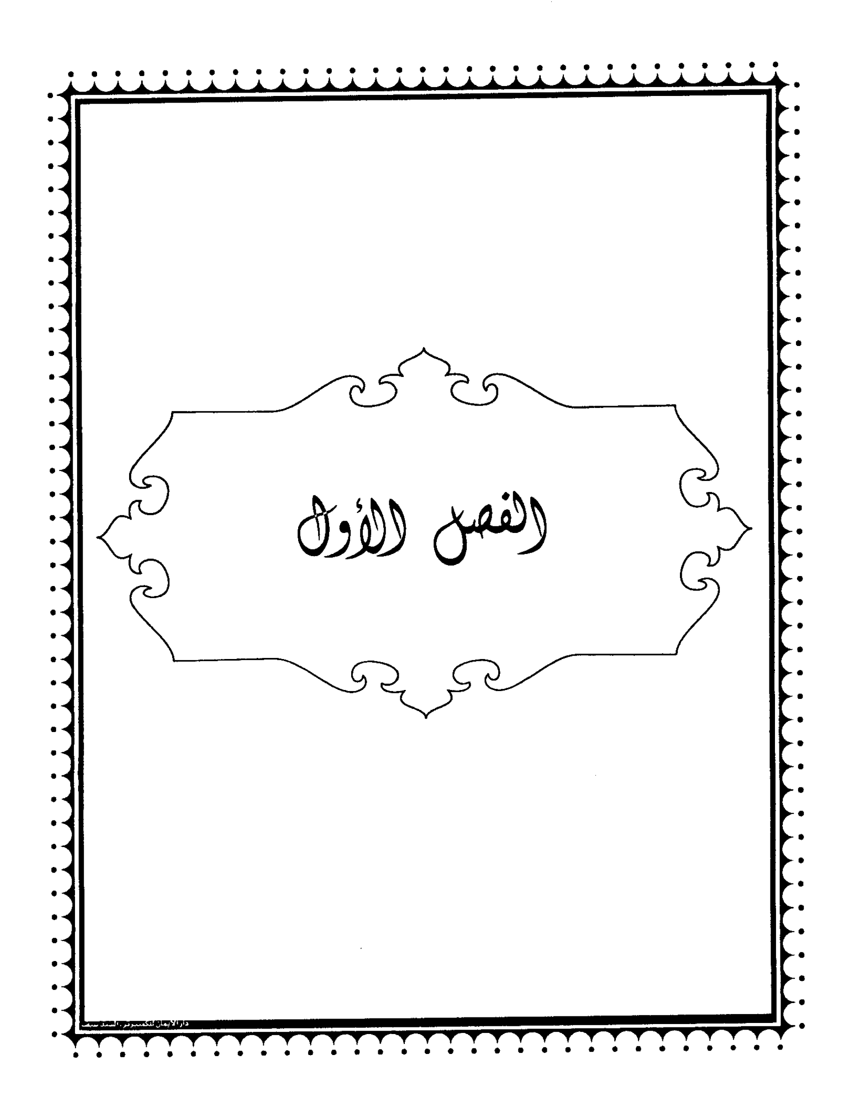
(٢) ثُوِّب : بتشديد الواو : أقام الصلاة.

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخاري.

(٥) «مصائب الإنسان من مكائد الشيطان» (صـ ١١٧).




الفصل الأول



ومن مداخل الشيطان

1 ـ الجهل:

وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان ، ولا نبالغ إذا قلنا: بأن كل مداخل الشيطان منه تبدأ وعليه تعتمد ، وبه تقوىٰ ؛ لأن الجاهل لا يعرف مداخل الشيطان فيسدها، ولا مكائده فيبطلها ، ولا شباكه فيجتنبها ، فيجتذبه الشيطان بسهولة ، ويتغلب عليه بأدنىٰ حيلة.

كما أن الجاهل لا يعرف الخير من الشر ، ولا السنة من البدعة ، ولا الشرك من التوحيد ، فربما أوقعه في الشر وهو يحسب أنه خير ، وربما أوقعه في البدعة وهو يظنها سنة، وربما أوقعه في الشرك، وهو يحسب أنه توحيد، وبهذا يكون من الخاسرين ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

والجهل يطمس القلب ، ويعمي البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان غرضًا فيوجه إليه سهام الشبهات، وسموم الشهوات، فيرديه قتيل الهوىٰ ، أسير الشهوة، فإذا وصل إلىٰ تلك الغاية اتخذه الشيطان جندًا ينشر به الفساد في الأرض ، ويصد به الناس عن الحق ، وبهذا يصير من حزب الشيطان﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ومن مداخل الشيطان علىٰ الجاهل: أنه يصده عن طلب العلم ، ويقول له: أيجمل بك أن تجلس أمام العالم جلسة الطالب وأنت قد كبرت؟ فيرضىٰ بالجهل ، ويذكره بالمثل العامي المشهور : «بعد ما شاب ودوه الكتاب» ،

وهذا مما يلقيه الشيطان على ألسنة بني آدم.

قال أبو الحسن الماوردي:

«وربما امتنع الإنسان عن طلب العلم لكبر سنه، واستحيائه من تقصيره في صغره أن يتعلم في كبره، فرضي بالجهل أن يكون موسومًا به، وآثره على العلم أن يكون مبتدئًا به، وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل؛ لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى، والابتداء بالفضيلة فضيلة، ولئن يكون شيخًا متعلمًا أولى من أن يكون شيخًا جاهلاً»[1].

وقد قيل:

لئن تموت طالبًا للعلم خيرًا من أن تعيش قانعًا بالجهل

فإن وُجد من الجاهل رغبة في العلم قال له: إن تعلمت العلم ولم تعمل به كان حجة عليك، فأجمل بك ألا تتعلمه؛ لكي تخف مؤنتك ويقوي عذرك، فيعذرك بالجهل[2]، وما علم المسكين أن العلم هو الذي يكشف عنه تلك الظلّة، ويزيح عنه تلك المحن، فهو المرشد والمعين.

وقال رجل لأبي هريرة: أريد أن أتعلم العلم، وأخاف أن أضيعه؟ فقال: كفى بترك العلم إضاعة له.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (صـ ٢٦).

(٢) قال بعض العلماء: لو كان العذر بالجهل واردًا في كل باب؛ لدل على فضل الجهل؛ لأن الجاهل يسقط عنه اللوم بالعذر بالجهل، وهذا منكر من القول وزور، ومصادمة لصريح الكتاب، وصحيح السنة، حيث جاءت الشريعة كتابًا وسنة بفضل العلم والعلماء، وبذم الجهل والجاهلين، ولذلك ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه من طلب الحق فعجز عن تحصيله، وجَهِلَهُ؛ فهو معذور؛ لأنه لم يقصر، أما من أعرض عن طلب العلم ورضي بما هو عليه وآباؤه من الجهل فلا عذر له عند الله، والله أعلم.

ومن العجب أن الشيطان يخيل لبعض الجهال أنه عالم، فإذا سئل عن مسألة ؛ تحرج أن يقول : لا أدري ، أو لا أعلم ، أو سل فلانًا العالم، ويستنكف كذلك أن يجلس إلىٰ من هو أعلم منه. وهذا منتهىٰ التلبيس وقمة الغرور ، وقد قسم الخليل بن أحمد الناس من حيث العلم إلىٰ أربعة أقسام فقال: «الرجال أربعة: رجل يدري ، ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاسألوه، ورجل يدري ، ولا يدري أنه يدري ، فذلك ناسٍ فذكروه، ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري ، فذلك مسترشد فعلموه، ورجل لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، فذلك جاهل فارفضوه».

ومداخل الشيطان علىٰ الجاهل كثيرة لا نستطيع إحصاءها ، ويكفيك أن تعرف أن كل المداخل منها تتفرع[1].

* * *

2 ـ الغضب:

والغضب من مداخل الشيطان الكبرىٰ ، ومكائده العظمىٰ ؛ لأن الشيطان يلعب بالغضبان كما يلعب الأطفال بالكرة، والمشاهد أكبر دليل علىٰ ذلك.

ومن هنا وجب علىٰ المسلم العاقل أن يغلب شيطانه ، ويكظم غيظه ، ويلتمس العذر لغيره . روىٰ البزار عن أنس ﷺ : أن النبي ﷺ مر علىٰ قوم يصطرعون ، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: فلان ما يصارع أحدًا إلا صرعه. قال: «**أفلا أدلكم علىٰ من هو أشد منه؟ رجل كلمه رجل فكظم غيظه ، فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه**»[2].

---

(١) «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» (صـ١٦٧ ـ ١٦٩) للشيخ وحيد بالي بتصرف وزيادة.

(٢) قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/٥١٩) إسناده حسن.

فالقوة الحقيقية هي التحكم في النفس عند الغضب ، فلا ينطق بسوء ، ولا يتلفظ بفحش ، ولا يمض غيظه. كما قال ﷺ : «**ليس الشديد بالصُّرْعة! وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

والصُّرعة : بضم الصاد، وفتح الراء : الذي يصرع الناس ، ويغلبهم، وهو المقصود هنا، وأما «الصرْعة» بسكون الراء فهو الضعيف الذي يصرعه الناس ويغلبونه.

ولذلك رغب النبي ﷺ في كظم الغيظ، وترك الغضب ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رجل لرسول الله ﷺ : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «**لا تغضب ولك الجنة**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال : «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال : «**لا تغضب**» . رواه البخاري [(٣)]، وزاد أحمد في رواية : «قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله».

ولا يمكن لآدمي معتدل الخلقة أن يتخلى عن غريزة الغضب، لأنه عليها جُبل ، وبها طُبع ، ولكن عليه أن يقطع الآثار المهيجة للغضب كعزة النفس، والكبر ، وغير ذلك.

قال علي بن زيد : أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبدالعزيز القول فقال عمر: أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا ، انصرف يرحمك الله[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٠/٥١٨) «فتح» ، ومسلم (٦/ ١٦٢» «نووي».

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح. ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا كما في «صحيح الجامع» (٧٣٧٤).

(٣) البخاري (١٠/ ٥١٩) فتح. (٤) «أدب الدنيا والدين» (صـ ٢٢٣).

قيل للفضيل بن غزوان : إن فلانًا يذكرك بسوء ، فقال: والله لأغيظن مَنْ أمره ، قيل: ومَنْ أمره؟ قال : الشيطان ، ثم قال: اللهم اغفر له.

* * *

علاج الغضب:

فإذا غضب الإنسان فعليه أن يسكن غضبه ويهدئ من توازنه ، وذلك بعدة أمور:

الأول : أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

فعن سليمان بن صرد ﷺ قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه ، وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فقام إلى الرجل رجل ممن سمع النبي ﷺ فقال: هل تدري ما قال رسول الله ﷺ آنفًا ؟ قال : لا ، قال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال الرجل: أمجنون تراني؟[1]. وقال ﷺ : «**إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله سكن غضبه**»[2].

الثاني: أن يتذكر ثواب كظم الغيظ وأجره العظيم:

فيكظم غيظه رغبة فيما عند الله تعالى ، فعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[3].

(١) رواه البخاري (١٠/٥١٩) «فتح» ، ومسلم (١٦/١٦٢) «نووي».

(٢) **صحيح** . رواه البخاري عن أبي هريرة «صحيح الجامع» (٦٩٥) «الصحيحة» (١٣٧٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٢/١٤٠١) ، وفي «الزوائد» : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، قال المنذري : ورواته محتج بهم في الصحيح .

الثالث : أن يسكت إذا غضب:

لأنه يكون أقرب إلى الخطأ في هذه الحالة فالسكوت أسلم. كما قيل:

إذا نطق السفيه فلا تجبه   فخير من إجابته السكوت
سكتُ عن السفيه فظن أني   عييت عن الجواب وما عييت

وقال ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرًا أو ليصمت**»[1].

وقال ﷺ : «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»[2].

الرابع : أن يجلس أو يضطجع.

لما رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي ذر مرفوعًا : «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[3].

وقال ﷺ : «**إذا غضبت فاجلس**»[4].

الخامس : أن يتفكر في قبح منظره عند الغضب.

فإن هذا مما يسكنه، أما أحاديث الوضوء عند الغضب فلا يصح منها شيء فيما أعلم.

السادس: أن يتذكر جزاء الصفح.

وثوابه عند الله تعالى فيدفعه ذلك إلى تحمل جهل الجاهل وسفه السفيه ابتغاء مرضاة الله وما عنده من الثواب العظيم.

قال تعالى في صفة المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥) «فتح»، ومسلم (٢/ ١٨) «نووي».
(٢) صحيح. رواه أحمد عن ابن عباس «صحيح الجامع» (٦٩٣).
(٣) رواه أبو داود (٤/ ٢٤٩) قال العراقي: سند أحمد جيد.
(٤) رواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» عن عمران - «صحيح الجامع» (٦٩٦).

السابع: أن يترفع عن السباب والقذف واللعن والشتم.

لأن ذلك من صفات السفيه، كما روي عن سليمان أنه قال ـ لما شتمه رجل ـ : إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

وروي: أن رجلاً سب أبا بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر: ما ستر الله عنك أكثر.

وروي: أن امرأة قالت لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك.

واعلم أن الغضب نوعان:

إما أن يكون الغضب للنفس، وهذا مذموم، وقد تقدم بيانه.

وإما أن يكون لله، وهذا محمود، بل مندوب، فقد كان النبي ﷺ وهو الرؤوف الرحيم إذا ما رأى مخالفة شرعية غضب واحمر وجهه ولم يسكت حتى يغيرها.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وفي بيتي قرام ـ أي ستر ـ فيه صور، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور**»[1].

ورأى رسول الله ﷺ في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده، وتغيظ، وقال: «**إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإذا الله حيال وجهه، فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة**»[2].

ومن هنا: يتبين لنا أن رسول الله ﷺ كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله[3].

(١) رواه البخاري (١٠/٥١٧) «فتح»، ومسلم (١٤/٨٨) «نووي».

(٢) رواه البخاري (١/٥٠٩) «فتح»، ومسلم (٥/٣٨) «نووي».

(٣) «وقاية الإنسان»، باختصار (صـ ١٦٩ ـ ١٧٥).

3 ـ حب الدنيا :

لقد زين الشيطان الدنيا وزخرفها في قلوب كثير من الناس فركنوا إليها واطمأنوا بها بل وعضوا عليها بنواجذهم ونشبوا فيها أظفارهم، ففيها يعادون، وعليها يتنافسون ، ومن أجلها يتباغضون ويتحاسدون ، ونفذ فيهم إبليس خطته حيث قال : ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩)﴾ [الحجر : ٣٩].

ويا أسفاه لقد اتبعوه وأطاعوه إلا من اعتصم بالله ، ولجأ إليه ، ورمى الدنيا خلف ظهره : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ : ٢٠].

ولو عرف الناس حقيقة الدنيا ما أقاموا لها وزنًا ولا جعلوا لها في قلوبهم مكانًا ، ولا على ألسنتهم ذكرًا ، والله خالقها قد بين حقيقتها فقال : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد : ٢٠].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الدنيا ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(١).

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١)﴾ قال : «**يقول ابن آدم: مالي ، مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت؟**»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه ، فمر

(١) رواه مسلم (١٧/ ٥٥) «نووي».

(٢) رواه مسلم (١٨/ ٩٤) «نووي».

بجدي أسـك ميت فتـناوله بأذنـه ثم قال: «**أيـكم يـحب أن يـكـون له هـذا بدرهـم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنـا بشيء وما نصنع به؟ قال: «**أتحبـون أنه لـكـم؟**» قالوا: والله لو كان حـيًا لهان عيبًا فيه؛ لأنه أسـك ، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم**»[١].

وعن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»[٢].

وقد طغى حب الدنـيا على قلوب بعض الناس حـتى عبدوها من دون الله . فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط**»[٣].

ولو عرفوا قيمتـها بالنسبة للآخرة لرفضوهـا وطلبوا الآخرة ، وإن حب الدنيا إذا طغى على القلب فتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو :

* * *

4 ـ طول الأمل:

وإن من مداخل الـشيطان على العبـد أن يمنيه بطول الأمل ، والـتعلق بالحياة الدنيا ، وإن العبد إذا طال أمـله سوَّف في عمله، وعمر دنياه وخرب أخراه .

قال أبو هريرة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين: في حب الدنيا ، وطول الأمل**»[٤].

(١) رواه مسلم (١٨/ ٩٣) «نووي».

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٤٣) «فتح» ، ومسلم (١٨/ ٩٥) «نووي».

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٥٣) «فتح».

(٤) رواه البخاري (١١/ ٢٣٩) «فتح» ، ومسلم (٧/ ١٣٨) «نووي» .

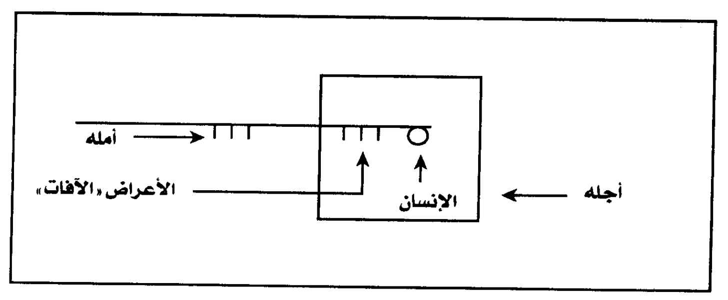
وقـال علـي رضي الله عنه ارتحلت الدنـيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مـقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا مـن أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل**». وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتـظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[2].

وقد بين رسول الله ﷺ قصر أجل الإنسان مع طول أمله.

ففي البخاري عن عـبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط النـبي ﷺ خطًا مربعًـا ، وخط خطًا في الـوسط خارجًا منه، وخـط خططًا صغـارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «**هذا الإنسان وهذا أجله محـيـط به ـ أو قـد أحاط بـه ـ وهذا الـذي هو خـارج أملـه ، وهذه الـخطـط الصغار: الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[3].

قال الحافظ : وهذه صفته:



(١) ذكره البخاري معلقًا «فتح الباري» (١١/ ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٣٣) «فتح».

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٣٦) «فتح».

قال ﷺ : «**نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[1].

وقال علي رضي الله عنه : «**إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين : طول الأمل ، واتباع الهوىٰ ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوىٰ فيصد عن الحق**».

فإياك وطول الأمل فإنه يورث سوء العمل ، بل ويفتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو :

❊ ❊ ❊

5 ـ الحرص :

ومن مداخل الشيطان علىٰ العبد : الحرص ،أعني الحرص علىٰ الدنيا وما فيها والتعلق بها ، وهذا الحرص مفسدة للدين أيُ مفسدة.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه**»[2].

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**»[3].

---

(١) **حديث حسن** .

رواه ابن أبي الدنيا ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، وانظر كتاب «اليقين» للمؤلف.

(٢) **صحيح .**

رواه الترمذي (٤/١٦) ، وقال : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان والألباني.

(٣) **صحيح .**

رواه الترمذي (٣/٣٨٩) ، وقال : حسن صحيح ، وصححه الحاكم وابن حبان. و«صحيح الجامع» (٢١٤٨) ، و«الصحيحة» (٥٩٢) ، و«صحيح الترمذي» (١٩٠٥).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أُشرب حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه، فالدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ليس الغنى من كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»[2].

فإياك أخا الإسلام والحرص ، فإنه يذهب الدين والشرف جميعًا ، ويفتح للشيطان بابًا آخر ألا وهو :

* * *

6 ـ البخل:

قال تعالى : ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٢٦٨)﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فمن مداخل الشيطان على العبد : أنه يخوف الإنسان من الفقر لكي لا ينفق مما في يده في سبيل الله ويخيل إليه أنه إذا أنفق افتقر واحتاج، ولكن الله يطمئن كل مؤمن بقوله : ﴿**وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ مبينًا أن فضل الله لا منتهى له ، ورزق الله واسع ، وخزائنه ملأى لا تنفد أبدًا.

فقد يحول الشيطان اللعين بين العبد وبين إخراج الزكاة المفروضة ، أو بينه وبين صدقة التطوع.

---

(١) **حسن** .

عزاه المنذري في «الترغيب والترهيب» للطبراني ، وقال: إسناده حسن. وانظر «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٩).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٧١) «فتح» ، ومسلم (٧/ ١٤٠) «نووي».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثِّل له شجاعًا أقرع له زبيبتان يُطوقه يوم القيامة يأخذ بلُهزمتيه ـ يعني: بشدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]**»[(١)].

ولقد بين الله تبارك وتعالى أن الفوز والفلاح في ترك البخل والشح فقال: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفا**»[(٢)].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**»[(٣)].

فتنبه لهذا يا أخي، واعلم أن:

«من مداخل الشيطان إلى النفس: البخل، وخوف الفقر، وهما صفتان تمنعان من بذل الخير، وعمل البركة، ومن الإنفاق في سبيل الله، والتصدق على أهل الحاجة، بل وتبلدان الحس الإنساني، والشعور بشعور الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم**

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٦٨) «فتح».

(٢) رواه البخاري (٣/ ٣٠٤) «فتح»، ومسلم (٧/ ٩٥) «نووي».

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٦٠) «فتح»، وانظر: «وقاية الإنسان» (صـ ١٨٤ ـ ١٨٦).

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. قال سفيان : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر ... فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ، ومنع من الحق ، وتكلم بالهوىٰ وظن بربه ظن السوء[١].

❊ ❊ ❊

7 ـ الكبر والغرور:

الكبر من مداخل الشيطان وبه يُستذل الإنسان ، ويحمله على رد الحق، والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ، ولا حقيقة ربه؛ لأنه لو عرف حقيقة نفسه حق المعرفة لعلم أنه كان نطفة تشمئز منها النفس ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم كان مولودًا صغيرًا ضعيفًا ، فعلام التكبر؟

وإن من عظيم مداخل الشيطان إلى النفس : الكبر والغرور ، وهذا الداء العضال هو الذي هوىٰ بإبليس من السماء إلى الأرض . قال : أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين، ولهذا كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله منه[٢].

ولما كان الكبر داءً مهلكًا حذر الله تعالى منه فقال سبحانه : ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال أيضًا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ : [الأعراف: ١٤٦].

وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

---

(١) «الشدائد في حياة الدعاة» (صـ ٥٣) ، مكتبة شباب الأزهر.

(٢) «الشدائد في حياة الدعاة» (صـ ٥٣).

وحذر النبي ﷺ من الكبر - أيضًا - وبين أن عاقبته وخيمة.

فقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1].

ومن الناس من يتكبر بملكه، أو مكانته الاجتماعية. ومنهم من يتكبر بماله، ومنهم من يكون سبب كبره: «قوته وصحته»، ومنهم من يتكبر بعمله، ومنهم من يتكبر بجماله وحسن صوته.

وأما مظاهر الكبر فهي كثيرة منها:

١ - رد الحق.

٢ - ومنها احتقار الناس وازدراؤهم، والتعالي عليهم، وقال ﷺ: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[2].

ومعنى بطر الحق: أي رده.

ولما كان الكبر من مداخل الشيطان ومكايده، فلا يمكن التخلص من هذه المكيدة إلا بالتواضع، وعن عياض بن حمار: قال ﷺ: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[3].

وعن أبي هريرة، أنه ﷺ قال: «**ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[4].

* * *

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٨٩) «نووي».

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم والترمذي.

8- حب المدح:

فمن مداخل الشيطان : حب المدح ، فيعجب العبد بذلك فيهلك.

قال ابن المقفع : «قابل المدح كمادح نفسه».

وللمدح آفات كثيرة منها: أنه يحدث كبرًا أو إعجابًا في الممدوح ، وهذا مهلك للممدوح ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة ، فقال: «**أهلكتم - أو قطعتم - ظهر الرجل**»[1].

فقد بيَّن النبي ﷺ أن المدح مهلكة.

وعن أبي بكرة # أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا فقال النبي ﷺ : «**ويحك قطعت عنق صاحبك** - يقول مرارًا - **إن كان أحدكم مادحًا لا محالة ، فليقل : أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ، ولا يزكي على الله أحدًا**»[2].

وللمدح آفات كثيرة منها :

أنه يعمي الممدوح عن عيوبه ، فلا يشمر للتفتيش عنها.

ومنها أن الممدوح يظن بنفسه خيرًا ، فلا يجتهد في الإكثار من الطاعات.

ولذلك يقول زياد بن أبي مسلم: ما من أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان.

وقال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في باطنه .

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٧٦) «فتح» ، ومسلم (١٨/ ١٢٧) «نووي».

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٧٤) «فتح» ، ومسلم (١٨/ ١٢٦) «نووي».

وقال بعضهم: إذا قيل لك : نعمَ الرجل أنت ، فكان أحب إليك من أن يقال : بئس الرجل أنت ، فأنت والله بئس الرجل.

* * *

9 ـ الرياء:

ومن مداخل الشيطان على العبد : الرياء ، وهو باب فسيح من الأبواب التي يلج الشيطان منها إلى قلب الإنسان.

والرياء هو التفات القلب لغير الله ، وترك مراعاة الخالق ، ومراعاة المخلوقين.

وهو شرك أصغر وقد يصير أكبر.

قال النبي ﷺ : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عزَّ وجلَّ إذا جزى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟**»(١).

وأنواع الرياء كثيرة:

فمن الناس من يرائي بعلمه ، ومنهم من يرائي بعبادته، وكذلك من يرائي بصدقته.

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال : هو جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في**

(١) رواه أحمد بإسناد جيد ، قاله المنذري . وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١٧).

النار، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها ، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم ، وقرأت ليقال : هو قارئ ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

وعن جندب أن النبي ﷺ قال: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يراءِ يراء الله به**»[2].

واعلم أن الدافع على الرياء هو الطمع في مدح الناس ، وخوف مذمتهم، ويمكن علاج ذلك بما يلي:

١ ـ أن تعلم أن المخلوق الضعيف الذي تطلب منه مدحه لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا ، خاصة يوم فقرك الأكبر ، وحاجتك العظمى.

٢ ـ أن تعلم أن مدح الناس لا ينفعك إن كنت عند الله مذمومًا ، وذمهم لا يضرك إن كنت عند الله محمودًا.

٣ ـ أن تعلم أن الرياء يحبط العمل ، وربما حوله إلى كفة السيئات.

٤ ـ إن كنت تخشى اطلاع الناس على خبث باطنك ، وسواد قلبك في الدنيا، فالله تعالى مطلع عليك ، وسيفضحك يوم القيامة أمام الجمع الأكبر، وعلى رؤوس الأشهاد.

---

(١) رواه مسلم (١٣/ ٥٠) نووي ،والنسائي (٦/ ٢٤).

(٢) البخاري (١/ ١٣٦) فتح ، ومسلم (١٨/ ١١٦) نووي.

واعلم أن الشيطان يدعوك أولاً لترك العمل ، فإن عجز دعاك إلى الرياء فيه، فإن وجد منك إخلاصًا قال لك: هذا العمل ليس خالصًا ، وأنت مراء، وتعبك ضائع حتى يحملك على ترك العمل.

فانتبه ـ حفظك الله ـ ولا تطع الشيطان ، فإنه عدو مضل مبين.

وكان كثير من السلف إذا ألهاهم الشيطان عن طاعة؛ فعلوها مضاعفة غيظًا للشيطان.

قال إبراهيم التيمي: إن الشيطان ليدعو العبد إلى الإثم ، فلا يطعه ، وليحدث عند ذلك خيرًا فإذا رآه كذلك تركه.

ثم اعلم أن الرياء إما أن يدخل في أصل العمل ، أو في أوصافه ، فإن دخل في أصل العمل ـ يعني : كان هو الدافع والباعث عليه ـ بطل بالإجماع، وإن دخل الرياء في أوصاف العمل ـ كطول في ركوع أو سجود ـ ففيه قولان:

أحدهما : يبطله .

والآخر : لا يبطله ، ولكن ينقص من أجره[1].

* * *

10 ـ العجب:

ومن مداخل الشيطان الخبيثة: العجب:

والعجب : هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب يختلف عن الكبر ، فالكبر له ثلاثة أركان:

---

(١) انتهى مختصرًا من «وقاية الإنسان» (صـ ١٩٦ ـ ١٩٩).

«متكبر ـ ومتكبر به ـ ومتكبر عليه».

والعجب ليس لـه إلا ركنان اثنان: معجب، ومعجـب به فقط، ولكن العُجب هو الدرجة الأولى في سلم الكبر ، فنعوذ بالله منهما.

والعجب أنواع:

أ ـ فمن الـناس من يعـجب بصحتـه وقوته وتنـاسب أعضائـه وحسن صورته.

فليعلم أن ذلـك من نصيب الدود ، وأن كل من عليـها فان ، وقد قال سليمان عليه السلام : «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل منهن تنجب فارسًا يجاهد في سبيل **الله**، ولم يقل : إن شاء **الله** ، فلم ينجب منهن إلا واحدة ، ولدت نصف طفل ، قال رسول **الله** ﷺ : «**لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله**»[1].

ب ـ ومن الناس من يـعجب بعقله وفطـنته واستكشافه لـبطائن الأمور الدينية والدنـيوية، وثمرة هذا العجب أن تجـده مستبدًا برأيه مستجـهلاً لغيره معرضًا عن سماع آراء الآخرين ، فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه **الله** بمرض في دماغه لـجُن عقله ، وطار لُـبُّه وذهب فكره ، فلـيحمد **الله** على الـعافية وليشكره على النعمة.

جـ ـ ومن الناس من يـعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا مـحالة: أليس هو فلان ابن فلان المنسب من الحسن أو الحسين؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عملـه لم يسرع به نسبـه، وأن النبي ﷺ نادى أقرب الـناس إليه : «**يـــا فاطمة! اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا**»[2].

(١) رواه البخاري (٥/ ٣٤) فتح ، ومسلم (١١/ ١١٨) نووي.

(٢) البخاري (٨/ ٥١) فتح ، ومسلم (٣/ ٧٩) نووي.

د ـ ومن النـاس من يعجـب بكثرة أولاده ، وأهـله وعشيـرته ، وهذا يكفيه قـول الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبـس: ٣٤ ـ ٣٧] ، فأي عجب بـمن يتركك في أشد أحوالك ويهرب منك في أحرج أوقاتك؟!

هـ ـ ومن الناس من يعجب بماله وغناه فليقرأ قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ، وقـول رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يتـبختر في حلة قد أعجبته نـفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[1].

وقصة قارون أكبر دلـيل على هذا ، وقد بسطها القـرآن ؛ لتكون عبرة لمن يعتبر.

و ـ ومن الناس من يعجب بعبادتـه ، وهذا إنما أوتي من جهله ؛ لأنه لا يدري أقبلت عبادته أم لا؟ قال مسروق ـ رحمه الله ـ : «كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله».

وقال عـمر رضي الله عنه إن من صلاح توبتك أن تـعرف ذنبك ، ومن صلاح عملك أن ترفض عُجبك، ومن صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وقال مطـرف بن عبدالله ـ رحـمه الله ـ لأن أبيت نـائمًا وأصبـح نادمًا أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

وقال البخاري : قال ابن أبي مليكـة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ، كلهم يخاف النفاق على نفسه.

علاج العجب:

قال أبو اللـيث السمرقنـدي : من أراد أن يكسر العـجب فعليه بـأربعة أشياء:

(١) رواه البخاري (١٠/ ٢٥٨) فتح ، ومسلم (١٤/ ٦٤) نووي.

أولاً : أن يرىٰ التوفيق من الله تعالىٰ . ، فإذا رأىٰ التوفيق من الله تعالىٰ فإنه ينشغل بالشكر ولا يعجب بنفسه .

والثاني : أن ينظر إلىٰ النعماء التي أنعم الله بها عليه ، فإذا نظر في نعمائه اشتغل بالشكر عليها ، واستقل عمله ، ولم يعجب به .

والثالث: أنه يخاف ألا يُتقبل منه ، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه .

والرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك ، فإذا خاف أن ترجح سيئاته علىٰ حسناته فقد قل عُجبه ، وكيف يعجب المرء بعمله؟ ولا يدري ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة ، وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب[١] .

* * *

١١ - العجلة وترك التثبت:

ومن مداخل الشيطان علىٰ الإنسان : «العجلة وترك التثبت» .

قال النبي ﷺ : «**الأناة من الله، والعجلة من الشيطان**»[٢] .

وكثيرًا ما يفوت المرء علىٰ نفسه مصالح كثيرة ، وسببها العجلة ، وعدم التريث ، وذلك لأن الشيطان يروج شره علىٰ الإنسان في تلك الحال علىٰ حين لا يستطيع الشيطان ذلك إذا ما تبصر المرء في أمره ودرسه من جميع جوانبه .

وليس غريبًا أن يقول ﷺ لأشج عبد القيس : «**إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم ،والأناة**»[٣] . وكفىٰ بهدي القرآن : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن**

(١) «تنبيه الغافلين» (صـ ٢٥٢) .

(٢) **حسن**. رواه الترمذي ، وله شواهد يرتقي بها . انظر : «جامع الأصول» (١١/ ٦٩١) . وانظر «صحيح الجامع» (٣٠١١) ، و«الصحيحة» (١٧٩٥) .

(٣) رواه مسلم وغيره .

جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦](١).

وكثيرًا ما تدفع العجلة للوقوع في كثير من الشبهات والمهالك.

فالعجلة وعدم التثبت قد يوقعان المؤمن في غيبة أخيه.

والعجلة قد تقذف بالمؤمن للوقوع فيما حرم الله.

والعجلة قد تتسبب بوقوع الفتن والكوارث في حياة الجماعات، ولهذا كله كان رسول الله ﷺ يحذر من مغبة العجلة، فيقول: «**العجلة من الشيطان، والتأني من الله تعالى**»(٢).

* * *

12 ـ الشبع من الطعام:

ذلك لأن الإكثار من الطعام ـ وإن كان حلالاً ـ يقوي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان، يقول ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(٣).

ويقال: في كثرة الأكل ست خصال مذمومة:

أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه.

الثاني: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه؛ لأنه يظن أنهم كلهم شباع.

(١) انظر الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان للشيخ عبدالله الجارالله صـ ٢٨ ط. دار العقيدة.

(٢) «الشدائد في حياة الدعاة» (صـ ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) **صحيح.**

رواه الترمذي وأحمد وغيرهما «صحيح الجامع» (٥/ ١٥٥)، و«صحيح الترمذي» (١٩٣٩).

والثالث: أنه يثقل من الطاعة.

والرابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد لها رقة.

والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس.

والسادس: أنه يهيج فيه الأمراض(١).

هذا كله في حال الإكثار من الطعام الحلال، أما الحرام فالأمر أشد وأنكى، ويكفي قوله ﷺ: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢).

* * *

13 ـ التكاسل عن الطاعات وارتكاب المحرمات:

ومن أكبر المحرمات بعد الشرك بالله تعالى التهاون بالصلاة إما بتركها بالكلية ـ نسأل الله السلامة من الكفر وأهله ـ أو التهاون بصلاة الجماعة، واسمع تحذير المصطفى ﷺ من غلبة الشيطان على الإنسان بسبب التهاون في الصلاة، يقول ﷺ: «**ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة؛ إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»(٣).

ومن المحظورات أيضًا: التعامل بالربا، وفيه يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

(١) «إحياء علوم الدين» (٨/ ١٣٩٦).

(٢) **صحيح**.

رواه البيهقي في «الشعب»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي بكر «صحيح الجامع» (٤٥١٩).

(٣) **حسن**.

رواه أحمد وغيره «صحيح الجامع» (٥٧٠١) عن أبي الدرداء.

وبالجملة ، فالوقوع في المآثم والمحرمات سبب جالب لسيطرة الشيطان على الإنسان، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢][1].

* * *

14 ـ الرفيق السيئ:

وللشيطان مدخل عن طريق رفقة السوء ، وكيف لا يكون ذلك؟ وهم يزينون لك المنكرات ، ويبغضون إليك الطاعات ، وكم من لبيب أودت به رفقة السوء إلى سفاسف الأمور، بدل أن كان يعيش في معاليها، وكيف لا يكون ذلك من مداخل الشيطان؟ والرسول ﷺ يصف الجليس السوء بنافخ الكير، الذي إن لم يحرق ثيابك أصابك من رائحته الكريهة؟!

وكيف لا تنتهي عن قرناء السوء؟ والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وما موقفك يوم القيامة حين تعض على يديك وتقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩]؟.

* * *

15 ـ الشهوة:

والشهوة من أوسع مداخل الشيطان إلى النفس البشرية ، وأعني بالشهوة شهوات الجسد كلها ، شهوة البطن للطعام، وشهوة الفرج للجماع، وشهوة النفس للمال.

---

(١) «الأسباب» (صـ ٢٩ ـ ٣٠).

ولذلك نظم الإسلام وسائل إشباع هذه الشهوات، وبين حدودها ومعالمها حتىٰ لا تكون سبيلاً يدخل منه الشيطان إلىٰ النفس ويفسدها ويخربها.

ففي شهوة البطن حذر رسول الله ﷺ من التخمة بقوله: «**ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه**»[1].

وفي شهوة الفرج قال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[2]، وقال تعالىٰ: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾.

وفي شهوة النفس للمال يصف الله المؤمنين بقوله: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ويصفهم رسول الله ﷺ فيقول: «**ليس الغنىٰ عن كثرة العرض، ولكن الغنىٰ غنىٰ النفس**» [متفق عليه][3].

ومن الشهوات:

شهوة الانتقام التي قد تدفع إلىٰ الغضب.

وشهوة العزة بالإثم التي قد تؤدي إلىٰ رد الحق.

* * *

١٦ - وهناك مداخل أخرىٰ للشيطان منها:

أ - الجزع والهلع.

---

(١) صحيح. رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه والحاكم «إرواء الغليل» (١٩٨٣) «صحيح الجامع» (٥٦٧٤).

(٢) رواه البخاري، عن سهيل بن معاذ.

(٣) «الشدائد في حياة الدعاة» (ص ٥١ - ٥٢).

ب ـ اتباع الهوىٰ.

جـ ـ سوء الظن بالمسلمين.

د ـ احتقار المسلم.

هـ ـ احتقار الذنوب.

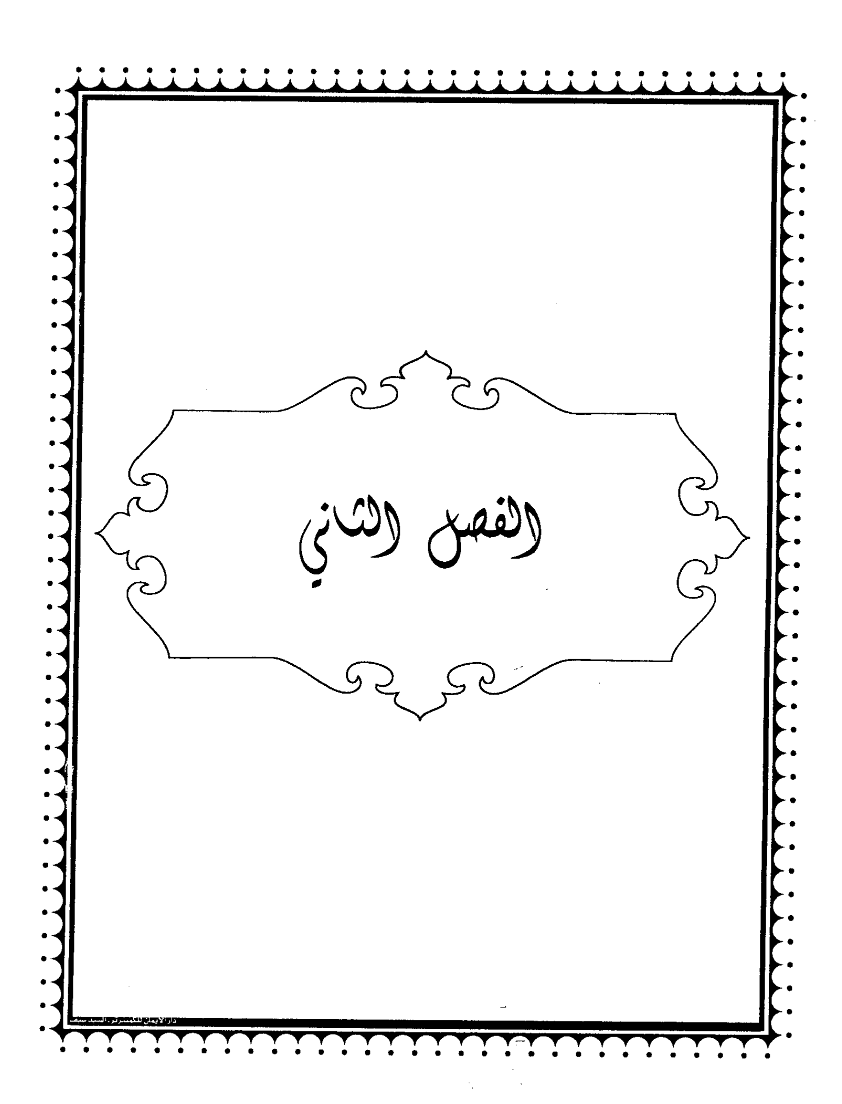
و ـ الأمن من مكر الله.

ز ـ القنوط من رحمة الله.

وأترك تفصيلها لعدم خفائها[1].

(١) يمكن الرجوع في تفصيلها إلـى «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» (صـ ٢٠١ ـ ٢٢٥) للشيخ وحيد عبدالسلام بالي حفظه الله.





الفصل الثاني



كيف تسد مداخل الشيطان؟

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالى : ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

من هذا يتبين لنا أن تقوى الله تعالى، والاستعاذة به، ودوام ذكره ومراقبته، وحسن عبادته، من أهم عوامل الوقاية من الشيطان الرجيم.

قال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

ويحكى أن محمد بن واسع كان يقول : كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم! إنك سلطت علينا عدوًا بصيرًا بعيوبنا ، يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم. اللهم! فآيسه منا كما آيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير.

قيل: فتمثل له إبليس يومًا في طريق المسجد، فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال: وما أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: وما تريد؟ قال: أريد ألا تعلم أحدًا هذه الاستعاذة ، ولا أتعرض لك، قال: والله لا أمنعها من أرادها فاصنع ما شئت.

فالذاكرون الله كثيرًا والذاكرات ، والتائبون إلى الله من ذنوبهم والتائبات، والمستغفرون والمستغفرات ، هم الذين يستعصون على الشيطان، ويتعبونه ، ثم لا يبلغ منهم مراده، أما الغافلون عن ذكر الله والمصرون على

المعصية ، والمتكاسلون عن العبادة الـذين لا تتجافى جنوبهم عن المضاجع . الذين جعلوا الدنيا أكبر همهم ، فهـؤلاء كالخاتم في يد الشيطان ، يصنع بهم ما يشاء.

ومن هنا تبين لنا أن دعاة الإسلام أشد تعرضًا لمكائد الشيطان وإلقاءات الشر منهم من غيرهم.

فقد تكون وسوسة إبليس في نفس الداعية من جانب الكبر ، والغرور، غرور العلم ، والتـدين، والصلاح . فيرى أنه أحسن حالاً ومـقالاً من سائر خلق الله، فإذا وجد ذلك فليستعذ بالله من نفخة الكبرياء.

وقد تكون وسـوسة إبليس في نـفس الداعية من جـانب الدنيا وزينـتها فيرى أنه محروم منها مقصر بحق نفسه وعياله، وأنه أقل دخلاً من سواه، فما المانـع من أن يأخذ بحـظ نفسه ، ويسـعى وراء تحسـين حاله ، ومضـاعفة دخله، وقد يستمر الحال على هذا المنوال حتى تكون النتيجة: استحواذ حب الدنيـا على قلبـه ، وانشغاله بـها عن ربه، فـيترك الثغـرة التي هو علـيها ، والجهاد الذي هو فيه ، ويرتحل من مكان إلى آخر ، ومن بلد إلى بلد سعيًا وراء كسب أوفر ودخل أكبر.

وقد تكون وسوسة إبليس للداعية من جانب الخوف والجبن فيقذف في نفسه الوهن: [قيـل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال : «**حب الـدنيا وكراهـية المـوت**»][1] فيرى أنه في غنى عن أن يتـشرد أو يسجن ، أو يقتل؛ لأن في ذلك تشريد عياله. وماذا عليه لو يـخفف؟؟ وهكذا تتفاعل هذه الإلقاءات في النفس حتى تقذف به بعيدًا بعيدًا عن مسيرة الجهاد ، ودعوة الحق.

(١) **صحيح**.

رواه أحمد ، وأبو داود من حديث ثوبان «صحيح الجامع» (٨١٨٣).

وإلى هذا المعنى أشار رسول الله ﷺ بقوله : «**إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه كلها ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك، ويقسم مالك؟ فعصاه فجاهد**» فقال رسول الله ﷺ : «**فمن فعل ذلك فمات كان حقًا على الله أن يدخله الجنة**»[1][2].

---

(١) **صحيح**.

رواه أحمد ، وابن حبان ، والنسائي من حديث سبرة بن أبي الفاكه. وهو في «صحيح الجامع».

(٢) انظر «الشدائد في حياة الدعاة» (صـ ٥٤ ـ ٥٧) ملخصًا.




الباب الثالث
مكائد الشيطان
لبني الإنسان



تمهيد

عظم كيد الشيطان

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الشيطان اللعين ذو كيد مشين وشباك وفخاخ وشراك وحبائل يصطاد بها بني آدم لا يتعب من ذلك ولا يستكين .

وماذا نتوقع من مخلوق كاد لنفسه قبل أن يكيد للخلق؟ فأردى نفسه المهالك . ثم كاد للأبوين - آدم وحواء - ثم لم يقتصر على ذلك بل كاد ذرية نفسه وذرية آدم فكان مشؤما على نفسه وعلى ذريته وأوليائه وأهل طاعته من الجن والإنس .

أما كيده لنفسه : فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام كان في امتثال أمره وطاعته وسعادته وفلاحه وعزه ونجاحه . فسولت له نفسه الجاهلة الظالمة أن في سجوده لآدم عليه السلام غضاضة عليه وهضما لنفسه إذ كيف يخضع ويقع ساجدا لمن خلق من طين وهو مخلوق من النار؟- والنار- بزعمه - أشرف من الطين فالمخلوق منها خير من المخلوق منه وخضوع الأفضل لمن هو دونه غضاضة عليه وهضم لمنزلته . فلما قام بقلبه هذا الهوس وقارنه الحسد لآدم لما رأى ربه سبحانه قد خصه به من أنواع الكرامة فإنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وميزه بذلك عن الملائكة وأسكنه جنته فعند ذلك بلغ الحسد من عدو الله كل مبلغ .

فجمع بين الجهل والظلم والكبر والحسد والمعصية ومعارضة النص بالرأي والعقل فأهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها ووضعها من حيث أراد رفعتها وأذلها من حيث أراد عزتها وآلمها كل الألم من حيث أراد لذتها . ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه في مضرته لم يبلغ منه ذلك المبلغ . ومن كان هذا غشه لنفسه فكيف يسمع منه العاقل ويقبل ويواليه ؟

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف : الآية ٥٠] .

وأما كيده للأبوين : فقد قص الله سبحانه علينا قصته معهما وأنه لم يزل يخدعهما ويعدهما ويمنيهما الخلود في الجنة حتى حلف لهما بالله جهد يمينه : أنه ناصح لهما حتى اطمأنا إلى قوله وأجاباه إلى ما طلب منهما فجرى عليهما من المحنة والخروج من الجنة ونزع عنهما لباسهما ما جرى .وكان ذلك بكيده ومكره الذي جرى به القلم وسبق به القدر ورد الله سبحانه كيده عليه وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته فأعادهما إلى الجنة على أحسن الأحوال وأجملها وعاد عقابه ومكره عليه : ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ [فاطر : ٤٣] ظن عدو الله بجهله أن اللعبة والظفر له في هذه الحرب ولكن الله تعالى استمع إلى الأبوين ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف : ٢٣] فقال الله ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه : ١٢٢] .

ثم كاد أحد ولدي آدم ولم يزل يتلاعب به حتى قتل أخاه وأسخط أباه وعصى مولاه . فسن للذرية قتل النفوس وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ قال: «**ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» . فكاد العدو هذا القاتل بقطيعة رحم وعقوق والديه وإسخاط ربه . وظلم نفسه وعرضه لأعظم العقاب وحرمه حظه من جزيل الثواب . [1]

ومن مكائده للنبي ﷺ ودعوته:

ولم ييأس إبليس ـ اللعين ـ من أحد من الخلق ، حتى أشرف الخلق من الأنبياء والمرسلين، فكاد لهم أعظم الكيد.

وقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي

(١) انظر : (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) للعلامة ابن القيم رحمه الله (ج٢/١٩٨) ط مكتبة التراث .

فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه ، فخنقه ، قال رسول الله ﷺ : «**حتى وجدت برد لسانه على يدي**»(1).

وقال ﷺ : «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ...**»(2).

وقد روي أنه لما أسري برسول الله ﷺ رأى عفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول الله ﷺ رآه ، فقال جبريل : أفلا أعلمك كلمات إذا قلتهن طفئت شعلته، وخرَّ لفيه... »(3).

وعن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلي ، فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**» ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله**»، وبسط يده ثلاثًا كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: «**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت: أعوذ بالله ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه ، ووالله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثوقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**».

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان عرض لي ، فشدَّ علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنني الله منه ، فذعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام : ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرده الله خاسئًا**»(4).

---

(1) **حديث صحيح.**

رواه النسائي بإسناد على شرط البخاري.

(2) مسلم (٥/ ٣٠) «نووي».

(3) رواه مالك في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد مرسلاً.

(4) رواه البخاري (١/ ٥٤٤) «نووي» ، ومسلم (٥/ ٢٩) «نووي».

ونقل الحافظ في «الفتح» عن النضر بن شميل قال: «فذعته» ، أي: خنقته.

وعن أبي التياج قال: قلت لعبدالرحمن بن خنبش التميمي ، وكان كبيرًا : أدركت رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع ليلة كادته الجن والشياطين؟ قال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب ، ومنهم شيطان بيده شعلة من نار ، يريد أن يحرق وجه رسول الله ﷺ ، فهبط إليه جبرائيل فقال: يا محمد! قل. قال: ما أقول؟ قال: قل : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن. قال: فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى[1].

ومن مكائده للنبي ﷺ :

أنه تآمر مع أهل مكة للخلاص من النبي ﷺ حين تصور بصورة شيخ من نجد واجتمع مع الكفار في دار الندوة حيثما جلسوا يتشاورون في أمر رسول الله ﷺ .

وكانوا كلما رأوا رأيا عرضوه عليه فيقول: ليس هذا برأي . حتى اقترح أبو جهل القتل فقال : الشيخ النجدي : هذا هو الرأي والقصة مشهورة وقد رواها أصحاب السير [2].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «مختصر الترغيب والترهيب» (صـ ٨٤) : رواه أحمد وأبو يعلى بسندين جيدين محتج بهما، ورواه مالك في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد مرسلاً ، وأخرجه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/١٧٦) .

ومن ذلك أيضا : تآمره مع المشركين في غزوة بدر حين ظهر في صورة سراقة بن مالك سيد بني مدلج وجاء مع المشركين بجنده . وقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الفريقان أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل : يا سراقة أتزعم أنك لنا جار ؟ فقال : إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة قاله ابن عباس[1] .

ومن ذلك أيضا : صياحه معلنا قتل رسول الله ﷺ يوم أحد مما كان له الأثر السيء في نفوس كثير من المسلمين .

فقد روى الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نصر الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ كما نصره يوم أحد فأنكر ذلك عليه البعض فقال ابن عباس: بيننا وبين من أنكر ذلك كتاب الله عزَّ وجلَّ إن الله تعالى يقول في يوم أحد ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

والمعنى بهذه: الرماة . ،ذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا . فلما غنم النبي ﷺ وأبا حوا عسكر المشركين أكب الرماة في العسكر ينهبون وقد التقت الصفوف فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ وصاح الشيطان : قتل محمد : فلم يشك في أنه قد قتل .فما زلنا كذلك ـ أي :

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٣١٧) .

علىٰ شكـنا أنه قتل، حتـىٰ طلع علينا رسـول الله ﷺ بين السعديـن، نعرفه بكتفيه إذا مـشىٰ، قال: ففرحنا حتىٰ كأنـه لم يصبنا ما أصابنا، فـأومأ نحونا وهو يقول: «**اشتد غضب الله علىٰ قوم أدموا وجه نبيهم**»، ويقول مرة أخرىٰ : «**اللهم! إنه ليس لهم أن يصلوا**»، **ثم إن أبا سفيان بن حرب راح يصيح في** أعلىٰ الجبل: اعل هـبل ـ مرتين ، يعني إلـهه ـ أين ابن أبـي كبشة؟ ـ يقصد النبي ﷺ ـ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله! ألا نجيبه؟ قال: «بلىٰ» فلما قال: اعل هبل، قال عمر: الله أعلىٰ وأجل، ثم قال: أين ابن أبي كبـشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الـخطاب؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبـو بكر ، وهذا عمر، قـال: فقال أبو سفـيان: يوم بيوم بـدر، والأيام دول ، وإن الحرب سجـال، قال: فقال عـمر: لا سواء، قتلانا في الـجنة، وقتلاكم في النـار. قال أبو سفيان: إنه كانـت في قتلاكم مُثْلة [أي تشويه لأجساد الشهداء بعد قتلهم] والله ما رضيت ، ولا سخطت، ولا أمرت ، ولا نهيت، ثم أدركته حمية الجاهلية فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نكرهه(١).

ومن مكائده للنبي ودعوته أيضًا:

صراخه يوم بـيعة العقبـة ، ونداؤه يندب المشـركين ، ويعلمـهم بأمر البيعة.

فقد ذكر أهل المغازي والسير أنه لمـا انصرف المسلمون من أهل يثرب عائدين إلىٰ بلادهم بعد بيعة العقبة الأولىٰ بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب ابن عـمير ، وأمره أن يـقرئهم الـقرآن ، ويعلـمهم الإسلام، ويـفقههـم في الدين، فكان يسمىٰ بالمدينة : «المقـرئ» ففتح المدينة بالقرآن ، وأسلم معه

(١) انظر : «الـمختار مـن مصائب الإنـسان من مكـائد الشيـطان» لابن مفـلح (صـ ١٠٥ ـ ١٠٧).

خلق كثير. ثم إن مصعبًا رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حتى إذا أراد الله بهم ما أراد من كرامته ونصر دينه وإعزاز نبيه ، قال كعب بن مالك: فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبدالله بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، قلنا له: إننا نرغب بك أن تكون حطبًا للنار غدًا ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة ، فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبًا، فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان، فأتانا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويستوثق له، فلما جلس قال العباس: يا معشر الخزرج! إن محمدًا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا فهو في عز ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الاجتياز إليكم واللحاق بكم فإن كنتم وافين له بما وعدتموه وما نعيه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه.

قال : فقلنا : قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال : (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا [1] فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحروب والحلقة

(١) أزرنا : بضم الهمز والزاي : جمع إزار . وكنُّوا بها عن النساء أو عن النفوس .

(السلاح) ورثناه كابرًا عــن كابر . فقام أبو الهيثم بن التـيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوهـا (يعني اليهود) فإن فعلنا ذلك ثم أظهرك إليه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم [1] أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم - قال كعب بن مالك كان أول من ضرب على يد النبي ﷺ البراء بن معرور ثم بايع القوم .

فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطـان من أعلى العقبة بأنفذ صوت ما سمتعـه قط : يا أهل الجباحب - الـمنازل - هل لكم في مذمـم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة . هذا ابن أزيب [2]. أي عدو الله أما والله لأفرغن لك [3].

قال في اللسان : رجل مذمم : أي مذموم جدا .

والصباة : جمع صابئ وهو التارك لدينه ويقصد رسول الله والمسلمين ويريد الشيطـان أن يعلم كفار قريش ببيـعة العقبة لتتداركوا الأمـر قبل انتشاره ولكن الله أرغم أنف الشيطان وأظهر دين الإسلام على كل الملل والأديان .

والسؤال الآن:

هل بلغ صوت إبليس إلى المشركين؟

والجواب نعم . فقد جاء في تكـملة الحديث : ثم قال رسول الله ﷺ

---

(١) الهدم بإسكان الدال وفـتحها : إهدار الدم وبالتحريك القـبر . أي إن أهدروا دمكم فقد أهدروا دمي .

(٢) الأزب بين أزيب : اسم شيطان .

(٣) انظر : مصائب الإنسان (صـ٩٩ : ١٠١) و«البداية والنهاية» (٣/ ١٦٤).

«**امضــوا إلىٰ رحــالكــم**» فقال سعد ابــن عباس : والذي بعثك بالــحق بشيرًا ونذيرًا إن شئت لنميلن على أهــل منى غدًا بأسيافنا ، فقال رسول الله ﷺ : «**لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلىٰ رحالكم**» فرجعنا إلىٰ رحالنا فنمنا عليها حتىٰ أصبحنــا، فلما أصبحنا جاءتنــا قريش فقالوا: يا معشر الــخزرج، بلغنا أنكم أتيتم صاحبــنا تخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعــونه علىٰ حربنا ، وإنه والله ما من حي مــن العرب أبغض إليــنا من أن ينشب الــحرب بيننا وبــينهم منــكم. قال: فحــلف مشــركوا قومنــا بالله أنه مــا كان من هذا شــيء، وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموه ، قال: وبعضنا ينظر إلىٰ بعض». اهـ

صور من مكائد الشيطان لبني الإنسان .

١- من مكائد الشيطان ملازمته الدائمة للعبد لإفساد أحواله عليه :

وقد أشار إلىٰ ذلك النــبي ﷺ في قوله : «**ما مــنكم من أحــد إلا وقد وكل به قرينــه من الجن**» قالوا: حتىٰ أنــت يا رسول الله ؟ قال : «**حتــىٰ أنا ولكن الله أعــانني علــيه فأسلم فــلا يأمرني إلا بــخير**» وقــد تقــدم أن قولــه: (فأسلم) قيل منها : أسلم الشيطان . وقيل أسلم : أي أنجو أنا منه . وقيل: أي استسلــم وانقاد لي وهذا الأخير هو الــذي رجحه شيخ الإسلام بن تــيمية رحمه الله .

وعن عائشة قــالت : خرج رسول الله ﷺ من عندي ليلا فــغرت عليه فجاء فرأىٰ ما أصنــع فقال : «مالك يا عائشة أغرت؟ فقــلت: ومالي لا يغار مثلي علىٰ مــثلك ؟ قال : «أفأخذك شيطانك ؟» فقلــت : أو معي شيطان ؟ قال :«**نعم**» قلت : ومع كل إنسان ؟ قال :«**نعم**» قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال: «**نعم ولكن ربي عزَّ وجلَّ أعانني عليه فأسلم**» رواه البخاري .

ومن صور هذه الملازمة :

أ - عند جماع المرأة [1] :

فعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا**» متفق عليه .

قال ابن الـجوزي في «كشـف المشكـل» يحتمـل أن لا يضره شيـطان بالكفر فيحفظ عنه ويحتمل أن يحفـظ عن الكبائر . ويحتمل أن يكون توفيقه للتوبة إذا زل).

وقال عطاء في قوله تعالى : ﴿**وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ**﴾ [البقرة : ٢٢٣] قال : التسمية عند الجماع [2].

ب- النخسة عند الولادة :

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : «ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد فـيستهل صـارخا من مس الشـيطان إياه إلا مـريم وابنها . ثـم قال أبو هريـرة : (اقرءوا إن شئـتم : ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران : ٣٦] . رواه أحمد والشيخان .

وأجرى أهل السنة هذا الحديث على ظاهره من غير تحريف ولا تأويل على عادتهم في ذلك وأولته المعتزلة . وظاهر الحديث أن الشيطان يمس كل مولود إلا مـن استثنى ويـدخل في ذلك ما لـو ذكر اسم الله عند الـجماع . والحديث في ذلك إنما جاء بنفي الضرر لا بنفي الأذى [3].

فمما تقدم تعلم أنه لا يفلت مـولود من مسه حين يولد ، ولا يدعه من

---

(١) انظر مصائب الإنسان (ص١١٤)

(٢) مصائب الإنسان (١١٦) .

(٣) السابق (صـ١١٥)

نخسه ونزغه ، وفي رواية أبي هريرة عند مسلم : «**صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان**» .

قال النووي :

«حين يقع - أي: حين يسقط - من بطن أمه ، ومعنى نزغه: نخسه ، وطعنه ، ومنه قولهم : نزغه بكلمة سوء ، أي رماه بها» .

وقال النووي أيضًا :

«هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه ، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها، وقوله ﷺ : «**يستهل**» ، أي : يصيح . الاستهلال : الصياح»[1].

جـ- ومن ذلك : عقده على قافية الرأس إذا نام العبد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة : عليك ليل طويل، فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[2].

قال النووي :

«واختلف العلماء في هذه العقد ، فقيل: هو عَقْد حقيقي، بمعنى عقد السحر للإنسان ، ومنعه من القيام، قال تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر، وقيل: يحتمل

(١) «عداوة الشيطان» لمحمد سعيد رسلان (صـ ٢١ - ٢٢)، وانظر البخاري (٦/ ٣٣٧)، (٨/ ٢١٢) «فتح» ، ومسلم (١٥/ ١٢١) ، وفي الفضائل حديث (١٤٨) «نووي».

(٢) البخاري (٣/ ٢٤) «فتح» ، ومسلم (٦/ ٦٦) «نووي».

أن يكون فعلاً يفعلـه كفعل النفاثات في العقد ، وقيل: هـو من عقد القلب وتصميمه، فكأنـه يوسوس في نفسه ، ويحدثه بأن عليك لـيلاً طويلاً متأخر عن القيام، وقيل: هو مجازي كُنيَّ به عن تنشيط الشيطان عن قيام الليل»[١].

وقال ابن حجر:

«وقوله : يـضرب : أي : بيده علـى العقد تأكيـدًا وإحكامًا لهـا قائلا ذلك»[٢].

قال الحافظ:

«يمكن أن يقال: يختص بمن لم يقرأ آية الكرسي لطرد الشيطان».

قال النووي:

«فأصبح نشيطًـا طيب النفس» معناه مسرور بما وفقـه الله الكريم له منه الطاعة ، ووعده به مـن ثوابه ، مع ما يبارك له في نفسـه ، وفي تصرفه في كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه».

قال الحافظ:

«والذي يـظهر أن فـي صلاة اللـيل سـرًا في طيـب النفـس ، وإن لم يستحضر المصلي شيئًا من ذلك».

قال النووي:

«وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» معناه : لما عليه من عقد الشيطان ، وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنـه لم يزل ذلك عنه، وقال: وظاهر الحديث : أن من لم يجـمع بين الأمور الثـلاثة ، وهي : الذكر ، والوضـوء ، والصلاة،

---

(١) شرح مسلم (٦/ ٦٥) «نووي» .

(٢) فتح الباري (٣/ ٢٥).

فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان».

د - بوله في أذن الإنسان :

ومن مكائده : أن العبد إذا نام ليلة حتى ضربته الشمس فلم يصل حتى أصبح بال الشيطان في أذنيه .

فعن عبد الله بن مسعود ﷺقال : (ذكر عند رسول الله ﷺ) رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه . أو قال في أذنه»[1] .

قال القرطبي وغيره :

«لا مانع من أن يكون البول من الشيطان على حقيقته إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول».

وقيل معناه : أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه [2].

وقال الحافظ :

«واختلف في بول الشيطان فقيل هو على حقيقته . ثم نقل كلام القرطبي وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر . وقيل : معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر .وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به . وقيل : إن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه . كالكنيف المعد للبول إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه[3] .

(١) البخاري (٣/ ٢٨فتح) وسلم (٦/ ٦٤نووي)

(٢) عداوة الإنسان (صـ٢٥).

(٣) فتح الباري (٣/ ٢١) .

وروى الإمام أحمد ، عن الحسن البصري قال : «إن بوله والله لثقيل» .

وقال ابن مسعود: حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح ، وقد بال الشيطان في أذنه»[1].

هـ - ومن مكائده : أنه لا يفارق الإنسان في طعامه وشرابه ومبيته:

فعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»[2].

وعن حذيفة قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده . وإنا حضرنا معه طعاما فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها . ثم جاء أعرابي كأنما يُدفع ، فأخذ بيده رسول الله ﷺ ، ثم قال: «**إن الشيطان يستحل الطعام، أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها**» ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها) [3] زاد مسلم في روايته : (ثم ذكر اسم الله وأكل) ومعنى تدفع : أي تجري بسرعة كأن شيطان يدفعها من خلفها .

وعن جابر بن عبدالله أنه سمع النبي ﷺ يقول : «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله عند دخوله ، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال: أدركتم المبيت والعشاء**»[4] .

(١) «الفتح» (٣/٢٩).

(٢) مسلم (١٣/ ١٩١نووي)

(٣) مسلم (١٣/ ١٩٠نووي) .

(٤) مسلم (١٣/ ١٩٠) «نووي».

وفي قصة الشاب الذي كان حديث عهد بعرس ، وأنه قتل الحية فمات. وفيها : فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم شيئًا فأذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان**»[1].

وعن جابر قال رسول الله ﷺ : «**إن كان جنح الليل ـ أو أمسيتم ـ فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب ، وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا ، وأطفئوا مصابيحكم**»[2].

والإيكاء : هو ربط فيِّ السقاء، وتخمير الآنية: أي تغطيتها.

قال العلماء: وفي هذا الحديث خمسة أوامر: كف الصبيان، وإغلاق الأبواب ، وإيكاء القرب ، وتخمير الآنية ، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء المصباح عند النوم.

فأما الأمران الأول :«كف الصبيان» ، والثاني: «غلق الأبواب، وذكر اسم الله» فقد بين النبي ﷺ علتهما في هذا الحديث.

وأما الثالث: «إيكاء القرب»، والرابع: «تخمير الآنية» فبين علتهما الرواية الأخرىٰ في الصحيح أيضًا أن رسول الله ﷺ قال : «**غطوا الإناء ، وأوكوا السقاء ، وأغلقوا الباب ، وأطفئوا السراج ، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابًا ، ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض علىٰ إنائه عودًا، ويذكر اسم الله فليفعل**»[3].

---

(١) مسلم (١٤/ ٢٣٥) نووي.

(٢) البخاري (١٠/ ٨٨) «فتح» ، وسملم (١٣/ ١٨٥) «نووي».

(٣) البخاري (٦/ ٣٥٠) «فتح» ، ومسلم (١٣/ ١٨٤) «نووي»

وأما الأمر الخامس : «إطفاء المصابيح» فبين علته الحديث الذي رواه أبو داود ، وصححه الحاكم وابن حبان ، عن ابن عباس قال: «**جاءت فأرة فجرت الفتيلة فألقتها بين يدي النبي ، فقال النبي ﷺ : إذا نمتم فأطفئوا سراجكم ، فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فيحرقكم**» .

قال الحافظ في هذا الحديث:

«بيان الحامل للفأرة على جر الفتيلة ، وهو الشيطان فيستعين ، وهو عدو الإنسان عليه بعدو آخر وهي النار، أعاذنا الله بكرمه من كيد الأعداء إنه رؤوف رحيم»[1] .

وعن جابر مرفوعًا : «**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء ، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء**»[2] .

و -أن الشيطان يبيت على خيشوم العبد :

فمن عداوته أنه يبيت مرتصدًا للعبد على أنفه فإذا قام العبد فلم يستنثر وصلت وسوسة الشيطان إلى قلبه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خيشومه**» [3] .

---

(١) «الفتح» (١١/ ٨٦) .

(٢) رواه مسلم (١٣/ ١٨٦) «نووي» .

والفواشي : المال المنتشر كالإبل والبقر وغيرها .

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل : كان أبي ينام نصف النهار شتاءً وصيفًا ، ويأخذني بذلك ويقول: قال عمر بن الخطاب : قيلوا فإن الشياطين لا تقيل . ورواه أبو نعيم عن أنس مرفوعًا ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٦٤٧) ، والشاهد : أن الإمام أحمد كان يكف أولاده في وقت القيلولة ، وقيل للحسن: أينام الشيطان ، فقال: لو نام لاسترحنا .

(٣) رواه البخاري ومسلم (خ٦/ ٣٤٣فتح) ومسلم (٣/ ١٢٧ نووي) .

والخيشوم : الأنف والاستنثار هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه والمقصود هو تنظيف الأنف من الداخل .

قال القاضي عياض:

«يحتمل أن يكون قـوله ﷺ : فإن الشيطان يبيت على خـياشمه» على حقيقته، فإن الأنف أحد منافذ الجسـم التي يتوصل إلى القلب منها . قال : ويحتمل أن يكون على الاستعارة. فإن ما ينـعقد من الغبار ورطوبة الخياشيم قذارة توافق الشيطان» [(١)].

وقال الحافظ :

«ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم ويحتمل أن يكون مخصوصا بمن لم يحـترز من الشيطـان بشيء من الذكر . كـحديث أبي هريرة الـذي فيه : (فكـانت له حرزاً مـن الشيـطان) وحديث آيـة الكرسـي وفيه (ولا يقـربك شيطان) ويحتمل أن يكون المراد بنـفي القرب هنا لا يقرب من المكان الذي يوسوس فيه وهو القلـب فيكون مبيته على الأنف ليتوصـل منه إلى القلب إذا استقيظ» [(٢)].

2- ومن مكائد الشيطان لبني آدم : بالحسد :

ومن مكائد الشيطان للإنسان : الحسد . فالجن بصفة عامة يحسدون الإنس.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (العين عينان عين إنسية وعين جنية) .

فقـد صح عن أم سلـمة ﵂ أن النبـي ﷺ رأى في بيتها جـارية في وجهها سفعة فقال : «استرقوا لها فإن بها النظرة» .

(١) شرح مسلم (٣/ ١٢٧ نووي) .

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٤٣) .

قال الحسين بن مسعود الفراء: سفعة: أي نظرة يعني من الجن).[1] اهـ

وعن أبي سعيد: (كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان - حتى نزلت المعوذتين فأخذ بهما وترك ما سواها)[2].

3 - الصرع والمس الشيطاني:

ومن صور مكائد الشيطان للإنسان: الصرع والمس الشيطاني.

والصرع: عبارة عن اختلال يصيب الإنسان في عقله بحيث لا يعي المصاب ما يقول فلا يستطع أن يربط بين ما قاله وما سيقوله. ويصاب صاحبه بفقدان الذاكرة نتيجة اختلال في أعصاب المخ ويصاحب هذا الاختلال العقلي اختلال في حركات المصروع فيتخبط في حركاته وتصرفاته فلا يستطيع أن يتحكم في سيره. وقد يفقد القدرة على تقدير الخطوات المتزنة لقدميه أو حساب المسافة الصحيحة لها. ومن مظاهر الصرع عملية التخبط في الأقوال والأفعال والفكر[3].

والصرع ثابت بالقرآن والسنة والمعقول:

فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال القرطبي:

«في هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع وأن الشيطان لا يمس الإنسان ولا يكون منه مس»[4].

(١) الطب النبوي لابن القيم (صـ١٢٩) والحديث رواه البخاري (١٠/ ١٩٩فتح) ومسلم (١٤/ ١٨٥نووي).

(٢) صحيح. رواه الترمذي (٣/ ٢٦٦) وحسنه النسائي (٨/ ٢٧١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٠٢).

(٣) وقاية الإنسان (صـ٤٩) وانظر فتح الباري (١٠/ ١١٤)

(٤) تفسيره (ج١/ ١٠٠)

وقال الطبري :

«عن قتادة : أن ربا الجاهلية يبيع إلى أجل مسمى فإذا وصل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه . فقال جلَّ ثناؤه للذين يريدون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبله الشيطان في الدنيا فيصرعه من المس يعني من الجنون»[1] .

وقال ابن كثير :

«أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياما منكرا»[2] .

أما السنة ففيها أحاديث كثيرة :

منها ما رواه يعلى بن مرة قال : (رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدي. لقد خرجت في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة . قال : ناولنيه. فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرجل ثم فَغَرَ فَاه فنفث فيه ثلاثا. وقال : بسم الله أنا عبد الله إخسأ عدو الله . ثم ناولها إياه فقال : ألقينا في الرجعة في هذا المكان فأخبرينا ما فعل؟ قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال : ما فعل صبيك ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئا حتى الساعة واجتزر هذه الغنم . قال: انزل خذ منها واحدة ورد البقية ... » [3].

(١) تفسير القرطبي (٣/١٠١) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٢٦) .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤) رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه وأحد=

وفي لفظ آخر لأحمد : (إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لمم (جنون) فقال النبي ﷺ : «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**» فبرئ . قال: فأهدت إليه كبشين وشيئا من سمن وأقط (لبن جاف) قال : فقال النبي ﷺ خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر»[1] .

وعن عطاء بن رباح قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) فقالت : أصبر. فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها »[2] .

قال الحافظ :

«وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس في نحو هذه القصة أنها قالت: (إني أخشى الخبيث أن يجردني) والخبيث هو الشيطان . ورجح الحافظ أن صرع هذه المرأة (أم زفر) كان من صرع الجن لا من صرع الخلط»[3]

وعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه. قال فهمزه الموتة، ونفثه الشعر . ونفخه الكبرياء [4].

= إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٦١٧) وصححه ووافقه الذهبي .

(١) رواه أحمد . وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (مجمع ٩/٦) .

(٢) رواه البخاري (٦/ ١١٤ فتح) ومسلم (١٦/ ١٣١) نووي .

(٣) فتح الباري (١٠/ ١١٥)

(٤) رواه الترمذي (١/ ١٥٣) وأبو داود (١/ ٢٠٦) والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي

والموتة : جنس من الجنون والصرع يعتري الإنسان فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران [1].

وقال ابن كثير :

«فهمزة : الموتة وهو الخنق الذي هو الصرع» [2].

وعن أبي اليسر أن رسول الله ﷺ كان يدعو : «**اللهم إني أعوذ بك من الهرم والتردي والهدم والغم والحريق والغرق . وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأن أقتل في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا**»[3].

قال شجر : تخبطه الشيطان . إذا مسه بخبل أو جنون [4].

ومما تقدم تعلم بطلان قول من أنكر الصرع . وتعلم كذلك مشروعية علاجه بالرقى الشرعية والله أعلم .

4 ـ السهو في الصلاة :

ومن مكائد الشيطان أنه يسعى جاهدا في إفساد العبادة ومن ذلك أنه يشكك الإنسان في صلاته أو يوقعه في السهو فيترك بعض واجباتها .

روى مسلم ومالك وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أم أربعا. فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم . فإن كان صلى خمسًا شفعن له صلاته وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا**

(١) لسان العرب (٦/٤٢٩٦).

(٢) البداية والنهاية (١/٦١).

(٣) رواه أبو داود (٢/٩٢) والنسائي (٦/٢٨٣) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي «صحيح الجامع» (١٢٨٢)

(٤) لسان العرب (٢/١٠٩٤) وانظر وقاية الإنسان (صـ٤٩).

ترغيما للشيطان» .

وروىٰ البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا أحدكم قام ليصلي جاءه الشيطان فلبّس عليه حتىٰ لا يدري كم صلىٰ فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس**» .

وللسهو أحكام تراجع في كتب الفقه .

5- ومن مكائده : محاولة إفساد عبادة العبد :

من مكائد عدو الله إبليس : أنه إذا لم يستطع أن يصد العبد عن الطاعات فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة كي يحرمه الأجر والثواب وقد دلت علىٰ ذلك حوادث كثيرة في السنة من ذلك : أن بعض الصحابة جاء إلىٰ رسول الله ﷺ يقول له : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي. قال رسول الله ﷺ : «**ذلك شيطان يقال له : خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا**» . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[1].

فإذا دخل العبد في صلاته . أجلب عليه الشيطان يوسوس له ويشغله عن طاعة الله ويذكره بأمور الدنيا ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتىٰ لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل حتىٰ إذا ثوب بالصلاة أدبر . حتىٰ إذا قضي التثويب (الإقامة) أقبل حتىٰ يخطر بين المرء ونفسه يقول : اذكر كذا . واذكر كذا لما لم يكن يذكر حتىٰ يظل الرجل لا يدري كم يصلي» [2].

قال ابن مفلح ـ رحمه الله ـ :

وهذا يدل علىٰ فضل الصلاة وعظمتها وأن الشيطان يجتهد في الوسوسة

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري وأبو داود والنسائي .

في الصلاة لأنها حالة قـرب للمؤمن مناجاة فيريد اللعين إفسـادها أو تنقيصها عليـه مهما أمـكنه ولا شك أن عمـل القلب لا يبـطل الصلاة ولـو كان أمرًا محرمًا .

قال أحمد : إذا فكر في صلاته حتى شغله لا سجود عليه من يخلو من هذا ؟ من يقدر ألا يفكر ؟ وقد حكى المالكية والشافعية الإجماع على ذلك.

وقيل :إن طال عمل الـقلب أبطل كعمل البدن . اخـتاره ابن الجوزي وبعض الشافعيـة وهو قول ضعيف . وإذا لم تبطل الصلاة فـإنه ينقص أجره بذلك . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها .

وعن عمار: أنه صلى ركـعتين فخففهما فقيـل له في ذلك فقال : هل نقصت من حدودها شـيئا؟ قال : لا ولكني خففتها . إنـي بادرت بها السهو (أي سابقته لأسبقه) إنـي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن الرجل ليـصلي ولعله أن يكـون له من صلاته إلا عشرها أو تسـعها أو ثمنها أو سبـعها . حتى انتهى إلى آخر العدد**»[1] .

فإن قـيل : قال الله تعـالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون : ٤ , ٥] .

قلنا : قد ثبت بـالأخبار الصحيحة أن الوسوسة وعمـل القلب لا يبطل الصلاة ولكن ينقص من أجرها بذلك وأما ما ذكرتم من الآية . فعن أنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم قالا : الحمد لله الذي لم يقل : (في صلاتهم) وإلا كان وعيدًا لـلمؤمنين قال :قال: (عـن صلاتهم) أي ساهون عنهـا سهو ترك وقلة مبالاة والتفات إليها فالسهو في الـصلاة من أفعال المؤمنين والسهو عنها من أفعال المنافقين والكفار وقد سها النبي ﷺ في صلاته»[2] اهـ

(١) **حسن**. رواه أحمـد وأبو داود والنسـائـي ، وابن حبـان، «صحيـح الجـامع» (١٦٢٦)«صحيح أبي داود».(٧٦١).
(٢) مصائب الإنسان (صـ١١٧ : ١١٩)

ومن عداوته أن يـختلس من العـبد في عبادته اخـتلاسا يجعلـه به غير مقبل عـلى مولاه بالخشوع والإنـابة والخضوع متعـلقا عن قبلتـه بجسده أو بقلبه .

فعن عائشة ﵂ سألت النبي ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال : «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» رواه البخاري .

قال الحافظ :

«أي اختطاف بسـرعة . قيل : المختلـس الذي يختطف من غيـر غلبة ويهرب لوضـع معاينة المالك لـه . ولا النهب يأخذ بقوة . والـسارق يأخذ خفية فلما كان الشيطان قد يشغـل المصلي عن صلاته بالالتفات إلى شيء ما بغير حجة يقيمها أشبه بالمختلس» .

وقال الطيبي :

«سمي اختلاسا تصويرًا لقبح تلك الفعـلة بالمختلس لأن المصلي يقبل عليه الرب سـبحانه وتعالى والشيطـان مرتصد له ينتظر فوات ذلـك عليه فإذا التفت اغتنم الفرصة فسلبه تلك الحالة» [1]. اهـ

ومن مكـائده قتل الإنـسان : وقد يؤذيـه : وقد تقدم مـعنا في بـعض الأحاديث أن الشيطان جـاء بشهاب من نار ليحرق وجه النبـي وكما في قصة الفتى حديـث العهد بالعرس وقتلـه الحية قالوا : فلا ندري أيـهما كان أسرع موتًا الحية أم الغلام؟ . وقد تقدم الحديث .

وقد ذكروا أن سعد بن عـبادة سيد الخزرج ﵁ بال في حجـر بالشام وما أن فرغ من بوله حتى استلقي ميتا فسمعوا هاتفا يهتف بالمدينة يقول :

(١) انظر عداوة الإنسان (صـ٢٦ :٢٧)

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة : ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده[1] ولأجل هذا نهى النبي ﷺ عن البول في الجحر .

فعن قتادة عن عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ نهى أن يبال في الجحر قيل لقتادة: فما بال الجحر ؟ قال: إنها مساكن الجن[2] .

6 - ومن مكائد الشيطان التبرج والسفور:

قال تعالى : ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ﴾ [الأحزاب : ٣٢]

التبرج لغة : هو إبداء المرأة زينتها وإظهار وجهها ومحاسن جيدها للرجال وكل ما تستدعي به شهوتهم حتى التكسر والتبختر في مشيتها ما لم يكن ذلك للزوج.

وشرعًا : هو إظهار الزينة وإبداء المرأة لمحاسنها وقيل : هو التبختر والتكسر في المشية .

وقيل : هو كل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو في عين الأجانب حتى القناع الذي تستتر به المرأة إن انتخب من الألوان البارقة والشكل الجذاب لكي تلذ به أعين الناظرين فهو من مظاهر تبرج الجاهلية أيضا[3].

قال الشيخ محمد إسماعيل تحت عنوان : التبرج سنة إبليسية :

(المعركة مع الشيطان معركة جدية وأصيلة ومستمرة وضارية ولأنه عدو

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٣٧) وإرواء الغليل) (١/ ٩٤) .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٨٢) وأبو داود في الطهارة باب النهي عن البول في الجحر برقم (٢٩) والنسائي في الطهارة باب البول في الجحر (٢٣٩) وصححه ابن خزيمة وابن السكن كما في (تلخيص الحبير(١/ ١٠٦)

(٣) انظر عودة الحجاب للشيخ محمد إسماعيل ج (٣/ ١٢٥) ومراجعه .

عنيـد يصر على ملاحـقة الإنسان في كل حـال وعلى إتيانه مـن كل صوب وجهة كمـا وصفه الله تعالى فـي قوله : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦, ١٧] .

ولا عاصم لبني آدم من الشيطان إلا التقوىٰ والإيمان والذكر والاستعلاء علىٰ الشهوات وإخضاع الهوىٰ لهدىٰ الله تبارك وتعالىٰ .

ومن استـعراض ما حدث لآدم عـليه السـلام مع عدوه إبلـيس نرىٰ أن الحياء من التـعري وانكشاف السوءة شيء مذكور في طبـع الإنسان وفطرته إذ يقول الله سبـحانه : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ...﴾ [الأعراف : ٢٠] . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ :[الأعرف : ٢٢] .

وقال عزَّ من قائل : ﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ...﴾ [طه : ١٢١] . ولقد نسىٰ آدم وأخطأ وتاب واستغفر فقبل الله توبته وغفر له وانتهىٰ أمر تلك الخطيئة الأولىٰ ولم يبق منها إلا رصيد التجربة الذي يعـين ابن آدم مع صـراعه الطويل الـمدىٰ مع الشيـطان الذي يأتـيه من مواطن الضـعف منه فيغويـه ويمنيه ويوسوس له حـتىٰ يستجيب . فـيقع في المحظور . وإن قصة آدم وحواء مع إبلـيس تكشف لنا مدىٰ حرص عدو الله علىٰ كشف السوءات وهتك الأستار وإشـاعة الفاحشة وأن هذا هدف مقصود له . ومن ثم حذرنا الله عزَّ وجلَّ من هذه الفتنة خاصة فقال جلَّ وعلا : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ٢٧].

ومن هنا فإن إبـليس هو رائد الدعوة إلىٰ كشف الـعورات وهو مؤسس الدعوة إلىٰ التـبرج بدرجاته المتفـاوته بل هو الزعيم الأول لشـياطين الإنس والجن الداعين إلىٰ تحرير المرأة من قيـد الستر والصيانة والعفاف . ومن ثم قال الله تـعالـىٰ : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ : [فاطر : ٦] [1]. اهـ

قلت : وإذا تأملت حديث (أم زفر) الذي سقناه في مسألة الصرع والتي جاءت تسأل النـبي ﷺ أن يدعو الله لها . وفيه أنهـا قالت : (إني أصرع ، وإني أُتكشف، وفي الـرواية الأخرىٰ قالت: إني أخشىٰ الخبـيث أن يجردني (ثيابي) تـعني الشيطـان لعنه الله. تبين لـك أن هذه هي مهمة عـدو الله لعنه الله .

وينبغي أن ننبه في هذا المقام إلىٰ ما يـمكن تسميته تبرج الحجاب وهو أن كثيـرا من النساء المـحجبات لا يتحـجبن كما يـنبغي فترىٰ الـواحدة من هؤلاء تمشـي وتخرج وهي مكشوفة الـيدين . أو الرجلين - بـغير شراب - عاريـتين أو تكـون قد أنزلت الـنقاب إلـىٰ أطراف أنفهـا أو جوانب وجهـها ظاهرة. ولاشك أن هذا كلـه خطأ وخطر . وإذا كان بعض السلـف لما سئل هل يجوز للمرأة أن تظهر محاجر عينيها؟ يعني التجويف الداخل . فأجاب : المحاجر خناجر يعني جاذبة خطيرة . فما بالك بما ذكرنا . ولا شك أن هذا من مكر الـشيطان بأخواتنـا المحجبات . هـداهن الله إلىٰ صراطه المسـتقيم ويجب علىٰ الرجل أن يتفقد أهله ومن ولاه الله أمره في هذا والله المستعان.

والخبيث : من أسماء الشيطان كما في هذا الحديث وكما في حديث دخول الخلاء : «**إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» علىٰ رواية ضم الباء . يعني ذكران الشياطين وإناثهـم . قاله ابن الأثير كما في اللسان (٢/١٠٨٨)

(١) عودة الحجاب ج(٣ / ١٣٢ -١٣٣) .

وفي حديث أُبي بن كعب عند النسائي وفيه قول النبي ﷺ : «**صدق الخبيث**» يعني الشيطان الذي أمسكه أُبي وهو يسرق من جرن التمر الخاص به وانظر الفتح (٤/ ٤٨٩) .

7- إيقاع العباد في الشرك والكفر والتشكيك في التوحيد .

وهذه أخطر مكائد إبليس لعنه الله على الإطلاق إذ ليس بعد الكفر ذنب ولذلك فهو يدعو أولياءه إلى عبادة غير الله والكفر بالله وشريعته : ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ : [الحشر : ١٦] .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : «يا أيها الناس إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا . إن كل مال نحلته عبدا حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» .

وقال تعالى : ﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ [النساء : ١١٧ , ١١٨] .

فكل من عبد غير الله من صنم أو وثن أو شمس أو قمر أو هوى أو إنسان أو مبدئ فهو عابد للشيطان . رضي أم أبى . لأن الشيطان هو الآمر بذلك والمرغب فيه فإن عباد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة . ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**﴾ . [سبأ : ٤٠ , ٤١] .

يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك وإنما أمرتهم بذلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين الذين يتمثلون لهم كما يكون للأصنام شياطين[1] .

(١) انظر الأسباب التي يعتصم بها (ص٤٦ : ٥٠) للجار الله .

وإن اللعين لا يدع أمرا إلا تعرض له بالوسوسة حتى ليتعرض للعبد فيما يتعلق بالله العظيم يريد إفساد دين العبد وعقله بوسوسته .

ومن ذلك : تشكيك العبد في التوحيد ..

لأن التوحيد هو أساس الإسلام وصرحه الشامخ وهو السر في انتصارات المسلمين الأول وعليه قامت الإمبراطورية الإسلامية لأنه هو الذي يصنع الرجال وعليه مدار الإسلام ولهذا كانت معظم هجمات الشيطان موجهةنحو هذا الأساس وذلك الصرح .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[1].

8 - تنغيص النوم وتحزين المسلم :

فمن مكائده - أعاذنا الله منه - أنه يري الإنسان في منامه أحلاما مزعجة كي يحزنه ويؤلمه .

فعن جابر رضي الله عنه قال : (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره. فقال رسول الله ﷺ للأعرابي : «**لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك**» [2].

وعن أبي هريرة مرفوعا : «**الرؤيا ثلاثة : فالرؤيا الصالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرؤ نفسه؛ فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث الناس بها**» [3].

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٣٧ فتح) بهذا اللفظ ومسلم (٢/ ١٥٤) نووي وانظر وقاية الإنسان (صـ١٢٤: ١٢٥) .

(٢) رواه مسلم (١٥/ ٢٧) نووي وابن ماجه (٢/ ١٢٨٧) .

(٣) رواه البخاري (٢/ ٤٠٤) فتح ومسلم (١٥/ ٢١)

وعن أبي قتادة : أن رسول الله ﷺ قال : «**الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا، وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره**» [١].

أرأيت أيها المسلم كيف أن هذا العدو اللدود ساع في إدخال الحزن على قلب المؤمن بكل سبيل؟ كما يصنع في النجوى التي تخزن المؤمن بنص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ : [المجادلة : الآية ١٠] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تخلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه**» [٢].

قال ابن مفلح :

«وحدثني عمر الوراق المقرئ صاحبي قال : رأيت إبليس في النوم وأنا أقرأ القرآن ، وهو أسود - فقال لي : أنت من أهل النار قرأت أو لم تقرأ . فقال لي بعض المعبرين : إنه يريد أن يحزنك أو أن يصدك» .

وقال لي : إنه رآه مرة أخرى وإنه قال له : أتظن أن ما قاله هذا الرجل حق (يقصد بالرجل النبي ﷺ) ؟ قال: فرفعت صوتي، وقلت : (كل ما قاله رسول الله ﷺ حق ثلاث مرات) .

قال ابن مفلح:

وقد رأيته في المنام وأنا أكتب في هذا الكتاب رأيته على باب جامع

---

(١) رواه البخاري (١٢/ ٣٨٣) فتح) ومسلم (١٥/ ١٦ نووي) .

(٢) متفق عليه .

دمشق تحت الساعات وهو قاعد وحوله حلقة مزدحمه فلما جئت تقربت إليه فرفع رأسه وقال لي : ما الذي جاء بك إلينـا ؟ فقلت له جئت : لأنكر عليك أو نحو ذلك فطأطأ رأسه ووضعه في حجـره وخنس ويغلب على ظني أنه لا بس زي الفرنج - وقد جاء أنه يغتم بنوم المـؤمن فإذا تحصن منه بالذكر عند النوم عـجز عن وسوستـه وعن تحزينه فـي نومه فيغـطيه في منـامه لأنه إذا استيقظ ربما يتمكن منه بخلاف حال النوم)[1] اهـ

9- الضحك من المتثائب :

قال ﷺ : «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلـم سمعه أن يشمته . وأما التثاؤب فهو مـن الشيطان فليرده ما استطاع فإذا قال : ها ... ضحك منه الشيطان**» [2] .

قال العلماء :

إنما يضحك منه الشيطان لأن التثاؤب ينشأ عن الكسل فيكون المتثائب في حالة لا يستطيع معها أن يؤدي الـطاعات على أكمل وجه . ومما يضحك الشيطان أن المتثائب يكون في منظر غير جميل .

وعن أبي سعـيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال : «**إذا تثـاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل**» [3] .

قال الحافظ :

«يحتمل أن يراد به الدخول حقيقة وهو وإن كان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم لـكنه لا يتمكن منـه ما دام ذاكرا لله تعالى : والمتـثائب في

(١) مصائب الإنسان (صـ١٥٧، ١٥٨) .

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٣٨) فتح) وبنحوه مسلم (١٨/ ١٢٢نووي) .

(٣) رواه مسلم (١٨/ ١٢٢ نووي والدرامي) (١/ ٣٢١) .

تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه لأنه من شأن من دخل في شيء أن يكون متمكنا منه»[1] .

وقال النووي :

«قال العلماء : أمر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه وضحكه منه»[2] .

10- التفنين في إفساد الطاعة على الطائعين :

ومن حيل إبليس اللعين ومكائده : أنه يتفنن في إفساد طاعة المطيعين بأي حيلة أو وسيلة .

فعن ابن مسعود ﷺ قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم . فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا [3].

فتأمل ـ رحمك الله ـ كيف مكر عدو الله بأولياء الله؟ ففرق جمعهم من أمر لم يخطر لهم على بال وهذا من جملة خططه الخبيثة وأفعاله الماكرة . أعاذنا الله منه ومن شروره .

11- بعث جنوده لفتنة الناس وإضلالهم :

روى مسلم عن جابر قال رسول الله ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنه يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ،فيقول: ما صنعت شيئا . قال : ثم يجيء أحدهم فيقول

(١) فتح الباري (١٠/ ٦١٢).

(٢) شرح مسلم (١٨/ ١٢٣) .

(٣) رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس صـ ٢٥ .

: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ؟ قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت).

قال الأعمش : أراه قال : (فيلتزمه) [1].

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول : من أضل مسلما ألبسته التاج . فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته قال يوشك أن يتزوج ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى عق والديه . قال : يوشك أن يبرهما . ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى قال : أنت . ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب الخمر . قال: أنت . قال: ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى قتل . فيقول : أنت. ويقول آخر: لم أزل به حتى أشرك. فيقول: أنت أنت يلبسه التاج»[2].

وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن قتادة رضي الله عنه قال : «إن لإبليس شيطانا يقال له قبقب يجُمه (أي يتركه بدون عمل ليقوى) أربعين سنة . فإذا دخل الغلام في هذه الطريق (طريق الإسلام والهداية) قال له : دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه أو أفتنه [3].

وقد روي: أنه لما بعث النبي ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطين إلى أصحاب النبي ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم : ما لكم لا تصيبون منهم شيئا ؟ فقالوا :ما صحبنا قوما مثل هؤلاء . فقال رويدا بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا . هنالك تصيبون حاجتكم منهم [4].

(١) رواه مسلم (١٧/١٠٧نووي)

(٢) صحيح. رواه أحمد وابن حبان (٦٥) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٢٨٠)، والتلبيس (صـ١٢)

(٣) انظر تلبيس إبليس (صـ٢٥) .

(٤) التلبيس (صـ٣٢) .

12- إنساء العبد الخير :

ومن مكائد الشيطان أنه يسعى في إنساء العبد الخير بحيث لا يذكره ويفوته الغُنم وقد يترتب على ذلك الإثم .

ومن ذلك : ما فعله بآدم عليه السلام . فإنه ما زال يوسوس له حتى أنساه أمر ربه .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ : [طه : ١١٥] .

وأنسى صاحب موسى الحوت : قال تعالى : حاكيا عن صاحب موسى : ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ : [الكهف : ٦٣] .

ونهى الله رسوله أن يجلس هو وأحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد ينسي الإنسان مراد ربه فيجالس هؤلاء المستهزئين : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

وطلب نبي الله يوسف عليه السلام إلى السجين الذي ظن بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه . فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبي الله يوسف فمكث في السجن بضع سنين : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ : [يوسف : ٤٢] .

وإذا تمكن الشيطان من العبد تمكنا كليا فإنه ينسيه الله بالكلية : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ

﴿الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] . . والمراد بهؤلاء المنافقون كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية .

ولذا كان سبيل التذكر هو ذكر الله لأنه يطرد الشيطان قال تعالى : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف : ٢٤][1] .

13- إشعال العداوة بين الناس :

ومن مكائد عدوالله إبليس : أنه يسعى في الإفساد بين الناس وإشعال العداوة بينهم ويهيج الشر بينهم وما يزال ينزغ بينهم بسعيه وكيده حتى يتعدى المقال إلى الفعل . ويهيج الشر وتستحكم العداوة بين الناس .

وقال تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ :[الإسراء : ٥٣] .

قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

«﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة فالشيطان ينزع بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت بالرد السيء يتلوها فإذا روح المودة والمحنة والوفاق يشوبها الخلاف ثم الجفوة ثم العداء . والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب . تندي جفافها وتجمعها على الود الكريم»[2] .

وكذلك من أهداف الشيطان الخبيثة : أنه يسلك في الوصول إلى غايته كل طريق من ذلك الخمر والميسر (القمار) والأزلام التي كان يقسم بها

---

(١) انظر عالم الجن والشياطين : للدكتور عمر سليمان الأشقر (صـ٧٠) ووقاية الإنسان (صـ١٣٦) .

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٣٤)

الكفار في الجاهلية وهي تساوي في زماننا ما يسمونه الحظ .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ : [المائدة : ٩٠، ٩١] .

روى البيهقي بسنده عن عثمان بن عفان ﷺ قال : «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث . إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه إلى الشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال : زيديني . فلم يدم حتى وقع عليها وقتل النفس) [(١)].

وقد وضع النبي ﷺ بعض الإجراءات الوقائية لسد هذه الثغرة من ثغرات الشيطان منها :

أنه نهى أن يشير المسلم إلى أخيه بالسلاح سواء جدا أو مزح وسواء كان أخا لأبيه وأمه أم لم يكن وتوعد من فعل ذلك بلعنة الملائكة حتى ينزع ويكف .

فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «**لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان أن ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار**»[(٢)].

وفي رواية لمسلم قال : قال أبو القاسم ﷺ : «**من أشار إلى أخيه**

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٩٧) وصحح إسناده .

(٢) رواه البخاري (١٩/ ٢٣فتح) ومسلم (١٦/ ١٧٠) نووي .

بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه أو أمه» .

قال النووي :

قوله : ﷺ (ينزع) ضبط بالعين المهملة مع الكسر الزاي وبالغين المعجمة مع فتحها و معناها متقارب . ومعناها بالمهملة يرمي وبالمعجمة أيضا يرمي ويفسر أصل النزع : الطعن والفساد) .اهـ

وقال ﷺ : «**اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»[1] .

وهذا كله إنما هو لسد باب عظيم من أبواب الشيطان ألا وهو التحريش بين المسلمين واشتعال نار الفتنة بينهم.

فعن جابر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان الرجيم قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**» [2].

والمرؤ يرى من مظاهر عداوته في هذا المجال مالا يعد ولا يحصى . فكم سفكت من دماء . وكم وقعت من عداوة وشحناء . وكم فرق بين إخوة أشقاء وغيرهم من باب أول ؟ وكم زرع في مجتمع المسلمين من تناحر وبغضاء لتحل محل الإخوة والصفاء . وكم... وكم... وكل ذلك وراءه الشيطان .

فلو أن المسلمين انتبهوا إلى هذه المكيدة ونجوا منها لسلموا على مدى تاريخهم الطويل من كل هذا .

14- ترصده الدائم للعبد :

ومن مكائد إبليس ـ لعنه الله ـ أنه وقف للعبد على كل طريق بالمرصاد

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٨٣فتح) ومسلم (٧/ ١٠١) عن عدي بن حاتم .

(٢) رواه مسلم (١٧/ ١٥٦نووي) .

فقد أخرج آدم من الجنة ثم لم يكفه ذلك حتى استقطع من أولاده شرطة للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة في إبطال دعوة الله من الأرض وقصد أن تكون الدعوة له وأن يعبد من دون الله . فهو ساع بأقصى جهده إلى إطفاء نور الله وإبطال دعوته وإقامة دعوة الكفر والشرك ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض .

ويكفي من شره أنه تصدى لإبراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق في النار فرد الله كيده وجعل النار على خليله بردا وسلاما .

وتصدى للمسيح عليه السلام حتى أراد اليهود قتله وصلبه فرد الله كيده وصان المسيح ورفعه إليه . وتصدى لزكريا، ويحيى حتى قتلا . واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم في الأرض ودعوى أنه ربهم الأعلى . وتصدى للنبي ﷺ وظاهر الكفار على قتله بجهده والله يكبته ويرده خاسئا . وتفلت على النبي ﷺ بشهاب من نار يريد أن يرميه به وهو في الصلاة فجعل النبي ﷺ يقول : ألعنك بلعنة الله وأعان اليهود على سحرهم للنبي ﷺ فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر فكيف الخلاص منه؟ إلا بمعونة الله وتأييده [1].

واللعين ملازم للعبد لا يفارقه : فهو يبيت في البيت إذا لم يذكر اسم الله فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ويدل على عوارتهم . وإذا نام العبد عقد على قافية رأسه عقدا تمنعه من اليقظة ، ويترصد لقمة العبد لتقع فيلتقطها .

فعن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول : «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان . فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لايدري في أي طعاهة تكون البركة**» [2].

---

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٢٥٨-٢٦٠) .

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٢٠٧) نووي .

وهو ينصب رايته في الأسواق . قال سلمان ﵁ : «لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته) [١].

قال النووي :

«شبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع والأيمان الخائنة والعقود الفاسدة والنجش والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه والسوم على سومه وبخس الكيل والميزان . قال: وقوله: (وبها تنصب رايته) إشارة إلى ثبوته هناك واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها فهي موضعه وموضع أعوانه» .

اللعين يترصد العبد في أمره حتى في دابته :

قال أحد الصحابة : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فعثر الحمار فقلت : تعس الشيطان فقال لي النبي ﷺ : «**لا تقل تعس الشيطان . فإنك إذا قلت : تعس الشيطان تعاظم في نفسه**» وقال : صرعته بقوتي : وإذا قلت: باسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب [٢].

وعن مخلد بن الحسين قال : ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبلى بأيهما ظفر : إما غلو فيه . وإما تقصير عنه .

وعن حياة بن شراحبيل يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: إن إبليس موثق في الأرض السفلى ، فإذا هو تحرك كان كل شر في الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه[٣].

(١) رواه مسلم (١٦/ ٧) نووي .

(٢) رواه أحمد . وأبو داود والنسائي ، والحاكم عن والد أبي المليح «صحيح الجامع» (٧٤٠١)، وجود إسناده المنذري في «الترغيب» عن والد أبي المليح.

(٣) «تلبيس إبليس» (صـ٣٣).

15 - تزيين الباطل :

ومن مكائد إبليس العظيمة :

أنه لا يعرض المعصية معصية . ولا الفاحشة فاحشة وإنما يزين المعصية . ويجمل الفاحشة وينصب الأشراك بالتزيين والتخييل والوعد والأمنه حتى يزيل العبد عن الطاعة فيزل في المعصية .

وقال تعالى : ﴿... وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ : [النمل : ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ : [الأنفال : ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ٤٣] .

وقد قال اللعين لربه : ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . [الحجر : ٣٩] . وبين الله أن الذين فارقوا الإيمان وجانبوا الهداية واتبعوا الشيطان من بعدما بان لهم الهدى وتبين لهم الرشد زين لهم الشيطان ذلك وحسنه لهم وأملى لهم فغرهم وخدعهم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] [١] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«ومن مكايده أيضا أنه يسحر العقل دائما حتى يكيده ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل له أنه أنفع

(١) انظر عداوة الشيطان (صـ١٤)

الأشياء ، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء ؛ حتى يخيل له أنه يضره . فلا إلـه إلا الله كم فتن بهذا السحر مـن إنسان .وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان. وكـم جلى الباطل وأبرزه في صورة مسـتحسنة وشنع الـحق وأخرجه فـي صورة مستهـجنة. وكم بـهرج من الزيـوف على الناقدين . وكم بهرج من الزيوف على النـاقدين فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشبعة وسلك بهم سبيل الضلال كل مسلـك .وألقاهم من المـهالك في مهلك بـعد مهلك وزين لـهم عبادة الأصنام . وقطيـعة الأرحام ، ووأد البنات، ونكاح الأمهـات، ووعد بالفوز بالجنات مع الـكفر والفسوق والعصيان ، وأبرز لهـم الشرك في صورة الأمر بالمعروف والـنهي عن المنكر فـي قالب التودد إلى الناس . وحـسن الخلق معهم والعـمل لقوله : ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] ، والإعـراض عما جاء به الـرسول ﷺ في قالـب التقليـد . والاكتفاء بقـول من هو أعلـم منه والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل الـمعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس» [١] .

ومن صور هذا التزييـن تسمية الفواحش والمعاصي بأسـماء محببة إلى النفوس لكي يخفي خبثها وفحشهـا . فهو الذي سمى الشجرة بشجرة الخلد فقال لآدم : ﴿... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾ [طه : ١٢٠] .

قال ابن القيم :

«قد ورث أتباعـه تسمية الأمور المحـرمة بالأسماء التي تحـب النفوس مسمياتها فسموا الخمر بأم الأفراح ...» [٢].

(١) إغاثة اللهفان (صـ١/ ١١٠) .

(٢) إغاثة (١/ ١١٢) .

فهم الـذين يسمون الـربا بالفائـدة . ويسمون التـبرج الفاضح بـحرية المرأة. ويـسمون الاختلاط المـستهتر بالـتقدم والتمـدن . ويسمون المغـنية الفاسقة الفاجرة فنـانة ، ويسمون الممثلة الخليعة بطـلة . ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفـن ليجذبوا قلوب الناس إلى فحشهم وخبثهم [1] .

16 - التنفير من الحق وأهله :

ومن مكائد عـدو الله التي صاد بها خلقـا كثيرا من بني آدم التـنفير من الحق ومن أهل الحق .

إن الحق تكون عليه مسحة من نـور وتعلوه إشراقة وضاءة فلو ظل كما هو دون تشويه أو تقبيح لتهافتت إليه النفوس . وصغت إليه الأسماع وركنت إليه القلوب . ولذا كان دور الشيطان الأول هو تـقبيح صورة الحق وتشويهها وتسميته بأسماء منفرة فهو الـذي أوحى إلى أوليائه من الكفار من قوم عاد أن يقـولوا لنـبيهـم هود عليه السلام : ﴿... إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف : ٦٦] .

وهو الذي أوحى من أوليائه الكفار أن يقولوا للناس : ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف : ٩٠] .

وهو الـذي أوحى إلى أوليـائه من كـفار قوم فـرعون بتسـمية مـوسى وهارون ساحرين : ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه : ٦٣] .

وهو الذي أوحـي إلى أوليائـه من كفار قريـش بتسمـية رسول الله ﷺ بالساحر، والكاهن، والشاعر، والمسـحور، والمجنون، وغيرها من الأسماء

(١) وقاية الإنسان (صـ١٥٦) .

المنفرة ﴿... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الفرقان : ٨] .

ولكن الله تبارك وتعالى نفى كل ما نسب إلى رسوله ﷺ من زور وبهتان فقال سبحانه : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ :[الطور: ٢٩] .

وقال : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . [الحاقة : ٤١-٤٣] .

وهو الذي أوحى إلى أوليائه من كفار قريش بتسمية أتباع النبي ﷺ بالصابئين .

وما زال الشيطان يسير في نفس الخطة وبتلك الوسائل حتى زمننا هذا . فهو الذي أوحى إلى أوليائه بتسمية المتمسكين بهدي النبي ﷺ والمستنين بسنته ظاهرا وباطنا بالمتطرفين والمتعصبين (والإرهابيين والرجعيين) كما يسمون البعد عن المعاصي، ودور الفسق ، والفجور : انغلاقا : ويسمون الحجاب الشرعي خيمة ، ويسمون المرأة التي التزمت بأمر ربها، وجلست في بيتها رجعية ومتخلفة وكل ذلك من وحي الشيطان إليهم [١] .

17- دخوله إلى النفس من أحب الأبواب إليها :

وهذا من أعظم وأخطر مكايد الشيطان إذ إنه يشام النفس و القلب فيعلم ما يحبه ويهواه فيستنفره الشيطان إلى ما يهوى .

قال ابن القيم :

«وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه وتوده فإذا عرفه

(١) وقاية الإنسان (صـ١٥٦-١٥٧) .

استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضا أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه . فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مصدود(١) .

وقال أيضا ـ رحمه الله ـ :ومن كيده العجيب أنه يشام النفس حتى يعلم أي القوتين غلبت عليها . قوة الإقدام والشجاعة . أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة ؟ بأن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته من المأمور به وثقله عليه فهون عليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به إن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به ويوهمه أنه يكفيه . وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقتصر بالأول ويتجاوز بالثاني .

قال بعض السلف : (ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر .

وقد انقطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فقوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة ، وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد بالوسواس ، وقوم قصر بهم عن إخراج الواجب من المال . وقوم تجاوز بهم حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم وقعدوا كلا على الناس مستشرفين إلى ما بأيديهم .

وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة

(١) إغاثة الهفان (١/ ١١٢)

فأضروا بقلوبهم وأبدانهم .

وكذلك قصر بقوم من حق الأنبياء وورثتهم (العلماء) حتى قتلوهم . وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم .

وقصر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في الطاعات كالجمعة والجماعات والجهاد وتعلم العلم. وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم والمعاصي والآثام .

وقصر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور أو شاة ليأكله. وتجاوز بآخرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة . وكذلك قصر بقوم حتى منعهم من الاشتغال بالعلم الذي ينفعهم. وتجاوز بآخرين حتى جعلوا العلم وحده هو غايتهم دون العمل به .

وقصر بقوم حتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم . وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص .

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله ﷺ عن النكاح فرغبوا عنه بالكلية وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام .

وقصر بقوم حتى جفوا الشيوخ من أهل الدين والصلاح وأعرضوا عنهم. ولم يقوموا بحقهم وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم مع الله تعالى .

وكذلك قصر بقوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية. وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة .

وقصر بقوم حتى قالوا : إن الله سبحانه لا يقدر على أفعال عباده ولا شاءها منهم ولكنهم يعملونها بدون مشيئة الله تعالى وقدرته. وتجاوز بآخرين

حتى قالوا : إنهم لا يفعلون شيئا ألبتة ،وإنما الله سبحانه وتعالى هو فاعل تلك الأفعال حقيقة فهي نفس فعله لا أفعالهم والعبيد ليس لهم قدرة ولا فعل ألبتة.

وقصر بقوم حتى قالوا : إن رب العالمين ليس داخلا في خلقه ولابائنا عنهم ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا أمامهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم. وتجاوز بآخرين حتى قالوا : هو في كل مكان بذاته كالهواء الذي هو داخل كل مكان .

وقصر بقوم حتى قالوا: إن الله سبحانه وتعالى : لا يشفع أحدا في أحد ألبتة ولا يرحم أحدًا بشفاعة أحد. وتجاوز بآخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم .

وقصر بقوم حتى قالوا : إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل فضلا عن أبي بكر وعمر. وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة .

وقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوه منها . وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم .

وقصر بقوم حتى عاذوا بأهل بيت رسول الله ﷺ وقاتلوهم واستحلوا حرمتهم . وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة : من العصمة وغيرها وربما ادعوا فيهم الألوهية .

وكذلك قصر باليهود في المسيح حتى كذبوه ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه. وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله وجعلوه إلهًا يعبد مع الله .

وقصر بقوم حتى نفوا الأسباب والقوى والطبائع والغرائز. وتجاوز بآخرين حتى جعلوها أمرا لازما لا يمكن تغييره ولا تبديله وربما جعلها

بعضهم مستقلة بالتأثير .

وقصر بقوم حتى تعبدوا بالنجاسات كالنصارى وأشباههم . وتجاوز عن قوم حتى أمضى بهم الوسواس إلى الآصار والأغلال وهم أشباه اليهود .

وقصر بقوم حتى تزينوا للنـاس وأظهروا لهم من الأعمال والعبادات ما يحمدونـهم عليه، وتجـاوز بقوم حتى أظهـروا من القبائح ، ومـن الأعمال السيئة ما يستطيعون به جاههم عندهم وسموا أنفسهم الملامتية .

وقصر بقوم حتى أهملوا أعمال القلوب ولم يلتفتوا إليها وعدوها فضلا أو فضولا . وتجاوز بآخرين حـتى قصروا نظرهم وعملهم عليهـا ولم يلتفتوا إلى كثير من أعمال الجوارح وقالوا : العارف لا يسقط وارده لورده .

وهذا باب واسع جدا لو تتـبعناه لبلغ مبلغا كثيرا وإنـما أشرنا إليه أدنى إشارة [1].

ومما تقـدم نعلم أن إبليس لعـنه الله يدخل في النفس مـن الباب الذي تهواه . وتأمل هذه القصة الطريفة :

روي عن الحسـن قال : كانت شجرة . تـعبد من دون الله فجاء إلـيها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة . فجاء ليقـطعها غضبا لله فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال : ما تريد ؟ . قال: أريد أن أقـطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قـال : إذ أنت لم تعـبدها فـما يضـرك من عبدهـا ؟ قال : لأقطعهـا . فقال له الشيـطان : هل لك فيما هـو خير لك لا تقطـعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال : من أين لي ذلك ؟ قال : أنا لك . فرجع فأصبـح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبـح بعد ذلك فلم يجد شيئا فقام غضبا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال : ما تريد ؟

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (ج١/ ١٣٦:١٣٨) ط التراث .

قال : أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى : قال : كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل . فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال : أتدري من أنا ؟ أنا الشيطان . جئت أول مرة غضبا فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك» [1] .

18- التدرج في الإضلال :

ومن مكائد إبليس لعنه الله أنه لا يقحم العبدفي المعصية جملة واحدة بل يقربه منها خطوة خطوة . حتى يألفها ولا يستقبحها ويصعب عليه بعد ذلك التخلص منها .

وقديما قالوا : (نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء) وهنا يقع المحظور ولذلك فإن الله تعالى : حذر من اتباع خطوات الشيطان في أربع مواضع من كتابه الكريم .

منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١] .

ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية بقاعدة (سد الذرائع) التي تعني إغلاق السبيل على الشيطان .

وقصة عابد بني إسرائيل المشهورة خير مثال على هذا :

فقد روي عن وهب بن منبه قال : كان عابد في بني إسرائيل وكان أعبد أهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرا ليس لهم أخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم (يعني أرسلوا للجهاد) فلم يدروا عند

---

(١) تلبيس إبليس (صـ٣٢)

من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها .

قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوهـا عند عابد بني إسرائيل وكان ثقة في أنفسهـم فأتوه فسألوه أن يخلفـوها عنده فتكون في كـنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عزَّ وجلَّ منهم ومن أختهم . قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال : أنـزلوها في بيت حيال صومعتي . قال : فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار هذا العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من طعام .

قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يـرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية مـن بيتها نهارا ويخـوفه أن يراها أحد فيلقـها . فلو مشيت بطـعامها حتى تضعه علـى باب بيتها كان أعظم لأجرك . قال : فلـم يزل حتى مشى إليها بطعامها ثم وضعه على باب بيتها ولم يكلمها .

قال: فلـبث على هذه الـحالة زمانا ثـم جاءه إبليـس فرغبه في الـخير والأجر وحضه علـيه، وقال : لو كنت تمشي إلـيها بطعامها حتـى تضعه في بيتهـا كان أعظم لأجرك ، قال: فـلم يزل به حتى مـشى إليها بالـطعام، ثم وضعه في بـيتها فلبث عـلى ذلك زمانًا ، ثم جـاءه إبليس فرغبه فـي الخير وحضه عـليه فقال : لـو كنت تكلـمها وتحدثـها فتأنس بـحديثك فإنـها قد استوحشت وحشة شديدة .

قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع إليها من فوق صومعته .

ثم أتاه إبـليس بعد ذلـك فقال: لو كنـت تنزل إليهـا فتقعد عـلى باب صومعتك وتحدثهـا وتقعد هي على باب بيتها فتحدثـك كان أنسًا لها . فلم يزل به حـتى أنزله وأجـلسه علـى باب صومعـته ويحدثـها وتحدثـه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا على ذلك زمانًا يتحدثان .

ثم جاءه إبلـيس فرغبه في الـخير والثواب فيـما يصنع بهـا وقال : لو

خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبـا من باب بيتها فحدثتها كان أنسًا لها . فلم يزل حتى فعل .

قال : فلبث زمانا . ثم جاءه إبليس عليه لعنة الله - فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثـواب فيما يصنع بها وقال له : لو دنوت منها وجلست عند بـاب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتـها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبث على ذلك حينا .

ثم جاءه إبليس فقال : لو دخلت البيت معـها فتحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسـن بك . فلم يزل به حتى دخل البيت فـجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته .

ثم أتاه إبـليس بعد ذلـك فلم يزل يزيـنها له حـتى ضرب العابـد على فخذها وقبلها فلم يزل به إبليس يحسـنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فـولدت له غلاما . فجاء إبليس فقال: أرأيـت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت مـنك كيف تـصنع ؟ لا آمن أن تـفضح أو يفـضحوك . فاعـمد إلى... ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتـم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل.

فقال : أتراها تكتـم إخوتها ما صنعت بها وقتلـت ابنها ؟ قال : خذها واذبحها وادفنـها مع ابنها . فلم يزل بـه حتى ذبحها وألقاها فـي الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما . وصعد إلى صومعته يتعبد فيهـا . فمكث بـذلك ما شاء الله أن يمـكث حتى أقبـل إخواتها مـن الغزو فجاءوا فسألـوا عنهم فنعاها لهم وتـرحم عليها وبكاها . وقـال : كانت خير امرأة وهذا قبـرها فانظروا إليه . فـأتى إخوتها القـبر فبكوا أختهـم وترحموا عليهـا فأقاموا على قبرهـا أياما ثم انصرفوا إلى أهـاليهم . فلما جن عـليهم الليل وأخذوا مضاجـعهم جاءهم الشيطان في النوم عـلى صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسـأله عن أخته فأخبره بقول العابد وموتهـا، وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها ؟ فكذبه الشـيطان وقال : لم يصدقكم أمر أختكم

. وإنه قد أحبل أختكم وولدت له غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاها في حفيرة واحتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله . فانطلقوا فادخلوا البيت فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعا . وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك . وأتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى . فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم .

قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه . فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الوضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم . فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس بما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوقفوه على الخشب آتاه الشيطان فقال له : قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها . فإن أنت أطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه . قال : فكفر العابد بالله . فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه [1].

قال المفسرون : في هذا وأمثاله نزلت : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ . [الحشر : ١٦ ـ ١٧] .

فانظر كيف خطط الشيطان لهذا العابد ودبر حتى نال منه ما يريد . وما

---

(١) تلبيس إبليس (صـ٢٦) وتفسير ابن كثير (ج٤)سورة الحشر ووقاية الإنسان (صـ١٥٨:١٦١) .

وقع هذا العابد فيما وقع فيه إلا من جهله بمداخل الشيطان و خطواته ، فلو أنه امتنع من أول خطوة لرده خائسا .

ولا تحسبن أن أحدا ينجو من مكائد الشيطان فلا ينجو العالم ولا الجاهل. ألم يقل الله تعالى في شأن عالم بني إسرائيل . ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ . [الأعراف : ١٧٥ : ١٧٦] .

ولكن لا يشك عاقل في أن العالم أسلم ما يكون .وأفضل من العابد . ولذلك كانت فتنة إبليس في العلماء قليلة إذا قيست بفتنة الجهال والرعاع والعباد ومن ثم كان فضل العالم أعظم من فضل العابد . فإذا كان أعظم من فضل العابد فهو أعظم أو أفضل ممن هو دونه من باب أولى .

ولذا قال النبي ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي**» [(١)] .

وفي قصة هذا الراهب المتقدمة ثلاثة مكائد من مكائد الشيطان .

الأولى : في تدرجه بالعبد إلى الضلال .

الثانية : في اتخاذه من النساء حبائل له ومصائد وفخاخ .

الثالثة : في إيقاع العبد في المعصية ثم فضيحته بها عند الخلائق .

وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى

19 - الصد عن الحق :

ومن مكائد الشيطان أنه يصد عن الحق والطاعات .

(١) رواه الترمذي من حديث أبي إمامة وقال: حسن صحيح . «صحيح الترمذي» برقم (٢١٥٩) ، (٢١٦١) ، عن أبي الدرداء ، وأبي أمامة.

قال تعالى حاكيا عنه : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧] .

قال القرطبي :

﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي بالصد عنه وتزيين الباطل كي يهلكوا كما هلك . قال : والصراط المستقيم : هو الطريق الموصل إلى الجنة.

وقال تعالى : ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة : ١٩] .

وقـــال : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٧] .

فهو لعنه الله لا يكـتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنـوب المعاصي بل يصدهم عن فعل الخير ويعميهم عـن اتباع الحق . فإذا غلبوه وامتثلوا الهدى والطاعة اجـتهد في إفسادهـا عليهم ولا ينـجو من ذلك إلا من أخلـص دينه وقلبه لله تعالى فخلصه الله من كيد عدوه.

20- التظاهر بالنصح للإنسان :

ومن مكائد الشيطان أنه يتظاهـر بالنصح والإخلاص للإنسان حتى يرديه فإن من أول كيده ومكره : أنه كاد الأبـوين - آدم وحواء- بالأيمان الكاذبة : أنه ناصح لهما . وأنه إنما يريد دخولهما في الجنة .

قال تعـالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢٢] .

والوسوسة : حديث النفس والصوت الخفي .وعلم عدو الله أنهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراتهما . فإنهـا معصية والمعصية تهتك ستر ما بين الله وبيـن العبد . فلما عـصيا انتهك ذلك السـتر فبدت لهما سـوءاتهما فالمعصية تبدي السوءة الباطنـة والظاهرة ولهذا رأى النبي ﷺ في رؤية الزناة والزواني عورات باديـة سوآتهم . وهكذا إذا رؤيا الرجل أو المـرأة في منامه مكشوف السوأة فإنه يدل عـلى فساد في دينه .ثم قال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعـراف: ٢٠] أي : إلا كراهة أن تكونا ملكين وكراهة أن تخلدا فـي الجنة ومن هنا دخل عليهما لما عرف أنهما يريدان الخلود فيها وهـذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصـادف نفسه ويخالطه ويسألها عما تحبه وتؤثـره فإذا عرفه استعان بها عـلى العبد ودخل عليـه من هذا الباب ، وكذلـك علم إخوانـه وأولياءه مـن الإنس إذا أرادوا أغراضـهم الفاسـدة من بعضهم بـعضا أن يدخلوا عليه مـن الباب الذي يحبونه ويهـوونه فإنه باب لا يخذل عـن حاجته من دخل مـنه . ومن رام الدخول مـن غيره فالباب عـليه مسدود وهو من طريق مقصده مصدود. فـشام عدو الله الأبوين فأحس منهما إيناسا وركونا إلى الخـلد في تلك الدار في النعيم المقيـم فعلم أنه لا يدخل عليهـما من غير هذا البـاب فقاسهما إنه لهـما لمن الناصحـين . وقال : ما نهاكمـا ربكما عن هذه الشـجرة إلا أن تكونا ملـكين أو تكونا من الـخالدين وكان ابن عباس يقرؤها ﴿مَلِكَيْنِ﴾ بكسر اللام : ويقول : لم يطمعا أن يكونا من الملائكة ولكن استشرفا أن يكونا مـلكين فأتاهما من جهة الملك . ويدل على هذه القراءة قـوله في الآية الأخرى :﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠] .

وعلى القراءة الأولى : أنهما لم يطمـعا أن يكونا ملكين ولكن عدو الله

كذبهما وغرهما وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد . فهذا أول المكر والكيد ، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر أم الأفراح ، وسموا الربا بالمعاملة . وسموا المكوس (الضرائب) بالحقوق السلطانية ... وسموا أبلغ الكفر وهو جحد صفات الرب تنزيهًا.

فلما سماها شجرة الخلد قال : ما نهاكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة ولا تموتا .فتكونا مثل الملائكة الذين لا يموتون . ولم يكن آدم عليه السلام قد علم أنه يموت بعد واشتهى الخلود في الجنة . وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما فاجتمعت الشبهة والشهوة وساعد القدر فأخذ منهما سنة الغفلة واستيقظ لهما العدو .

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فتضمن هذا الخبر أنواعا من التأكيد أحدهما : تأكيده بالقسم ، والثاني: تأكيده بأن ، والثالث: تقديم المعمول على العامل إيذانًا بالاختصاص أن نصيحتي مختصة بكما وفائدتها إليكما لا إلي . الرابع : إثباته اسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم . دون الفعل الدال على التجدد أي النصح صفتي وسجيتي ليس أمرا عارضا لي . الخامس : إثباته بلام التأكيد في جواب القسم . السادس : أنه صور نفسه لهما ناصحا من جملة الناصحين فكأنه قال لهما. الناصحون لكما في ذلك كثير وأنا واحد منهم كما تقول لمن تأمره بشيء . كل أحد معي على هذا وأنا من جملة مَن يشير عليك به ... وورث عدو الله هذا المكر لأوليائه وحزبه عند خداعهم للمؤمنين كما كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا جاءوه :(نشهد إنك لرسول الله) فأكدوا خبرهم بالشهادة وبإن وبلام التأكيد وكذلك قوله سبحانه ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة : ٥٦] .

ثم قال تعالى : ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢] قال أبو عبيدة : خذلهما وخلاهما من تدلية الدلو وهو إرسالها في البئر : قال مطرف بن عبدالله : قال لهما: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وحلف لهما . وإنما يخدع المؤمن بالله قال قتادة : «وكان بعض أهل العلم يقول : من خادعنا بالله خدعنا» «فالمؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم»[(١)] وفي الصحيح :(أن عيسى ابن مريم عليه السلام رأى رجلا يسرق فقال : لا والله الذي لا إله إلا هو . فقال المسيح : آمنت بالله وكذبت بصري) . . . . وإنما كان الله سبحانه وتعالى : في قلب المسيح عليه السلام أجل وأعظم من أن يحلف به أحدا كاذبا فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال : ما ظننت أحدا يحلف بالله تعالى كذبا [(٢)].

21- الاستعانة على العبد بشياطين الإنس :

ومن مكائد إبليس أنه يستخدم جنوده من الإنس والجن في فتن الناس وإضلالهم فإن عدو الله إذا ما عجز ويئس من عبد من عبادالله وأعيته الحيل يستنجد بأوليائه من شياطين الإنس ليعاونوه في تلك المهمة ولينفذوا خططه الخبيثة في العباد .

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ :[الأنعام : ١٢١] .

---

(١) حديث «المؤمن غرٌ كريم ...» حسن، رواه أبو داود والترمذي ، والحاكم ، عن أبي هريرة «الصحيحة» (٩٣٥) «صحيح الجامع» (٦٦٥٣).

(٢) انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم (ج١/ ١٣١ : ١٣٥) باختصار وتصرف .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] .

فنجد الشاب إذا هداه الله للالتزام بالإسلام التزاما كاملا والسير على نهج خير الأنام ﷺ جاءته الفتن من كل جانب تكشر عن أنيابها فإذا استعصم بحبل الله وصبر وتغلب على شياطين الجن وانتصر عليها جاءه أصدقاء السوء وأتراب الفسوق يثبطون من عزيمته ويوهنون من قوته في الحق ويقولون له : ما لك قد حرمت نفسك من متع الحياة فلم تعد تنظر إلى الفتيات الجميلات ولا تشاهد الأفلام والمسرحيات ولا تستمع إلى الفنانين والفنانات وتركت الحفلات والسهرات وتركت الربا في المعاملات وأصبحت تقول هذا حلال وهذا من المحرمات إنا نراك قد ضيعت شبابك وفاتك كثير من اللذات ..)[1].

ويجد الإنسان الملتزم نفسه في غربة مركبة غربة بين قوم يقولون: لا إله إلا الله محمداً رسول الله وقد يصلون ويصومون ويحجون ويزكون ولكنهم يصدونه عن طريق الله رب العالمين . ويظهرون بمظهر الخائف على الولد أو على الأخ أو القريب أو الصاحب أو الجار أو الزميل . ووالله ما هو بخائف وإنه ليتمنى له الشر والغوائل ولكنه جندي من جنود إبليس استخدمه العدو ليصد الفتى عن طريق ربه .

وقد يكون هذا الشيطان الإنسي أعتى من شيطان الجن . لأنه قد يرغى ويزبد ويتهدد ويتوعد ويمنع النفقة ويطرد من البيت ويشتكيه للجهات وينسب له الطامات وتجري له الإشاعات . ليحول بينه وبين رب الأرض والسماوات.

قال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ : (إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا) فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

(١) وقاية الإنسان .

٢٢ـ ومن مكائد الشيطان التي يبتلي بها بنو آدم : الوسوسة :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

«ومن كيده الذي بلغ به من الجهـال كل مبلغ : الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهـارة والصلاة عند عقد النية حتى ألـقاهم في الآصار والأغلال وأخرجهم عن اتـباع سنة رسول الله ﷺ وخيل إلى أحـدهم أن ما جاءت به السنة لا يـكفي حتى يضم إلـيه غيره فجمع لهـم بين الظن والفاسـد والتعب الحـاضر وبطلان الأجـر وتنقـيصه، ولا ريـب أن الشيطـان هو الداعـي إلى الوسواس . فأهله قـد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبـعوا أمره ورغبوا عن اتباع سنة رســول الله ﷺ وطريقته حتى إن أحدهم ليـرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ أو اغتسل كاغتساله لم يطـهر ولم يرتفع حدثه . ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول : فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد وهو قريب من ثلـث رطل بالدمشقي .ويغـتسل بالصاع وهو نحـو رطل وثلث . والموسوس يرى أن ذلك القـدر لا يكفيه لغسل يديه وصح عنـه عليه السلام أنه توضأ مـرة . ولم يزد على ثلاث . بـل أخبر أن : (من زاد عليـها فقد أساء وتعدى وظلم) . فـالموسوس مسيء متعد ظالـم بشهادة رسول الله ﷺ فكيف يتقرب إلى الله بما هو مسيء به متعد فيه لحدوده؟

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : ثم إن طـائفة الموسوسين قد تحـقق منهم طاعة الشيطان حـتى اتصفوا بوسوسته وقبلوا قوله وأطـاعوه ورغبوا عن اتباع رسول الله ﷺ وصحـابته حتى إن أحـدهم ليرى إذا توضـأ وضوء رسول الله ﷺ أو صلى كصلاته فوضوؤه باطل وصلاته غير صحيحة .

ثم قال : ذكر أبو الفرج بن الجوزي عـن أبي الوفاء بن عقيل أن رجلا قال له : أنغمس في الماء مرارا كثـيرة وأشك : هل يصح لي الغسل أم لا ؟ فما ترى في ذلك ؟ فقال له الشيخ : اذهب فقد سقطت عنك الصلاة . قال:

وكيف؟: قال : لأن النبي ﷺ قال : «**رفع القلم عن ثلاث: المجنون حتى يفيق والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ**»[1] ومن ينغمس في الماء مرارا ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون .

قال : وربما شغله بوسواسه حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت ويشغله بوسوسته في النية حتى تفوته التكبيرة الأولى . وربما فوت عليه ركعة أو أكثر ومنهم من يحلف أنه لا يزيد على هذا ثم يكذب .

قلت : وحكى لي من أثق به عن موسوس عظيم رأيته أنا يكرر عقد النية مرارًا عديدة فيشق على المأمومين مشقة كبيرة فعرض له أن حلف بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة فلم يدعه إبليس حتى زاد ففرق بينه وبين امرأته فأصابه لذلك غم شديد وأقاما متفرقين دهرا طويلا حتى تزوجت تلك المرأة برجل آخر وجاء منها ولد ثم إنه حنث في يمين حلفهما ففرق بينهما وردت إلى الأول بعد أن كاد يتلف لمفارقتها .

وبلغني عن آخر أنه كان شديد التلفظ بالنية والتقعر في ذلك فاشتد به التنطع والتقعر يوما إلى أن قال : أصلي . أصلي مرارا صلاة كذا كذا وأراد أن يقول: أداءً فأعجم الدال . وقال : آذاء لله فقطع الصلاة رجل إلى جانبه فقال : ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين . قال : ومنهم من يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرره مرارًا .

قال : فرأيت منهم من يقول الله أكبر : وقال لي إنسان منهم : قد عجزت .عن قول السلام عليكم . فقلت له : قل: مثل ما قد قلت الآن وقد استرحت .

وقد بلغ الشيطان منهم أن عذبهم في الدنيا قبل الآخرة وأخرجهم عن اتباع الرسول وأدخلهم في جملة أهل التنطع والغلو وهم يحسبون أنهم حقا.

---

(١) **حديث صحيح**. رواه أبو داود ، والحاكم ، والترمذي ، وابن ماجه ، وانظر «إرواء الغليل» (٢٩٧) ، و«صحيح الجامع» (٣٥١٢) (٣٥١٣) (٣٥١٤).

فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته . ويؤمن أنه عدوا له لا يدعوه إلى خير ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] . وليترك التفريج على كل من خالف طريقة رسول الله ﷺ كائنا من كان فإنه لا يشك أن رسول الله ﷺ كان على الصراط المستقيم . ومن شك في هذا فليس بمسلم . ومن علمه فإلى أين العدول عن سنته ؟ وأي شيء ينبغي العبد غير طريقته ؟ ويقول لنفسه : ألست تعلمين أن طريقة رسول الله ﷺ هي الصراط المستقيم؟ فإذا قالت له : بلى قال لها : فهل كان يفعل هذا ؟ فستقول: لا . فقل لها : فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ هل بعد طريق الجنة إلا طريق النار ؟ وهل بعد سبيل الله ورسوله إلا سبيل الشيطان ؟ فإن اتبعت سبيله وكنت قرينه وستقولين : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

ولينظر أحول السلف في متابعتهم لرسول الله ﷺ فليعتد بهم وليختر طريقهم ...) [١].

وليعلم العاقل أن صور الوسواس كثيرة :

فمن ذلك الإسراف في ماء الوضوء والغسل.

ومن ذلك الوسواس في انتقاض الطهارة . ومن ذلك ما يفعل كثير من الموسوسين بعد البول هو عشرة أشياء : السلت . والنتر. والنحنحة . والمشي. والقفز. والحبل. والتفقد. والوجور. والحشو والعصابة والدرجة.

ومن ذلك التنزه عن الاستجمار بالأحجار - ومن ذلك الوسوسة في مخارج الحروف والتنطع بها .

(١) انظر إغاثة اللهفان (١٤٦/١ : ١٤٦) .

ومن ذلك الوسوسة في الصلاة بتلبيس القراءة : وشغله العبد بأمور الدنيا . إلخ ذلك . . .

وأعظم ذلك وأخطره : الوسوسة في أبواب العقائد . نعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

23- فتنة النساء :

ومن مكائد الشيطان ومصايده وحبائله التي يصطاد بها بني آدم : فتنة النساء .

وفي الأثر : (النساء حبائل الشيطان) .

ويروى بلفظ : «النساء حبالة الشيطان» .

و بلفظ آخر : (الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان)[1] .

قال العجلوني ـ رحمه الله ـ :

(وفي رواية (حبائل) جمع حبالة بالكسر وهي ما يصاد به من أي شيء كان . ورواه أبو نعيم عن ابن مسعود والديلمي عن عبد الله بن عامر وعقبة ابن عامر في حديث طويل . والتيمي في ترغيبه عن زيد بن خالد الجهني كلهم مرفوعا . ولا ينافيه ما جاء عن سفيان الثوري من قوله : (يا معشر الشباب عليكم بقيام الليل فإنما الخير في الشباب لكونه محلا للقوة والنشاط

(١) أورده بهذا اللفظ السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٤٣) وعزاه إلى الخرائطي في اعتلال القلوب عن زيد بن خالد الجهني ورمز له بالحسن . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٣٤٢٧) وقال ابن الديبع في (تمييز الطيب من الخبيث برقم (٧٣٤) : رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن عباس وأبو نعيم عن عبد الرحمن ومن شواهده : (عجب ربك من شباب ليس له صورة) . اهـ

وقال العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣١٥) (النساء حبائل الشيطان) رواه في مسند الفردوسي عن عقبة بن عامر بلفظ : (النساء حبالة الشيطان) .

غالبا) ومن شواهد هذا الحديث . حديث عجب ربك من شباب ليست له صبوة . وقال ابن الغرس : الحديث حسن . وإنما جعله شعبة من الجنون لأن الجنون يزيل العقل وكذلك الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من الميل إلى الشهوات والإقدام على المضار ، ولذا أنشدوا .

سكرات خمس إذا سكر المرء وبها صار ضحكة للزمان

سكرة الحرص والحداثة و العشق وسكر الشباب والسلطان[1]

والنساء : من أعظم حبائل الشيطان وفخوخه ومصايده .

وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ :

ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من النساء ، وقال ـ رحمه الله ـ : وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى : ما شيء أخوف عندي من النساء .

وقد مر بك قريبا : قصة الراهب مع المرأة التي زنى بها وولدت له فقتلها ووليدها .

ويروى أن إبليس لعنه الله لقى موسى عليه السلام فقال له : (... وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها)[2].

وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال : ما بعث الله نبيا إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء [3] .

روي عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه قال : (بينما موسى عليه السلام جالس

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ج٢/ ٤) برقم (١٥٣٠) .

(٢) تلبيس إبليس (٣٠، ٣١) ولا شك أن مثل هذه الآثار تحتاج إلى إسناد صحيح، ولا نعلم لها ذلك، فالمعتمد عدم صحتها.

(٣) تلبيس إبليس (٣٠، ٣١)

في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه البرنس (الثوب منه غطاء للرأس)[1] له يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه وخلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك ياموسى : فقال له موسى: من أنت ؟ قال : أنا إبليس قال : فلا حياك الله؛ ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه . قال : فما الذي رأيته عليك؟ قال : به أختطف قلوب بني آدم. قال : فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال : إذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسي ذنوبه . وأحذرك ثلاثا

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط . فإنه إذا خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهدا إلا وفيت به . فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها .

ثم ولَّى وهو يقول : يا ويله ثلاثا . علم موسى ما يحذر به بني آدم .

وقال حسن بن صالح : سمعت أن الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي [2].

ولما كانت الفتنة بالمرأة من الخطورة بمكان بين النبي ﷺ كيف أن الافتتان بالمرأة قد يؤدي إلى إحباط عمل من أفضل ما يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ وهو الهجرة إلى الله ورسوله .

(١) تلبيس إبليس (٣٠ ,٣١) ، ولا نجزم بصحة هذه الآثار.
(٢) تلبيس إبليس (ص٣١) .

قال ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» [1] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة فقال سبحانه وتعالى : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران : ١٤] .

وكثير من المفسرين يقولون : إن (زين) : المبني للمجهول يعود إلى الشيطان فهو الذي زين ذلك وقدم سبحانه النساء لعراقتهن في هذه الباب . ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة . ولعله لأجل ذلك أيضا قدم سبحانه وتعالى المرأة على الرجل في قوله جلّ وعلا : ﴿**الزانية والزاني**﴾ وقال سبحانه وتعالى حاكيا عن عزيز مصر ﴿**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف :٢٨] .

وقد حذر النبي ﷺ من فتنة المرأة ونصح لأمته في هذا الباب أعظم النصح فعن أسامة بن زيد # قال قال رسول الله ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»[2] .

عن ابن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[3] .

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي (١٥٠٧/١) ومسلم في الإمارة (١٩٠٧).

(٢) رواه البخاري في النكاح (١١٨/٩) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٠) والترمذي : في الأدب برقم (٢٧٨٠) باب ما جاء في تحذير من فتنة النساء .

(٣) **صحيح**. رواه الترمذي (١١٧٣) وقال حسن غريب ورمز السيوطي لصحته وانظر فيض القدير (٢٦٧/٦) ، و«صحيح الجامع» (٦٦٩٠)، و«الإرواء» (٢٧٣) ، و«صحيح الترمذي» (٩٣٦).

قال الطيبي:

والمعنى المتبادر أنها مادامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس فإذا خرجت طمع وأطمع لأنها حبائله وأعظم فخوخه [1].

وقوله: (استشرفها الشيطان) أصل الاستشراف: وضع الكف فوق الحاجب ورفع الرأس للنظر قال المنذري: (أي ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها لأنها قد تعاطت سببا من أسباب تسلطه عليها وهو خروجها من بيتها).

وعلق عليه الألباني قائلا: هذا في شيطان الجن. فما بالك في شيطان الإنس لا سيما شياطين إنس هذا العصر الذي نحن فيه فإنه أضر على المرأة من ألف شيطان. لأن أغلب شباب هذا الزمان لا مروءة عندهم ولا دين ولا شرف ولا إنسانية يتعرضون للنساء بشكل مفجع وهيئة تدل على خساسة ودناءة وانحطاط. فعلى ولاة الأمر - إن كانوا مسلمين - أن يؤدبوا هؤلاء الفسقة الشررة والوحوش الضارية [2]وأنا أقول الأولى بهم إن كانوا مسلمين أن يفرضوا الحجاب على النساء كما فرضه الله ولا يبيحون كثرة الخروج والاختلاط.

وعن ابن مسعود أيضا: (إنما النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان. فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه. وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضا. أو أشهد جنازة أو أصلي في المسجد وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها[3].

---

(١) فيض القدير (٦/٢٦٦).

(٢) انظر صحيح الترغيب والترهيب (١/١٣٨).

(٣) رواه الطبراني وقال الهيثمي رجاله ثقات مجمع الزوائد (٢/٣٥) وحسن المنذري إسناده ووافقه الألباني.

وعن أبي سعيـد الخدري قال رسول الله ﷺ :«**إن الدنيا حـلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فـيها فناظر كيف تعملون؟ فاتقوا الدنـيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» [1].

وقد يقع الافتتان بالمرأة إذا خلبت لب الرجل وسحرت عقله وزينت له ترك الواجب وفعـل المحرم . فعن ابن عمـر ٪ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن ...**» [2]الحديث

ولذا قال الشاعر :

يصرعن ذا اللـب حتىٰ لا حراك به وهـن أضـعـف خلـق الله أركـانـا

ولأجل سد ذرائع هذه الفتنة وضع الإسلام عدة احتياطات منها :

١- تحريم الزنا وبيان أنه خراب الدنيا والدين .

٢- منع الزواج ممن عُرف - أو عرفت - بالفاحشة إذا لم يتب .

٣- حرم البذاء ومنع الفحش في القول وكره التلفظ بالسوء .

٤- حرم قذف المؤمن والمؤمنة بالفاحشة ووضع لذلك عقوبة زاجرة .

٥- تحـريم التـبرج والسـفور وإظهـار الزيـنة والتـجمل لـلفت نـظرا الأجانب. وهذا من أعظم الأمور قال تعالى : ﴿**ولا تبرَّجن تبرُّجَ الْجَاهليَّة الأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢) في الـذكر والترمذي (٢١٩٢) وابن ماجه (٤٠٠٠) فـي الفتن باب فتنة النساء.

(٢) رواه البـخاري في الزكـاة على الأقـارب . وفي ترك الحـائض الصـوم وفي العيـدين ، ومسلم في الإيمان (٧٩) وابن ماجه (٤٠٠٣)

وقال ﷺ : «**صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا**» [1].

٦- تشريع الاستئذان عند دخول البيوت حفاظا على العورات .

٧- الأمر بغض النظر .

٨- تحريم الخلوة بالأجنبية .

٩- تحريم مس الأجنبية ومصافحتها .

قال ﷺ : «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**» [2].

قال العلماء : وهذا يعم جميع الرجال ولو كانوا صالحين أو مسنين . وجميع النساء ولو كن صالحات أو عجائز .

وعن جابر أن النبي ﷺ قال : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان**»[3].

١٠- تحريم الدخول على المغيبات : وهن النساء اللائي غاب عنهن أزواجهن .

قال ﷺ : «**لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجرئ من أحدكم مجرئ الدم**» [4]. وعن عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» متفق عليه.

(١) رواه مسلم (٢١٢٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٤٦) عن عامر بن ربيعة . والترمذي (٢١٦٥) عن عمر . والحاكم (١/ ١١٤) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٣٩)

(٤) رواه الترمذي (١١٧٢) وقال غريب من هذا الوجه، وانظر «صحيح الترمذي» (٩٣٥) ، و«ضعيف الجامع» (٦٢٧٢).

١١- تحريم سفر المرأة بغير محرم .

١٢- تحريم خروج المرأة متطيبة ومتعطرة .

١٣- تحريم الخضوع بالقول .

١٤- تحريم الاختلاط بين الجنسين

١٥- الترغيب في الزواج

١٦- الترغيب في الاستعفاف لمن لم يجد النكاح .

١٧- تحريم نشر الأسرار الزوجية . وهي ما يكون بين الرجل وزوجته من أمور الاستمتاع فعنه ﷺ قال : «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»[1] .

وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال : لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأرم (أي سكت) القوم : فقلت : إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون قال : «**فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون**» [2].

وقد أرشد النبي ﷺ : «**من رأى امرأة فأعجبته أن يأتي أهله فإن معها مثل ما معها**» .

24- بث الخوف عند الإنسان :

ومن مكائد الشيطان : بث الخوف عند الإنسان . فهو لا يزال به

(١) رواه مسلم (١٥٧/٤) وأحمد (٦٩/٣) والبيهقي (٩٣/٧) عن أبي سعيد وأعله الألباني في آداب الزفاف (صـ ٧٠) ط المكتب ، لكنه ذكر له شاهدًا .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والهيثمي وابن السني والبزار . قال الألباني في (آداب الزفاف صـ٧٢) فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل .

يخوفه عن طاعة ربه ويمنعه منها وله في سبيل ذلك حيل شتى .

أ ـ فإذا أردت بذل مال في سبيل الله خوفك الفقر ووعدك به .

قال تعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

فهو يخوف العبد الفقر ليمسك ما بيده فلا ينفق شيئا في مرضاة الله ولا يبتغي رضوانه ويأمر - مع النهي عن الإنفاق مخافة الإملاق - بإتيان ما حرم الله من المعاصي والآثام والمحارم والشرور ومخالفة الرحمن الرحيم .

والله في مقابل ذلك يأمر بالإنفاق والبذل ويعد عليه الفضل في مقابلة ما خوف الشيطان من الفقر ويعد المغفرة في مقابل ما أمر الشيطان بالفحشاء والمنكر .

وأما ما رواه عبدالله بن مسعود يرفعه **«إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالىٰ . ومن وجد الأخرىٰ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»** [1]. فهو حديث ضعيف.

قال بعض السلف : إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء : رجل مؤمن قتل مؤمنا . ورجل يموت على الكفر ، وقلب فيه خوف الفقر .[2] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : قيل (يعدكم الفقر) : يخوفكم به : يقول : إن أنفقتم أموالكم افتقرتم (ويأمركم بالفحشاء) قالوا هي : البخل في هذا الموضع خاصة . ويذكر عن مقاتل والكلبي : كل فحشاء في القرآن فهي

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان . وانظر : «ضعيف الجامع» (١٩٦٣).

(٢) مصائب الإنسان (صـ١٣٥) .

الزنا إلا في هذا الموضع فإنها البخل .

والصواب : أن الفحشاء على بابها وهي كل فاحشة فهي صفة لموصوف محذوف فحذف موصوفها إرادة للعموم أي بالفعلة الفحشاء والخلة الفحشاء ومن جملتها البخل . فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره يأمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان . فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه . وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها ...) [1].

ب - وإذا أردت الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى دينه . خوفك الموت ومع الموت حر السلاح وشدة الأعداء .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

قال ابن القيم : (ومن كيد عدو الله تعالى : أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان . ثم ذكر الآية . ثم قال :

(المعنى عند جميع المفسرين : يخوفكم بأوليائه . قال قتادة : يعظمهم في صدوركم . ولهذا قال ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٧٥] فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان . وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم) [2].

ج ـ وإذا أردت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وقف لك مخوفا بسوء العاقبة ومحذرا باستهزاء الناس منك . أو بقوله لك : عليك بخاصة

(١) إغاثة اللهفان (ج١/ ١٢٧) .

(٢) الإغاثة (ج١/ ١٣٠) .

نفسك ودع عنك الناس فلن يستجيبوا لك. وما أكثر من أوقعهم الشيطان في هذه المصيدة !!

إلى غير ذلك من أنواع الطاعات فإذا وجدت شيئا من الخوف وعدم الإقدام في أمر من أمور الخير فاعلم أن وراء ذلك الشيطان [1].

25- أنه لص سارق:

ومن مكائد الشيطان ومظاهر عداوته لبني الإنسان : أنه لص سارق لأموال الناس وطعامهم : فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم . ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم فيدخل سارقا ويخرج مغيرا . ويدل على عوارتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومناما أنه فعل كذا وكذا . (كما فعل براهب بني إسرائيل) ، وقد تقدمت قصته.

ومن هذا : أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبه ثم وسوس إلى الناس بما فعله وألقاه إليهم فأوقعه في الذنب ثم فضحه به . فالرب تعالى يستره والشيطان يجتهد في كشف ستره وفضيحته فيغتر العبد ويقول : هذا ذنب لم يره إلا الله ولم يشعر بأن عدوه ساع في إذاعته وفضيحته وقل من يتفطن من الناس لهذه المسألة الدقيقة .

فهو يستحل البيت والطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه .

وهو يسرق وينهب كما في حديث أبي هريرة حين أمسك به وهو يسرق من زكاة رمضان التي وكله بها رسول الله . وهو في البخاري معلقا ووصله الطبراني وكما يدل عليه حديث أبي بن كعب عند النسائي حين أمسك به

(١) الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان (ص٢٤) .

وهو يسرق من جرن التمر الخاص به .

26- أنه يخذل أتباعه أحوج ما يكونوا إليه :

ومن مكائد الشيطان : أنه يخذل الذين اتبعوه ووثقوا به أحوج ما يكونون إليه وأقبل ما يكونون عليه .

قال تعالى : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم : الآية : ٢٢] .

وهكذا يقوم اللعين خطيبًا في ساحة القيامة في أتباعه ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وغبنا إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به : ﴿إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ بمجرد ذلك . هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فلا تلوموني﴾ اليوم ﴿ولوموا أنفسكم﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل .

﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ﴾ : قال ابن جرير : يقول: إني جحدت أن أكون شريكا لله عز وجل . كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ : [الأحقاف : ٥ ، ٦] .

وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ وقال : ﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم : ٨٢] .

وقوله : ﴿إن الظالمين﴾ أي في إعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل ﴿لهم عذاب أليم﴾ والظاهر من سياق الآية أن هذه الخطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار .

فما أشد ما خذل أتباعه ويكبتهم على أتباعه ورماهم بالسفه والغفلة إذ كانوا رهن الإشارة وطوع النداء . مع أنه كان عاطلا من الحجة خاوي الوفاض من الدليل [1].

وقال تعالى أيضا : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ : [الفرقان : الآية : ٢٧ ، ٢٨] .

وقد مر بك فيما تقدم : كيف أنه خذل المشركين لما تحالف معهم في بدر؟ فلما رأى الملائكة ـ وكان قد ظهر في صورة سراقة بن مالك - ولى مدبرا وخذلهم .

كما مر بك كذلك قصة راهب بني إسرائيل . وكيف أنه أمره بعبادته والكفر بالله . فلما فعل تبرأ منه ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ...﴾ .

27- يخرب البيوت ويفرق بين الأحبة :

فمن مكائد عدو الله أنه يخرب البيوت ويفرق بين الأحبة :

فهو يشعل نار العداوة والشحناء والبغضاء . ويثير المشاكل حتى يحدث ما لا تحمد عقباه :

(١) انظر عداوة الإنسان (صـ ١٠ ، ١٢) .

ولذا قال تعالىٰ : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ :[الإسراء :٥٣].

وهو كذلك يخرب البيوت ويسعىٰ فـي التفريق بين المرء وزوجه ويزين له طلاقها وهجرها .

لما رواه جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ : «**إن إبليس يضع عرشه علىٰ الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئا . قال: ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتىٰ فرقت بينه وبين امرأته . قال: فيدنيه منه . أو قال : فيلتزمه ويقول : نعم أنت**» . وقد تقدم .

فما ظنك بعـدو يزال بضلاله وإضلاله حتىٰ يقتطـع من ذرية آدم طعمة عظيمة للنار . من كل ألف تسعمائة وتـسعة وتسعين ولا يصير للجنة من كل ألف غير واحد .

كما روي ذلك الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري . ﷺ ؟!

وما ظنك بعدو تسلط علىٰ العباد بـشره وضلاله فأفسد فطرهم وأوقفهم في صفوف الضلال؟ . وعلىٰ رأسها الشرك بالله تعالىٰ :

كما روي عياض المجاشعي أن النبي ﷺ قال عن ربه عزَّ وجلَّ : «**إني خلـقت عبادي حـنفاء كلـهم وإنهم أتـتهم الشـياطين فـاجتالتـهم عن دينـهم وحرمـت عليهـم ما أحلـلت لهم وأمـرتهم أن يـشركوا بـي مالم أنزل بـه من سلطان...**» رواه مسلم .

وفي «النهاية» قوله ﷺ :فاجتالتهم الـشياطين ، أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال . ويقال : جال واجتال : إذا ذهب جاء ومنه الجولان في الحرب واجتال الشيء : إذا ذهب به وساقه. والجائل : الزائل عن مكانه)اهـ

وما ظنك بعدو يسمع كلام الملائكة في الغمام فإذا سمع الكلمة من الحق زاد فيها مائة كذبة من الإفك المفترى فألقاها إلى أوليائه من الكهان ليضلوا الناس بغير علم؟

كم جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : الملائكة تتحدث في العَنَان : والعَنَانُ: الغمام . بالأمر يكون في الأرض فتستمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة» رواه البخاري .

والقرُّ : تردد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه .وقال النووي : يقرها يلقيها .

فما بالك بعدو هذا شأنه نسأل الله النجاة من كيده ومكره .

28 - فضح العبد :

ومن مكائد عدو الله: أنه يزال وراءه حتى يوقعه في الذنب وقد يطلع عليه أحد الناس فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبة ثم وسوس إلى الناس بما فعل وألقاه إليهم .

فأوقعه في الذنب ثم فضحه به فالرب تعالى يستره والشيطان يجتهد في كشف ستره وفضيحته فيغتر العبد ويقول : هذا ذنب لم يره إلا الله ولم يشعربأن عدوه ساع في إذاعته وفضيحته وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة .

فهو الذي فضح راهب بني إسرائيل الذي زنى بالجارية ثم قتلها هي وطفلها كما مر بك فيما تقدم فهو الذي دل أهلها عليه وكشف أمره لهم ثم أمره بالسجود له . فلما فعل فر عنه وتركه وفيه وفي أمثاله أنزل الله : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ : [الحشر : الآية ١٦].

وهو لعنه الله الذي يقول لأوليائه ﴿...إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ...﴾ فأوردهم شر الموارد وتبرأ منهم كل البراءة ..

وإذا كان هذا فعله بالمجرمين .

فإنه يسعى بجانب من كيده هذا على الموحدين الصادقين فيدل عليهم الكفار ويفشي خطط المؤمنين .

وهذا قد حدث حين أشاع قصة بيعة العقبة كما تقدم سوقها .

29- ترويج الإشاعات الباطلة ضد المؤمنين :

ومن مكائد عدو الله : أنه يختلق الإشاعات المغرضة للمؤمنين الصادقين ويلقيها على ألسنة أوليائه من شياطين الإنس .

فهو لعنه الله - الذي أشاع مقتل النبي ﷺ في غزوة أحد - كما مرَّ بك - وكانَ لهذه الإشاعة أثرها السيء على نفوس المؤمنين المجاهدين .

وهو لعنه الله - الذي أشاع قصة الإفك على ألسنة المنافقين في المدينة ليدنسوا أطهر عرض وأسمى شرف . قصدوا الإساءة للنبي ﷺ وللصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها ولأبيها بل وللدعوة الإسلامية بأسرها كما لا يخفي .

٣٠ـ التصوف

والمقصود هنا أن ننبه على مكيدة الشيطان في إيقاع فريق من الناس في التصوف المفضي بهم إلى مفارقة الكتاب والسنة وجماعة المسلمين .

وقد استعرض العلامة ابن الجوزي جوانب من تلبيس إبليس عليهم وأسهب في ذلك حتى صار الحديث عنهم أغلب كتابه واستغرق الحديث عليهم من (صـ ١٦١ :٣٨٨) كما تكلم عن مكيدة الشيطان بهم العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «إغاثة اللهفان».

ونحن بحول الله تعالى نوجز مكائد الشيطان بالمتصوفة في النقاط الآتية[١] .

قيل في أصل التسمية : نسبة إلى صوفة : (رجل صالح) وقيل: إلى أهل الصفة – وقيل :إلى لبس الصوف؛ وقال لي رجل يوما : التصوف لبس الصوف على الصفا . وترك الدنيا وراء القفا واتباع سنة المصطفي هكذا زعموا .

١- من مكائد الشيطان بهم : أن أوقعهم في الشرك بالله تعالى كبيره وصغيره حيث علقهم بالموتى والقبوريين فدعوهم من دون الله واستغاثوا بهم وسألوهم الشفاعة والرزق وشفاء المريض والنذر للأضرحة وإيقاد الشموع لها والطواف بالأضرحة إلى آخر ذلك الشرك الصراح وهذه أخطر مكيدة على الإطلاق .

٢- ومن مكايده بهم :أنه دفعهم إلى الترخص في سماع الغناء وممارسة الرقص الذي يسمونه الذكر والتصفيق والتزهد المفضي إلى تحريم الحلال .

(١) انظر : «الصوفية في قفص التهام» . تأليف : محمد عيسى .

يقول ابن الجوزي :

«والتصوف طريقة . كان بدؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لِمَا يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لِمَا يرون عندهم من الراحة واللعب».

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن . وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صرفهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات . فمنهم من أراه المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب و نسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة .

٣- ومن مكائده بهم : أنه دفعهم إلى ترويج الأحاديث الضعيفة والموضوعة كالأحاديث في فضل الجوع والتزهد . إلخ . ويكفي نظرة في (الإحياء) لأبي حامد الغزالي .ولولا أن مَنَّ الله على المسلمين منذ زمن بتخريج الحافظ العراقي لأحاديثه ما كان يحل لأحد النظر فيه .

قال ابن الجوزي :

« ... وكان فيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع له من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري . ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس الخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي . وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقصة والسماع والوجد والرقص والتصفيق ...».

٤- فساد اعتقادهم : حيث اعتقد كثير منهم حلول الله في مخلوقاته وهو ما يقال له : الحلول والاتحاد وقد ذكر ابن الجوزي نبذًا من هذا عن

جماعة منهم . وكان منهم من إذا سمع صياح الديك أو صياح الشاة صاح شهق وقال : لبيك يا سيدي . قال ابن عربي :

العبد رب والرب عبد فيا ليت شعري من المكلف؟
إن قلت: عبد فذاك رب وإن قلت: رب فأنى يكلف؟

وكذا قولهم بعشقهم لله وبعشق الله لهم : فقد قال أبو الحسين النوري: أنا أعشق الله عزَّ وجلَّ وهو يعشقني . وقال بعضهم :

ما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

فأضحكوا علينا وشمتوا بنا اليهود والنصارى .

قال القاضي أبو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله عزَّ وجلَّ يعشق .

وقد رد عليهم ابن الجوزي بأن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما يُنكح وبأن صفات الله عزَّ وجلَّ منقولة . فهو يحب ولا يقال يعشق . كما يقال : يعلم ولا يقال يعرف . ثم من أين له أن الله تعالى يحبه؟ فهذه دعوى بلا دليل . ومنهم من ادَّعى أنه من الممكن أن يقول مثل القرآن .

قال عمرو المكي : كنت أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته .

وقال محمد بن يحيى الرازي : سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي . فقلت: بأي شيء وجد عليه الشيخ فقال: قرأت آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ فقال : يمكنني أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به .

وقال أبو بكر بن ممشاد : حضر عندنا بالدينور رجل معه مخلاه فما

كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه. فقال : هذا خطي وأنا كتبته . فقالوا : كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية . فقال : ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا . هل الكاتب إلا الله تعالى واليد فيه آلة؟ ... إلى آخر القصة .

وقد بلغ من كفر الحلاج ما رواه إسماعيل بن محمد بن زنجي عن أبيه أن بنت السمري أدخلت على حامد الوزير فسألها عن الحلاج فقالت : حملني أبي إليه فقال: قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيئا تنكريه به من جهة فصومي يومك واصعدي في آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرتيه منه فإني أسمع وأرى قالت : وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فانتبهت مذعورة لما كان منه فقال : إنما جئتك؛ لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته : اسجدي له : فقلت : أو يسجد أحد لغير الله ؟ فسمع كلامي فقال : نعم إله في السماء وإله في الأرض .

قال ابن الجوزي :

اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج وإنما سكت عنه أبو العباس بن سريج . وقال : لا أدري ما يقول والإجماع دليل معصوم من الخطأ .

وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا بهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء .

وقال محمد النصر آبادي :

إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج .

قال ابن الجوزي:

وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع وبعدا عن معرفة النقل وقد جمعت في أخبار الحلاج كتابا بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

ومن مكائده لهم : أنه يبتليهم بالوسواس الكثير في استعمال الماء وفي الطهارة وقد دخل الإمام ابن عقيل رباطا للصوفية فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء .

وقال أبو حامد الشيرازي لفقير (متصوف) : من أين تتوضأ ؟ فقال : من النهر بي وسوسة في الطهارة قال : كان عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان والآن يسخر بهم الشيطان .

ومن مكايده لهم في الصلاة : أنهم يصلون ركعتين بعد لبس الثياب المرقعة والتوبة والدخول في التصوف . ويحتجون بحديث ثمامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال ابن الجوزي :

وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فإن ثمامة كان كافرا فأسلم .وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل .وأما صلاة ركعتين فما أمرهما أحد من العلماء لمن أسلم وليس في حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه .

ومن مكائد الشيطان بهم : بناء الأربطة للانفراد للتعبد فيها . واستغنوا بها عن المساجد . فعطلوا المساجد . وحرموا أنفسهم من نقل الخطا إليها . وتشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة . إلخ .

ومن العجب أنهم يمنعون قراءة القرآن والحديث في هذه الأربطة ويقولون : ليس هذا موضعه أقول فلعلها أربطة حمير .

ومن مكائده بهم خروج أوائلهم عن الأموال والتجرد عنها وترك أواخرهم التكسب والتعرض لصدقات الناس وأعطيات الظلمة .

ومن مكائده بهم : تركهم الجهاد في سبيل الله الذي هو قتال العدو الكافر وإقبالهم كما يزعمون على العدو الأكبر والجهاد الأكبر وهو - زعموا جهاد النفس وقد كذبوا .

ومن مكائده بهم : حرصهم على لباس المرقع إظهارا للزهد والتصوف - ويحرصون على أن تكون هذه الرقاع مختلفة الألوان . وهذا إنما يفعلونه للشهرة .

وإنما لبس الرسول ﷺ وبعض الصحابة الثياب المرقعة : إيثارا للبذاذة وإعراضا عن الدنيا وأكثرهم فعل ذلك لأجل الفقر .

وقد دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك : اغسلي قميص أمير المؤمنين . فقالت: والله ما له قميص غيره فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة[1] مما له معني .

ومن مكايده بهم : استباحتهم الغناء[2] : تعبدا لله وتقربا إليه :

سمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادي إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وما قال وإذا أنشدت عليه القصائد ضربت .

---

(١) البذاذة : رثاثة الهيئة وفي حديث صحيح : (البذاذة من الإيمان) .رواه أحمد والحاكم وابن ماجه «صحيح الجامع» (٢٨٧٩) «الصحيحة» (٣٤١).

(٢) سيأتي الحديث عن الغناء مفصلاً.

قال أبو علي الدقاق :

السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

والصوفية : إذا سمعوا الغناء تواجدوا وصفقوا وصاحوا وربما مزقوا الثياب وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ . وهم في ذلك يستدلون بآثار موضوعة وباطلة أو لا تدل على ما يستشهدون بها .

وإذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا . فقد كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عزَّ وجلَّ فقال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ فالمكاء الصفير . والتصدية التصفيق .

وفيه أيضا تشبيه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

ومن تلبيس إبليس عليهم : أن كثيرا منهم اشتغل بصحبة الأحداث والغلمان من الذكور المرد صباح الوجوه والتلذذ بالنظر إليهم . حتى إن بعضهم ممن يدعي الحلول زعم أن الله جلَّ ذكره يحلّ في الصور المستحسنة .

وقد ذكر ابن الجوزي : وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصد بها الصوفية .

ومن تلبيسه عليهم : ادعاء التوكل وترك الأخذ بالأسباب .

ومن ذلك ترك التداوي . ولا يختلف العلماء أن التداوي مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه وإذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قول قوم قد رأوا أن التداوي خارج عن

التوكل لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوي .

ومن تلبيسه عليهم : ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة .

ومن تلبيسه عليهم ترك كثير منهم النكاح .وقال العلماء : النكاح مع خوف العنت واجب من غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء ومذهب أبي حنيفة وأحمد وأنه حينئذ أفضل من جميع النوافل .

ومن تلبيسه عليهم : ترك طلب الأولاد .

قال أبو سليمان الداراني : الذي يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وإن أراد أن يتعبد شغله .

ولا شك أن هذا غلط عظيم يعارض مقصود الشرع الحكيم .

ومن تلبيسه على طائفة منهم : السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم . وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زادا ويدعي بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة .

ومن تلبيسه عليهم : ترك التشاغل بالعلم .

واعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء : وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب :

أحدها : أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة .

ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا: إن علومنا بلا واسطه وإنما رأوا بعد الطريق في العلم .

والثاني: أنه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته.

والثالث : أنه أوهم قوما منهم أن المقصود العمل . وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أفضل الأعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فإنه على الجاده والعابد بغير علم على غير الطريق .

والرابع : أنه أرى خلقا كثيرا منهم أن العلم ما اكتسب من البواطن حتى أن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول : حدثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة على الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطل .

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق .

وقد قال أحد أئمتهم: أبو حامد الغزالي - في الإحياء : من قال: الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان.

ووصل بكثير منهم الأمر : إلى دفن كتب العلم وإلقائها في الماء وقالوا: ما المقصود إلا العمل وأنكروا على من تشاغل بالعلم .

وقال الشبلي للحسين بن أحمد الصفار وقد رأى بيده محبرة : غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي

لذلك قال بعض السلف : اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية ،وكان الإمام أحمد يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول : هذه

سرج الإسلام وكان هـو يحمل المحبرة عـلى كبر سنه فقـال له رجل : إلى متى يا أبا عبد الله ؟ فقال: المحبرة إلى المقبرة .

مكيدة التحليل «زواج المحلل»

وهو ما يسمى بالمحلل: أو نكاح التحليل:

قال تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠].

قال ابن القيم:

«ومن مكايده التي بلغ فيها مراده: مكيدة التحليل الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله وشبهه بالتيس المستعار وعظم بسببه العار والشنار. وعيَّر المسلمين به الكفار. وحصل بسببه من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد. واستكريت له النفوس المستعارات. وضاقت به ذرعا النفوس الأبيات. ونفرت منها أشد من نفارها من السِّفَاح وقالت: لو كان هذا نكاحًا صحيحًا لم يلعن رسول الله ﷺ من أتى بما شرعه من النكاح فالنكاح سنته وفاعل السنة مقرب غير ملعون والمحلل مع وقوع اللعنة عليه بالتيس المستعار مقرون. فقد سماه رسول الله ﷺ بالتيس المستعار. وسماه السلف بمسمار النار فلو شاهدت الحرائر المصونات على حوانيت المحللين مبتذلات تنظر المرأة إلى التيس نظرة الشاة إلى شفرة الجازر. وتقول: يا ليتني قبل هذا كنت من أهل المقابر حتى إذا تشارطا على ما يجلب اللعنة والمقت نهض واستقبلها خلفه للوقت بلا زفاف ولا إعلان بل بالتخفي والكتمان فلا جهاز يُنقل ولا فراش إلى بيت الزوج يحول ولا صواحب يهدينها إليه. ولا مصلحات يجلينها عليه. ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر

ولا وليمـة ولا نثار ولادف ولا إعلان ولا شعـار . والزوج يبذل المـهر وهذا التيـس يطأ بالأجـر . حتى إذا خلا بهـا وأرخي الحجـاب والمطلـق والولي واقفان على الباب دنا ليطهرها بمائه النجس الحرام ويطيبها بلعنة الله ورسوله عليـه الصلاة والسلام . حتـى إذا قضيا عرس الـتحليل ولـم يحصل بينـهما المودة والرحمة التي ذكرها الله تعالى : في التنزيل . فإنها لا تحصل باللعن الصريح . ولا يوجبها إلا النكاح الجـائز الصحيح . فإذا كان قد قبض أجرة ضرابه سلـفا وتعجيلا وإلا حبـسها حتى تعطـيه أجرًا طويلاً . فهل سـمعتم زوجا لا يأخـذ بالساق حـتى يأخذ أجـرته بعد الـشرط والاتفاق ؟ حـتى إذا طهرها وطيبها وخلصها بزعمه من الحرام وجنبها قال لها : اعترفي بما جرى بيننـا ليقع عليـك الطلاق فيحصل بـعد ذلك بينكـما الالتئام والاتفـاق فتأتي المصخمة إلى حضرة الشهود فيسألـونها هل كان ذلك ؟ فلا يمكنها الجحود فيأخذون منها أو من المطلق أجرا وقد أرهـقوهما من أمرهما عسرا وكثير من هؤلاء المستـأجرين للضراب يحلل الأم وابـنتها في عقدين ويـجمع ماءه في أكثر من أربع وفي رحم أختين...) [١].

وسبب هذا كله مـعصية الله ورسوله وطاعة الشيطـان في إيقاع الطلاق على غير الوجه الذي شرعه الله . والله سبحانه يبغض الطلاق في الأصل[٢].

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي موسى ﵁ قال : قـال : رسول الله ﷺ : «**ما بال قوم يلعبون بحدود الله يقول: قد طلقتك .وقد راجعتك. قد طلقتك**» [٣].

وفي صحيح مسلم عن جـابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ج١/ ٢٨٥-٢٨٦) .

(٢) رواه أبو داود عن ابـن عمر مرفـوعا (أبغض الـحلال عند الله الـطلاق) ، وهو ضعـيف «الإرواء» (٢٠٤٠) ، و«ضعيف الجامع» (٤٤).

(٣) ضعيف. رواه ابن ماجـه ، والبيهقي ، عن أبي موسى «الضعـيفة» (٤٤٣١) ، «ضعيف الجامع» (٥٠٣٥).

«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : قد فعلت كذا وكذا فيقول : ما فعلت شيئا : قال ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال : فيدنيه منه أو قال: فيلتزمه ويقول : نعم أنت ، أنت» .

فالشيطان وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق والتفريق بين المرئ وزوجه وكثيرا ما يندم المطلق ولا يصبر عن امرأته ولا تطاوعه نفسه أن يصبر عنها إلى أن تتزوج زواج رغبة تبقى فيه مع الزوج إلى أن يموت عنها أو يفارقها إذا قضي منها وطره ولابدله من المرأة فيهرع إلى التحليل وهو حيلة من عشر حيل نصبوها للناس.

واعلم أن من اتقى الله في طلاقه كما أمره الله ورسوله وشرعه له أغناه عن ذلك كله : ولهذا قال تعالى بعد أن ذكر حكم الطلاق المشروع : ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ فلو اتقى الله عامة المطلقين لاستغنوا بتقواه عن الآصار والأغلال والمكر والاحتيال فإن الطلاق الذي يشرعه الله سبحانه وتعالى : أن يطلقها طاهرة من غير جماع (أي يطلقها في طهر لم يجامعها فيه) - ويطلقها واحدة . ثم يدعها حتى تقضي عدتها فإن بدا له أن يمسكها في العدة أمسكها وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها أمكنه أن يستقبل العقد عليها من غير زوج آخر . وإن لم يكن له فيها غرض لم يضره أن تتزوج غيره فمن فعل هذا لم يندم ولم يحتج إلى حيلة زوج ولا تحليل .

ولهذا سئل ابن عباس عن رجل طلق امرأته مائة ؟ فقال : عصيت ربك، وفارقت امرأتك، لم تتق الله فيجعل لك مخرجًا ، وقال سعيد بن جبير: جاء رجل إلى ابن عباس: فقال: إني طلقت امرأتي ألفا. فقال : أما ثلاث فتحرم عليك امرأتك وبقيتهن وزرًا اتخذت آيات الله هزوًا .

وقال مجاهد: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل قال: إنه طلق امرأته ثلاثا. فسكت حتى ظننت أنه ردها إليه ثم قال: يطلق أحدكم فيركب الأحموقة

(السفه والطيش) ثم يقول : يا ابن عباس يا ابن عباس . وإن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا . عصيت ربك . وبانت منك امرأتك . ذكره أبو داود .

ورواه النسائي عن محمود بن لبيد قال: (أخبر النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا . فقام غضبان ثم قال : أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم ؟ حتى قام رجل فقال: يا رسول الله ألا أقتله؟)[1].

وهذه الآثار موافقة لما دلَّ عليه القرآن . فإن الله سبحانه وتعالى إنما شرع الطلاق مرة بعد مرة ولم يشرعه جملة واحدة أصلا . قال تعالى : ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة : ٢٢٩].

والمرتان في لغة العرب ـ بل وسائر الناس ـ إنما لما يأتي مرة بعد مرة

ثم قال سبحانه : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ : [البقرة : ٢٣٠] . فهذه هي المرة الثالثة .

فهذا هو الطلاق الذي شرعه الله سبحانه وتعالى مرة بعد مرة فهذا شرعه من حيث العدد وأما شرعه من حيث الوقت فشرع الطلاق للعدة . وقد فسره النبي ﷺ بأن يطلقها طاهرا من غير جماع فلم يشرع جمع ثلاث ولا تطليقتين ولم يشرع الطلاق في حيض ولا في طهر وطئها فيه . وكان المطلق في زمن رسول الله ﷺ كله وزمن أبي بكر كله وصدرٍ من خلافة عمر رضي الله عنه إذا طلق يحسب له واحدة.

الإجماع على حرمة التحليل وإنه من الكبائر:

وقد أجمع علماء الأمة سلفا وخلفا على أن نكاح التحليل حرام وأن

(١) رواه النسائي (٦/ ١٤٢) ، وقال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٠٠٦) ، رواته موثقون ، ولم يذكره الألباني في صحيح النسائي ، وضعفه في «ضعيف الجامع» (٢١٨٣) ، و«المشكاة» (٣٢٩٢).

فاعله والراضي به ملعون . وأنه من أكبر الكبائر .

فقد قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ في (الكبائر) : الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له [1].

وقال الإمام ابن حجر الهيثمي في (الزواجر عن اقتراف الكبائر): الكبيرة الستون، والحادية والستون، والثانية والستون بعد المائتين : رضا المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه . ورضا الزوج المحلل به [2].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة الصحيحة الصريحة في تحريمه ولعن فاعله كما ورد في ذلك آثار كثيرة عن الصحابة و التابعين وتابعيهم ونذكر جملة موجزة من ذلك . والله الموفق .

أدلة السنة على تحريم التحليل وإبطاله .

١- عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لعن المُحَلِّل والمُحَلَّل له» [3].

قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء التابعين .

والمحلل : من الإحلال . والمحلل له : من التحليل وهما بمعنى واحد . والمحلل هو من تزوج مطلقة الغير ثلاثا لتحل له (أي المطلق) والمحلل له

(١) الكبائر (صـ١٥١) ط دار الصابوني.

(٢) انظر: الزواجر.

(٣) **حديث صحيح**.

رواه أحمد (١/٤٤٨/ ٤٦٢) والنسائي في الطلاق باب إحلال المطلق ثلاثا (٦/ ١٤٩) وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٤٢٨٣) ورواه أبو داود في النكاح (٦٧٣) باب في التحليل برقم (٢٠٧٦)و الترمذي في النكاح (٢٦) باب ما جاء في المحلل والمحلل له عن ابن مسعود برقم (١١٢٩) وقال: حسن صحيح . وابن ماجه في النكاح (٣٣) باب المحلل والمحلل له عن ابن عباس برقم (١٩٣٤) وفي الزوائد في إسناده رفعه ابن صالح وهو ضعيف . ورواه الدارمي في النكاح (١٥٣) في النهي عن التحليل برقم (٢٢٦٣) عن ابن مسعود ورواه الحاكم (٢/ ١٩٩) عن عقبة وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

هو المطلق والجمهور على أن النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة .

٢- وعن عقبة بن عامر أنه ﷺ قال : «**ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟**» قالوا : بلى يا رسول الله . قال : «**هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له**»[١] .

٣- وعن ابن مسعود قال : «**لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والمحلل والمحلل له . وآكل الربا وموكله**» [٢] .

٤- وعنه أيضا : «**آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه إذا علموا به والواصلة والمستوصلة ولاوي الصدقة والمعتدي فيها والمرتد على عقبيه أعرابيا بعد هجرته والمحلل والمحلل له . ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة**»[٣]. لاوي الصدقة: مانعها، والمعتدي فيها : مخرجها بأقل من قيمتها، أو معطيها لمن لا يستحقها.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال : «**لعن الله المحلل والمحلل له** »[٤].

٦- وعن ابن عمر أن النبي ﷺ سئل عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فيغلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل تحل للأول ؟ فقال ﷺ: «**لا حتى يذوق العسيلة**» [٥] .

(١) حديث حسن رواه ابن ماجه (١/برقم ١٩٣٦) وحسنه الألباني وقال ابن القيم في الإغاثة (١/ ٢٨٨) رواه ابن ماجه بإسناد رجاله كلهم موثقون لم يجرح واحد منهم ورواه الحاكم (٢/ ١٩٩) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي .

(٢) رواه أحمد والنسائي بإسناد صحيح في «الإغاثة».

(٣) رواه أحمد والنسائي .

(٤) حسن رواه أحمد بإسناد رجاله ثقات كلهم وثقهم ابن معين وغيره وقال الترمذي في كتاب العلل سألت أبا عبدالله بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال هو حديث حسن الإغاثة (١/ ٢٨٧) صححه الألباني في «الإرواء» (١٨٩٧) ، و«صحيح الجامع» (٥١٠١) .

(٥) رواه أحمد والبخاري.

وأما الآثار عن الصحابة فكثيرة ونذكر منها :

عن عمر بن الخطاب ﷺأنه قال : لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما وفي لفظ : (لا أوتي بمحلل ولا محللة إلا رجمتهما) وهو صحيح عن عمر .

وسئل ابن عمر عن تحليل المرأة لزوجها : فقال : ذاك السِّفاح (أي الزنا) . وسئل ابن عمر عن رجل طلق ابنة عم له ورغبها وندم فأراد أن يتزوجها رجل يحللها له فقال ابن عمر ﷺ : كلاهما زان وإن مكث عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان الله يعلم أنه يريد أن يحلها له .

وعن ابن عباس وسأله رجل فقال : إن عمي طلق امرأته ثلاثا . فقال: إن عمك عصىٰ الله فأندمه . وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا . قال : كيف ترىٰ في رجل يحللها ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه .

ورفع إلىٰ عثمان بن عفان ﷺ رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها ففرق بينهما وقال : لا ترجع إليه إلا بنكاح رغبة غير دلسة .

وجاء رجل إلىٰ عثمان ﷺ فقال : إن جاري طلق امرأته في غضبة ولقي شدة فأردت أن أحتسب نفسي ومالي فأتزوجها ثم أبني بها ثم أطلقها فترجع إلىٰ زوجها الأول ؟ فقال له عثمان ﷺ: لا تنكحها إلا نكاح رغبة .

وعن علي ﷺ في المحلل : لا ترجع إليه إلا بنكاح رغبة غير دلسة ولا استهزاء بكتاب الله .

وسئل ابن عمر عن رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها فقال : لعن الله الحال والمحلل له .

وأما الآثار عن التابعين :

قال قتادة : إذا نوىٰ الناكح أو المنكح أو المرأة أو أحد منهم التحليل فلا يصح .

وقال أيضا : إن طلقها المحلل فلا يحل لزوجها الأول أن يقربها إذا كان نكاحه على وجه التحليل .

قال ابن جريج : قلت لعطاء : فطلق المحلل . فراجعها زوجها . قال: يفرق بينهما .

قال الحسن في رجل تزوج امرأة يحللها ولا يعلمها ؟ فقال الحسن : اتق الله ولا تكن مسمار نار في حدود الله .

قال ابن المنذر : وقال إبراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر .أو المرأة أنه محلل . فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .

وقال الحسن البصري : إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد .

وقال بكر بن عبد الله المزني في المحلل والمحلل له . أولئك كانوا يسمون في الجاهلية التيس المستعار .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قال : إن ظنا أن نكاحهما على غير دلسة .

وقال سعيد بن المسيب في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ولم يشعر بذلك زوجها الأول ولا المرأة : قال: إن كان إنما نكحها ليحلها فلا يصلح ذلك لهما ولا تحل له .

وعنه أيضا قال : إن الناس يقولون : حتى يجامعها وأنا أقول : إذا تزوجها تزوجا صحيحا لا يريد بذلك إحلالها فلا بأس أن يتزوجها الأول .

أما آثار تابعي التابعين :

فقد قال ابن المنذر : وممن قال إن ذلك لا يصلح إلا نكاح رغبة : مالك بن أنس والليث بن سعد . وقال مالك رحمه الله : يفرق بينهما على

كل حال . وتكون الفرقة فسخا بغير طلاق .

وقال سفيان الثوري : إذا تزوجها وهو يريد أن يحلها لزوجها ثم بدا له أن يمسكها لا يعجبني إلا أن يفارق ويستقبل نكاحا جديدا . وقال أحمد بن حنبل: جيد .

وقال إسحاق : لا يحل له أن يمسكها لأن المحلل تم له عقدة النكاح.

وقال الجوزجاني : حدثنا إسماعيل بن سعيد قال : سألت أحمد بن حنبل عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون .

وقال الجوزجاني : وأقول : إن الإسلام دين الله الذي اختاره واصطفاه وطهره حقيق بالتوقير والصيانة مما لعله يشينه وينزه مما أصبح أبناء المحلل عن أهل الذمة يعيرون به المسلمين . على ما تقدم فيه من النهي عن النبي ﷺ ولعنه عليه) [1].

وممن بسط هذه المسألة الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه (إقامة الدليل على إبطال التحليل) .

وابن القيم في (أعلام الموقعين ٣/ ١٣٤) ط المنيرية، وإغاثة اللهفان من (صـ٢٨٥) ط دار التراث .

---

(١) انظرفيما تقدم الإغاثة والكبائر والزواجر .

٣٢ ـ تغيير خلق الله

قال تعـالى : ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٧) لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١١٨) ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩) يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ [النساء : ١١٧ ـ ١٢٠].

وقوله أيضا : ﴿نصيبا مفروضا﴾أي معلوما كالمفروض يعني ما جعل له عليه السبيل . وحقيقة الفرض : التقدير . والمعنى أن من اتبع الشيطان وأطاعه فهو من نصيبه المفروض وحظه المقسوم . فكل من أطاع عدو الله فهو من مفروضه . فالناس قسمان نصيب الشيطان ومفروضه . وأولياء الله وحزبه وخاصته .

وقوله : ﴿ولأضلنهم﴾ يعني عن الحق . و﴿ولأمنينهم﴾ قال ابن عباس : يريد تعويق التوبة وتأخيرها . وقيل : أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث . وقال الزجاج : أجمع لهم من الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة .

وقيل : لأمنينهم ركوب الأهواء الداعية إلى العصيان والبدع . وقيل : أمنيهم طول البقاء في نعيم الدنيا فأطيل لهم الأمل ليؤثروها على الآخرة .

وقوله : ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ .

البتك : القطع . وهو في هذا الموضع : قطع آذان البحيرة [1]عن جميع المفسرين . ومن هنا كره جمهور أهل العلم تثقيب أذني الطفل للحلق

(١) البحيرة : هي التي تبحر أذنها أي تشق وتخلى مع أمها حتى يقال لها : السائبة : =

ورخص بعضهم في ذلك للأنثى دون الذكر لحاجتها إلى الحلية واحتجوا بحديث أم زرع وفيه : (أناسَ - أي حرك- من حلي أذني) وقال النبي ﷺ : «كنت لك كأبي زرع لأم زرع».

ونص أحمد على جواز ذلك في حق البنت وكراهته في حق الصبي.

وقوله : ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : يريد دين الله وهو قول إبراهيم، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وقتادة، والسدي، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومعنى ذلك : هو أن الله تعالى فطر عباده على الفطرة المستقيمة وهي ملة الإسلام .

كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ : [الروم : الآية ٣٠].

ولهذا قال ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» كما تنتج -(أي تلد) البهيمة بهيمة جمعاء (سليمة) فهل تحسون فيها من جدعاء . (مقطوعة الأنف والأذن والشفة والجدع أخص بالأنف) حتى تكونوا أنتم تجدعونها؟» .

ثم قرأ أبو هريرة : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾الآية : والحديث متفق عليه .

فجمع ﷺ بين الأمرين : تغيير الفطره بالتهويد والتنصير وتغيير الخلقة بالجدع وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما . فغيرفطرة الله بالكفر . وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها ، وغير الصورة بالجدع

= وهي المنذورة التي تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء . . وأما الوصيلة : فهي الشاه تلد سبعة أبطن أنثيين أنثيين فإن ولدت في الثامنة جديا ذبحوه لآلهتهم وإذا ولدت جديا وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها تشرب لبنها النساء وكان للرجال وجرى مجرى السائبة والحام: الفحل من الإبل يعد للضراب .

والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع . فهذا تغيير خلقة الروح وهذا تغيير خلقة الصورة ثم قال : ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو سيطول عمرك وتنال من الدنيا لذتك وستعلوا على أقرانك وتظفر بأعدائك والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك ويطول أملك و عده بالحسنى على شركه ومعاصيه ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها . والفرق بين وعده وتمنيه أنه يعد الباطل ويمنى المحال . والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيه كما قال القائل :

منى إن تكن حقًا تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة وتفرح بها كما يفرح النساء والصبيان ويتحركون لها . فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته فإن الشيطان يمني أصحابها الظفر بالحق وإدراكه ويعدهم الوصول إليه من غير طريقه فكل مبطل له نصيب من قوله : ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ [1] .

وصور تغيير خلق الله كثيرة منها :

١- الوشم: والوشم والنمص كما في الصحيح من حديث ابن مسعود: (لعن رسول الله ﷺ) الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»

٢- ومنها حلق الرجال اللحي .

٣- ومنها : لبس المرأة ثياب الرجال ولبس الرجال ثياب النساء : ومشي النساء في الشوراع والطرقات حاسرات عن شعورهن وسيقانهن وأذرعهن .

(١) انظر الإغاثة (١/ ١٢٥-١٢٧) .

٣٣ـ عبادة القبور

ومن مكايـد الشيطان التـي يتسلط بها عـلى كثير من عـباد الله لإفساد عقائد الناس .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثـر الناس وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته : ما أوحاه قديما وحديثا إلـى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابـها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صـور أربابها فيها ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل ثم جعلت أصناما وعبدت مع الله تعالى .

وكان أول هذا الداء الـعظيم في قوم نوح كمـا أخبر عنهم سبـحانه في كتابه حيث يقول : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾ :[نوح: ٢١ : ٢٤].

ذكر ابن جرير بسنده عن محمـد بن قيس : أن يغوث، ويعوق، ونسرا كانوا قوما صـالحين من بني آدم وكان لهـم أتباع يقتدون بهم فلـما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لوصورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهـم فصوروهم فلمـا ماتوا وجاء آخرون دب إليـهم إبليس فقـال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم .

قال سفـيان عن أبيـه عن عكرمـة قال : كان بيـن آدم ونوح ـ عليـهما السلام ـ عشرة قرون كلهم على الإسلام .

وعن قتادة في هذه الآيـة قال : كانت آلهة يعبدها قوم نـوح ثم عبدتها العرب بعـد ذلك فكان ﴿ود﴾ لكلب بـدومة الجندل وكان ﴿سـواع﴾ لهذيل وكان ﴿يغـوث﴾ لبني غـطيف من مراد . وكـان ﴿يعوق﴾ لهـمدان ، وكان ﴿نسرا﴾ لذي الكلاع من حمير .

وقال الوالـبي عن ابن عبـاس :هذه أصنام كـانت تعبد فـي زمان نوح عليه السلام وروى البخاري بسـنده عن ابن عباس : صارت الأوثان الـتي كانت في قوم نوح في الـعرب بعد ،وأما ﴿ود﴾ فكانت لـكلب (قبيلة) بدومـة الجندل وأما ﴿سواع﴾ فكـانت لهذيل وأما ﴿يغوث﴾ فـكانت لمراد ثم لبنـي غطيف بالجرف عند سبأ، وأما ﴿يعوق﴾ فكانت لـهمدان وأما ﴿نسر﴾ فكانت لحمير لآل ذي الكلاع . أسمـاء رجال صالحين مـن قوم نوح عليه السلام فلـما هلـكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا سموها بـأسمائهم ففعـلوا ، فلم تعبد حـتى إذا هلك أولئك ، ونُسـي العلم عُبدت ، وقال غير واحد من السلف : كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم .

قال ابن القيم :

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور، وفتنة التماثيل. وهما الفتنتان اللتـان أشار إليها رسـول ﷺ في الحديث الـمتفق علـى صحته عن عـائشة رضي الله عنها: (أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها : مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور . فقال رسول الله ﷺ .

أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى).

وفي لفظ آخر في الصـحيحين :(أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكـرتا كنيسة رأياها) .

فجمع هذا الحديث بين التماثيل والقبور . وكان هذا سب عبادة اللات .

فروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]، قال كان يلت لهم السويق . فمات فعكفوا على قبره وكذلك قال ابن الجوزاء عن ابن عباس ﷺ : كان يلت السويق للحاج .

فقد رأيت أن سبب عبادة ﴿ود﴾ و﴿يغوث﴾ و﴿يعوق﴾ و﴿نسرا﴾ و﴿اللات﴾ إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار النبي ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أو قعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك . فإن النفوس قد أشركت بثماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك . فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر . ولهذا نجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله . ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حيث نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سدًا للذريعة .

قال شيخ الإسلام :

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة

فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى. فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه لعن من اتخذها مساجد فمن أعظم المحدثات ، وأسباب الشرك ، الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه . فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم إحسانا للظن بالعلماء . وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه .

ومن مكائد الشيطان بعباد القبور:

اتخاذها عيدا وإقامة الموالد لها .

والعيد : ما يعتاد مجيئه وقصده . من مكان وزمان فأما الزمان فكقوله ﷺ : «**يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام**» . رواه أبو داود وغيره[1] .

وأما المكان . فكما روى أبو داود في سننه أن رجلا قال : يا رسول الله إني نذرت أنحر إبلاً ببوانة . فقال : «**أفيها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم ؟**» قال : لا . قال : «**فأوف بنذرك**» وكقوله :«**لا تجعلوا قبري عيدا**»[2] .

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء عنها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى . كما عوض عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة، ومنى، والمشاعر .

---

(١) انظر : «صحيح الجامع» (٨١٩٢).

(٢) حديث صحيح. رواه أبو داود (٣٣١٣) ، وصححه ابن حجر في «التلخيص» (٤/ ١٨٠) والألباني في «صحيح أبي داود» (٢/٦٣٧).

فاتخاذ القبور عيدا هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام وقد نهىٰ رسول الله ﷺ في سيد القبور . منبها به علىٰ غيره .

روىٰ أبو داود بسنده عن أبي هريرة قال ﷺ : «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» . وهذا إسناد حسن رواته كلهم ثقات ومشاهير [1].

قال شيخ الإسلام :

ووجه الدلالة : أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر علىٰ وجه الأرض وقد نهىٰ عن اتخاذه عيدا فقبر غيره أولىٰ بالنهي كائنا من كان ثم إنه قرن في ذلك بقوله : «ولا تجعلوا بيوتكم قبورا» أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهىٰ عن تحري العبادة عند القبور . وهذا ضد ما عليه المشركون والنصارىٰ وأشباههم .

ثم إن في اتخاذ القبور أعيادا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالىٰ ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالىٰ وغيرة علىٰ التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك ولكن : ما لجرح بميت إيلام .

فمن مفاسد اتخاذهما أعيادًا : الصلاة إليها - الطواف بها - تقبيلها واستلامها وتعفير الخدود علىٰ ترابها وعبادة أصحابها والاستعانة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون . وتفريج الكربات . وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم .

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وكان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأىٰ أحدهما مضادًا للآخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان أبدا . فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى

(١) صحيح . انظر «صحيح الجامع» (٧٢٢٦) ، و«تحذير الساجد» (٩٦).

القبور وهؤلاء يصلون عندها . ونهى عن اتخاذهما مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضادة لبيوت الله تعالى .

ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها .

ونهى أن تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ومناسك يجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ، وأمر بتسويتها كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال : قال علي بن أبي طالب : .ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**» .

وعن عائشة، وعبد الله بن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك : «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**» متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» .

وفي رواية مسلم : «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

فقد نهى عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق (حالة احتضاره) من فعل ذلك من أهل الكتاب ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك .

قالت عائشة $ قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا) متفق عليه .

وقولها : (خُشي) وهو بضم الخاء تعليلا لمنع إبراز قبره .

وروي الإمام أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود # أن النبي ﷺ قال : «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد**»[1] .

وفي صحيح البخاري . أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى أنس بن مالك يصلي عند القبر فقال: القبر . القبر . وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ﷺ ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور . وفعل أنس ﷺ لا يدل على اعتقاده جوازه فإنه لعله لم يره أو لم يعلم أنه قبر . أو ذهل عنه فلما نبهه عمر ﷺ تنبه .

وأبلغ من هذا أنه نهى عن الصلاة إلى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة، فروى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**» .

وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ وهو باطل من عدة أوجه .

وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، وابن حبان (٣٤٠) ، وجوده ابن تيمية في «الاقتضاء» (٢/ ٦٧٤) ، وصححه أحمد شاكر في «المسند» (٣٨٤٤ ، ٤١٤٣)، والألباني في «تحذير الساجد» (صـ ١٩).

الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها) وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب .

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه . كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء**» .

ونهى عن الكتابة عليها . كما روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «**نهى أن تجصص القبور وأن تكتب عليها**» .

قال الترمذي حديث حسن صحيح . وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره .

ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا: أن رسول الله ﷺ «**نهى أن يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه**»[1] .

وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر (وهو الطوب الذي مسته النار) والأحجار والحصى .

ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبني القبر بآجر . وأوصى ألا يفعل ذلك بقبره .

وأوصى الأسود بن يزيد : أن لا تجعلوا على قبري آجرا .

وقال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم .

وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة : أن لا تضربوا علي فسطاطا .

وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطا .

---

(١) انظر : «أحكام الجنائز للألباني» (صـ ٢٠٤) ، وما بعدها .

والمقصود : أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذيها أعيادا . الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه .

قال أبو محمد المقدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن النبي ﷺ من فعله [1].

ولأن فيه تضييعًا للمال بغير فائدة .وإفرطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام . قال : ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر . ولأن النبي ﷺ قال : «**لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**» متفق عليه .

وقالت عائشة :«**إنما لم يبرز قبر رسول الله ﷺ لئلا يتخذ مسجدًا**» لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود والتقرب إليها . وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها . اهـ

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا . ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه (مناسك حج المشاهد) ومضاهاة منه للقبور بالبيت الحرام . ولا يخفي أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عبادة الأصنام .

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب أن

(١) يعني قوله ﷺ فيما رواه ابن عباس قال : «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» رواه أحمد وأهل السنة وضعفه الألباني وصحح بلفظ : (زوارات) .

ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره [1].

وأقول : إن من مكائد الشيطان للمتصوفة أن كثيرا منهم كان يحرص على الصلاة في المقابر والجبانات . وقد روي هذا عن غير واحد .

روى البيهقي - في الدلائل- بسنده عن سليمان بن أبي عثمان . عن مينا أو ابن مينا أو ميناس أنه خرج في ثياب خفاف في يوم في جنازة . قال: فانتهيت إلى قبر فصليت عنده ركعتين ثم اتكأت عليه قال : فربما سمعت أبا عثمان يقول : قال : فوا لله إن قلبي ليقظان إذ دعاني : إليك عني لاتؤذني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون وإنا قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لي مثل ركعتين أحب إلي من كذا وكذا [2].

ثم ساق بسنده عن نفس الرجل قال : لبست ثيابًا لي خفافا ودخلت الجبان فأصابني برد شديد فملت إلى قبر فصليت ركعتين خفيفتين ثم اضطجعت على القبر فوالله إني لنبهان إذا سمعت قائلا في القبر يقول : قم فقد آذيتني ثم قال : إنكم لتعملون ولا تعلمون ونعلم ولا نعمل فوالله لأن أكون صليت مثل ركعتيك هاتين الخفيفتين أحب إلي من الدنيا وما فيها [3].

قلت: فانظر إلى هذا الجاهل كيف يستبيح الصلاة عند القبر ثم يتكئ أو يضطجع على القبر؟ وهذا من الجهل الذريع بالشريعة المطهرة .

ثم يقال : إن أصل المبيت في المقابر بدعة منكرة .

ونعوذ بالله من الجهل والخذلان .

والعجب من الإمام البيهقي - رحمه الله - كيف يروي هذه الآثار في كتابه ولا يعلق عليها؟ وكيف فات محقق كتابه التعليق على هذا ؟

(١) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم وتكمله كلامه من بعد هذا من (صـ٢١٦ : ٢٢٥) .

(٢) انظر دلائل النبوة للإمام البيهقي (ج٧/ ٤٠)ط الريان .

(٣) انظر دلائل النبوة للإمام البيهقي (ج٧/ ٤٠)ط الريان .

فائدة

فإن قال قائل: كيف نوفق بين ما رواه مسلم ، وأحمد ، والترمذي، عن جابر من قول النبي ﷺ : «**إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب**» أو (يئس أن يعبده المصلون) وبين غلبة الشرك في هذه العصور .

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين ـ رحمه الله ـ عن معنىٰ قول النبي ﷺ : «**إن الشيطان يئس أن يعبد في هذه الجزيرة**» .

فأجاب قائلا : (يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يدل علىٰ عدم الوقوع لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا أيس أن يعبد سوىٰ الله في هذه الجزيرة . فالحديث خبر عما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت ولكنه لا يدل علىٰ انتفائه في الواقع) [1].

وسئل أيضا عن الجمع بين قول النبي ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» . وكذلك ما وقع إبان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وقوله ﷺ : «**إن الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب**».

فأجاب فضيلته بقوله : (الجمع بين النصوص المذكورة : إن يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يقتضي عدم الوقوع لأنه لا يعلم الغيب فالشيطان لما رأىٰ تخليص الجزيرة من الشرك وتوطيد دعائم التوحيد ظن أن لا شرك في الجزيرة العربية بعد هذا، ولكن النبي ﷺ الذي ينطق بوحي من

---

(١) نقلا عن (فتاوي العقيدة) للشيخ محمد بن صالح بن العثيمين ط مكتبة السنة (صـ٢٦٧، ٢٦٨) .

الله تعالى أخبر أنه سيكون ذلك وأما وقوع ذلك في الجزيرة إبان ظهوز الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ يرحمه الله تعالى - فلا يخلو إما أن يكون لقلة العلماء أو لعجزهم عن الإصلاح لغلبة الجهل وكثرة الجهال . والله أعلم بحقيقة الحال[1]. اهـ

(١) نقلا عن (فتاوي العقيدة) للشيخ محمد بن صالح بن العثيمين ط مكتبة السنة (صـ٢٦٧, ٢٦٨) .

٢٤ ـ العشق

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ [(١)]:

ومن مكـايده ومصايده : مـا فتن به عشـاق الصور . وتلك لـعمر الله الفتنة الـكبرىٰ والبلية العـظمىٰ التي استعبـدت النفوس لغير خلاقـها وملكت القلـوب لمن يسـومها الهـوان من عشاقـها . و ألقت الـحرب بين الـعشق والتوحيد ودعت إلىٰ موالاة كل شيطان مريـد . فصيرت القلب للهوىٰ أسيرا . وجعلـته عليـه حاكما وأميـرا فأوسعت الـقلوب محنـة ، وملأتها فـتنة ، وحالت بينها وبيبن رشدها . وصرفتـها عن طريق قصدها ، ونادت عليها في سوق الرقـيق فباعتـها بأبخس الأثـمان ، وأعاضتـها بأخس الحـظوظ وأدنىٰ المطالب عن العالي من غرف الجـنان . فضلا عما هو فوق ذلك من القرب من الرحمن . فسكـنت إلىٰ ذلك المحبوب الخسيس الـذي آلمها به أضعاف لذتها ونيله للوصـول إليه أكبر أسباب مضرتها ،. فما أوشكه حبـيبا يستحيل عدوا عن قريب ومتبرأ منه محبه لو أمـكنه حتىٰ كان لم يكن له بحبيب .وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد بـه أعظم الآلم بعد حين لا سيما إذا صار الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين .

فياحـسرة المحـب الذي باع نفـسه لغيـر الحبيـب الأول بثمن بـخس .وشهوة عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها وبقيت الحسرة . فوارحمتـاه لصب جمع له بـين الحسرتيـن حسرة . فوت المحـبوب الأعلىٰ والنعيـم المقيم، وحسرة مـا يقاسيه من الـنصب في العذاب الأليـم . فهناك

(١) انظر إغاثة اللهفان (ج٢/ ١١٦) وما بعدها .

يعلم المخدوع أي بضاعة أضاع وأنه من كـان مالك رقه وقلبه لم يكن يصلح أن يكون من جملة الخدم والأتباع فأي مصيبة أعظم من مصيبة ملك أنزل عن سرير ملـكه وجعل لمن لا يـصلح أن يكون ممـلوكه أسيرا . وجعـل تحت أوامره ونواهيه مقهورا . فلو رأيت قلبه وهو في يد محبوبه لرأيته .

كعـصفورة فـي كف طفـل يسومـها حياض الردىٰ والطفل يـلهو ويلعب

ولو شاهدت حاله وعيشته لقلت :

ومـا فـي الأرض أشـقـىٰ مـن مـحـب وإن وجـد الهـوىٰ حـلـو المـذاق

تـراه بـاكـيـا فـي كـل حـيـن مـخـافـة فـرقـة أو لاشـتـيـاق

فـيـبـكـي إن نـأوا شـوقـا إلـيـهـم ويـبـكـي إن دنـوا حـذر الـفـراق

فهل يليق بالعاقل أن يبيع هذا الـملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب ويوقع بينـه وبين وليه ومولاه الحق الـذي لا غنى له عنه ولابد له مـنه أعظم الحجاب ؟ فالمحب بمن أحبه قتـيل . وهو له عبد خاضع ذليل إن دعاه لباه وإن قيل له : ما تتمنى ؟ فهو غاية مـا يتمناه . لا يأنس ولا يسكن إلىٰ سواه . فحقـيق به أن لا يمـلك رقه إلا لأجل حبـيب . وأن لا يبيـع نصيبـه منه بأخس نصيب ...» مختصرا .

ثم قال : (إذا تبين هذا فأصل المحبة المحمودة التي أمر بها الله تعالىٰ وخلق خلقه لأجلـها . هي محبته وحده لا شريك له المتضـمنة لعبادته دون عبادة ما سواه .

فإن العبادة تـضمن غاية الحب بغاية الـذل ولا يصلح ذلك إلا لله عزَّ وجلَّ وحده .

ولما كانت الـمحبة جنسًا تحـته أنواع متفاوته في الـقدر والوصف كان أغلب ما يذكـر منها في حق الله تعالىٰ : مـا يختص به ويليق بـه . كالعبادة

والإنابة والإخبات . ولهذا لا يذكر فيها لفظ العشق والغرام والصبابة والشغف والهوى وقد يذكر لها لفظ المحبة . كقوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ : [المائدة: ٥٤].

وقوله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾: [آل عمران : ٣١].

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ : [البقرة: ١٦٥].

ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن محبة ما يضادها وملازمتها . وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبتين وذكر قصصهم ومالهم ومنازلهم وثوابهم وعقابهم ولا يجد حلاوة الإيمان بل لا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

كما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**» وفي لفظ : «**لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن يلقى في النار**» .

وفي الصحيحين أيضا عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

ولهذا اتفقت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم على عبادة الله وحده لا شريك له وأصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة وإفراد الرب سبحانه بها فلا يشرك العبد به فيها غيره[1] .

(١) الإغاثة (٢/١٢٨-١٢٩) .

وقال ابن القيم :

«إذا تبين هذا فالعبد أحوج شيء إلى علم ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله فيحب النافع ويبغض الضار . فتكون محبته وكراهته موافقين لمحبة الله تعالى وكراهته ، وهذا من لوازم العبودية والمحبة . ومتى خرج عن ذلك أحب ما يسخطه ربه وكره ما يحبه فنقصت عبوديته بحسب ذلك» .

فمن المحبة النافعة : محبة الزوجه وما ملكت يمين الرجل فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين . من إعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره . وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل .

قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٩].

قال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ...**﴾ : [الروم: ٢١].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه سئل : من أحب الناس إليك ؟ فقال : «**عائشة**» ولهذا كان مسروق - رحمه الله - يقول إذا حدث عنها : حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات .

وصح عنه أنه ﷺ قال : «**حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**» [1].

فلا عيب على الرجل في محبته لأهله وعشقه لها إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له . من محبة الله ورسوله . وزاحم حبه وحب رسوله

(١) **صحيح** . رواه أحمد، والنسائي ، والحاكم ، والبيهقي ، عن أنس ، «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها وتنقصها فهي مذمومة وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة .

ولذلك كان ﷺ يحب الشراب البارد الحلو . ويحب الحلواء والعسل . ويحب الخيل وكان أحب الثياب إليه القميص .وكان يحب الدباء فهذه محبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمع الهم والقلب على التفرغ لمحبة الله ، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه . فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قربة . وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب ولم يعاقب وإن فاته درجة من فعله متقربا به إلى الله .

فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع : محبة الله ، ومحبة في الله ، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى ، واجتناب معصيته، والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله . ومحبة ما يبغضه الله تعالى . ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها . فهذه ستة أنواع مدار محاب الخلق .

فمحبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أصل المحاب المحمودة وأصل الإيمان والتوحيد. والنوعان الآخران تبع لها . والمحبة مع الله ، أصل الشرك والمحاب المذمومة والنوعان الآخران تبع لها .

ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد . وكلما كان أكثر إخلاصا وأشد توحيدا . كان أبعد من عشق الصور . ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها . ونجا منه يوسف الصديق عليه السلام بإخلاصه .

قال تعالى : ﴿... كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : الآية ٢٤].

فالسوء : العشق ، والفحشاء ، الزنا . فالمخلص قد خلصه حبه لله فخلصه الله من فتنة عشق الصور . والمشرك قلبه متعلق بغير الله لم يخلص توحيده وحبه لله عز وجل .

ومن أبلغ كيد الشيطان وسخريته بالمفتونين بالصور : أنه يمني أحدهم أنه إنما يحب ذلك الأمرد أو تلك المرأة الأجنبية لله تعالى لا للفاحشة ويأمره بمواخاته وهذا جنس المخادنة بل هو مخادنة باطنة كذوات الأخدان اللاتي قال الله تعالى فيهن : ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء : الآية : ٢٥] .

وقال في حق الرجال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ...﴾ : [المائدة : الآية ٥].

فيظهرون للناس أن محبتهم تلك الصورة لله تعالى ويبطنون اتخاذها خدنا يتلذذوا بها فعلا أو تقبيلا [1] أو تمتعا بمجرد النظر والمخادنة والمعاشرة واعتقادهم أن هذا لله وأنه قربة وطاعة : هو من أعظم الضلال والغي وتبديل الدين . حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوبا له . وذلك من نوع الشرك. والمحبوب المتخذ من دون الله طاغوت . فإن اعتقاد كون التمتع بالمحبة والنظر والمخادة وبعض المباشرة لله وأنه حب فيه : كفر وشرك . كاعتقاد محبي الأوثان في أوثانهم .

وقد يبلغ الجهل بكثير من هؤلاء إلى أن يعتقد أن التعاون على الفاحشة تعاون على الخير والبر وأن الجالب محسن إلى العاشق جدير بالثواب .وأنه ساع في دوائه وشفائه وتفريج كرب العشق عنه . وأن «من نَفَسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[2] .

(١) انظر تلبيس إبليس باب تلبيسه على الصوفية في صحبة الأحداث .

(٢) الإغاثة (٢/ ١٣٧)

والله سبحانه إنما حكى عشق الصور في القرآن عن المشركين فحكاه عن امرأة العزيز وكانت مشركة على دين زوجها وكانوا مشركين . وحكاه عن اللوطية وكانوا مشركين فقال تعالى في قصصهم : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ : [الحجر : الآية ٧٢] .

وأخبر سبحانه أنه يصرفه عن أهل الإخلاص فقال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ : [يوسف : ٢٤] .

والفتنة بعشق الصور تنافي أن يكون دين العبد كله لله . بل تنقص من كون دينه لله بحسب ما حصل له من فتنة العشق وربما أخرجت صاحبه من أن يبقى معه شيء من الدين لله قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال : ٣٩]. مناقض بين كون الفتنة وبين كون الدين كله لله . فكل منهما يتناقض مع الآخر .

والفتنة : قد فسرت بالشرك . فما حصلت به فتنة القلوب فهو إما شرك وإما من أسباب الشرك وهي جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات. وفتنة الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن ، ومنه فتنة أصحاب العجل . كما قال الله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه : الآية ٨٥].

وكذلك فتنة العشق من أعظم الفتن . قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة : الآية : ٤٩].

نزلت في الجد بن قيس ، لما غزا رسول الله ﷺ تبوك قال له : (هل لك يا جد في بلاد بني الأصفر تتخذ منهم السراري والوصفاء؟ فقال جدٌ ائذن لي في القعود عنك ، فقد عرف قومي أني مغرم بالنساء، وأني أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر عنهن فأنزل الله هذه الآية .

قال ابن زيد : يريد لاتفتني بصباحة وجوههن .وقال أبو العالية : لا تعرضني للفتنة .

قوله تعالى : ﴿ **ألا في الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ قال قتادة : ما سقط منه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عنه أعظم .

فالفتنة التي فر منها - بزعمه - هي فتنة محبة النساء وعدم صبره عنهن . والفتنة التي وقع فيها هي فتنة الشرك والكفر في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه بل خلص من الافتتان . ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان

فمن الأول : قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**﴾ [طه : الآية ٤٠].

ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ...**﴾ [الأنفال : الآية ٣٩].

وقوله : ﴿**ألا في الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ . ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى : ﴿**الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ : [العنكبوت : ١ :٣].

ومنه قول موسى عليه السلام : ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ...**﴾ [الأعرف الآية : ١٥٥] .

أي امتحانك أو ابتلاؤك تضل بها من وقع فيها وتهدي من نجا منها . وتطلق الفتنة على أعم من ذلك كقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: الآية ١٥] .

قال مقاتل : أي بلاء وشغل عن الآخرة قال ابن عباس : فلا تطيعوهم

في معصية الله تعالى .

فليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له ومخلصة له من الذنوب كما يخلص الكير خبث الذهب والفضة فالفتنة كير القلوب ومحك الإيمان وبها يتبين الصادق من الكاذب . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت الآية : ٣]. فالفتنة قسمت الناس إلى صادق وكاذب ومؤمن ومنافق وطيب وخبيث فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه ونجا بصره من فتنة أعظم منها ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها فالفتنة لابد منها في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات : الآية ١٣ : ١٤].

فالنار فتنة من لم يصبر على فتنة الدنيا .

قال تعالى في شجرة الزقوم : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات : ٦٣].

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى : فتن أصحاب الشهوات بالصور الجميلة وفتن أهل أولئك لهم فكل من النوعين فتنة للآخر فمن صبر منهم على تلك الفتنة نجا مما هو أعظم منها ومن أصابته بتلك الفتنة سقط فيما هو شر منها فإن تدارك ذلك بالتوبة النصوح وإلا فبسبيل من هلك . ولهذا قال النبي ﷺ **«ما تركت بعدي فتنة أضر من النساء على الرجال»** أو كما قال .

فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة بالسوء وشيطانه المغوي المزين وقرنائه وما يراه ويشاهده مما يعجز صبره عنه ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل . وميل النفس . إلى زهرة الحياة الدنيا وكون العوض مؤجلا في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها وفيها نشأ . فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة

المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به)[1].

وقد تكلم العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (الجواب الكافي) أو(الداء والدواء) عن العشق فعقد فصلا طويلا عن عشق الصور. وذكر فيه من الفوائد الشيء الكثير. وذكر أضرار العشق ودواءه -ومقامات العشق - وذكر بعض مزاعم العشاق الباطلة وفندها ورد عليها ثم تكلم عن المحبة النافعة وعن الحب الذي لا ينكر ولا يذم - وعن محبة الزوجات وعن أقسام الناس في العشق ثم ختم الكتاب بحديث (من عشق فعف) وبين أنه حديث باطل أنكره حفاظ الإسلام[2].

ولقد أفرد - رحمه الله - كتابا كبيرا لهذه القضية سماه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) تكلم فيه عن الحب والمحبة ودواعيها وأحكام النظر وغوائله ورد حجج من أباح النظر إلى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه. وأجاب عن تلك الشُبه ثم تكلم عن حقيقة العشق وأوصافة وكلام الناس فيه، وعن سكرة العشاق. ثم ذكر الأدلة على ذم العشق. وتكلم عن فضيلة الجمال وعلامات المحبة وشواهدها، وعفاف المحبين مع أحبابهم وختم الكتاب بالباب التاسع والعشرين في ذم الهوى وما في مخالفته من نيل المنى. والكتاب ضروري لكل مبتلي لهذا الداء[3].

---

(١) انتهى مختصرا من إغاثة اللهفان ج٢.

(٢) انظر الجواب الكافي (صـ٢٦٥) ٣١ ط. دار الخلفاء.

(٣) له طبعات كثيرة وقد طبع في دار الفكر العربي بالقاهرة طبعة متواضعة. ولي بحث طويل في مسأله العشق كتبته منذ سنين أسأل الله التوفيق لنشره.

٣٥ - الأغاني والموسيقى

الغناء الشيطاني :

قال ابن القيم - رحمه الله - :

ومن مكـايد عدو الله ومصايده الـتي كاد بها من قـل نصيبه من الـعلم والعقل والدين وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة الذي يصد القلـوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان . فهو قرآن الشيطـان والحجاب الكثيف عن الرحمن وهو رقية اللواط والزنا . وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى .

كاد به الشيطان النفوس المضلة وحسنه لها مكرا وغرورا . وأوحى إليها الشبه الـباطلة على حسـنه فقبلت وحية واتـخذت لأجله القرآن مهـجورا فلو رأيتهم عند ذاك السماع وقد خشعـت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات وعلقت قلوبهم بكلـيتها عليه وانصبت انصبابة واحدة إليه فتـمايلوا له كتمايل النـشوان . وتكـسروا في حركـاتهم ورقـصهم . أرأيـت تكسر الـمخانـيث والنسوان؟ ... ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام . ويا شماتة أعداء الإسلام بالذيـن يزعمون أنهـم خواص الإسلام . قضوا حيـاتهم لذة وطربـا واتخذوا دينهـم لهوا ولعـبا . مزاميـر الشيطان أحـب إليهم مـن استماع سـور القرآن .لوسمع أحـدهم القرآن من أوله إلى آخـره لما حرك له ساكـنا ولا أزعج له قاطنا ولا آثار فيه وجدا ولا قدح فيـه من لواعج الشوق إلى الله زندا . حتى إذا تلي عليه قرآن الـشيطان وولج مزموره سمعه ، تفجرت منـه ينابيع الوجد من قلبه على عينيه ، فجرت ، وعلـى أقدامه فرقصت ، وعلى يديه فصفقت ، وعلى سـائر أعضائه فاهـتزت وطربت ، وعلى أنـفاسه فتصاعـدت ، وعلى

زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها المفتون! والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن .؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد ؟

ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه ويميل إلى ما يشاكله . .فمن أين هذا الإخاء والنسب ؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب . . . ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقدة الإيمان وعهد الرحمن خللا؟

﴿... أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف : ٥٠] .

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض وتحذر من سلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم من جميع طوائف الملة [١] .

الأدلة على تحريم الغناء والموسيقى :

أولا : أدلة من القرآن :

١ ـ قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان : ٦ـ٧] .

قال الواحدي وغيره : أكثر المفسرين : على المراد بلهو الحديث : الغناء : قاله ابن عباس في رواية عن سعيد بن جبير ومقسم عنه . وقاله عبد الله بن مسعود في رواية أبي الصهباء عنه وهو قول مجاهد، وعكرمة .

وروى ثور بن أبي فاختة عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ . قال : هو الرجل الذي يشتري الجارية تغنيه ليلا ونهارا .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو اشتراء المغني والمغنية بالمال

(١) إغاثة اللهفان (ج١/ ٢٤٢-٢٤٤).

الكثير والاستماع إليه وإلى مثله من الباطل وهذا قول مكحول .

وهذا اختيار أبي إسحاق أيضا .وقال : أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث ههنا هو الغناء لأنه يلهي عن ذكر الله تعالى .

قال الواحدي : قال أهل المعاني : ويدخل في ذلك كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن .وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء فلفظ الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار وهو كثير في القرآن . قال: ويدل على هذا : ما قاله قتاده في هذه الآية : لعله أن لا يكون أنفق مالا . قال : وبحسب امرئ من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق .

قال الواحدي : وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء . ثم ذكر كلام الشافعي في رد الشهادة بإعلان الغناء . قال .وأما غناء القينات (المغنيات) وذلك أشد ما في الباب وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه وهو ما روي أن النبي ﷺ قال : «**من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة**» الآنك: الرصاص المذاب .

وقد جاء لهو الحديث بالغناء مرفوعا إلى النبي ﷺ ففي مسند الإمام أحمد، ومسند عبد الله بن الزبير الحميدي . وجامع الترمذي من حديث أبي أمامة والسياق للترمذي . أن النبي ﷺ قال : «**لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام**» . وفي مثل هذا نزلت الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

قال ابن القيم :

وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم فعبيد الله بن زحر ثقة . والقاسم ثقة وعلى ضعيف . إلا أن للحديث شواهد ومتابعات سنذكرها إن شاء الله تعالى . ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث بأنه الغناء فقد صح ذلك عن ابن عباس وابن مسعود .

وقال أبو الصبهاء : سألت ابن مسعود عن قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

يشتري لهو الحديث ليُضلَّ عن سبيل الله ﴾ . فقال : فوالله الذي لا إله إلا غيره هو الغناء، يرددها ثلاث مرات .

وصح عن ابن عمر ﷺ أيضا أنه الغناء .

قال الحاكم أبو عبد الله في التفسير من كتاب «المستدرك» : ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند. وقال في موضع آخر من كتابه : هو عندنا في حكم المرفوع.

قال ابن القيم :

وهذا وإن كان فيه نظر فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عزَّ وجلَّ من كتابه فعليهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة وقد شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علما وعملا وهم العرب الفصحاء على الحقيقة فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل .

ولا تعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيره بأخبارالأعاجم وملوكها وملوك الروم ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة يشغلهم به عن القرآن فكلاهما لهو الحديث . ولهذا قال ابن عباس : لهو الحديث : الباطل والغناء . فمن الصحابة من ذكر هذا ومنهم من ذكر الآخر ومنهم من جمعهما .

قال ابن القيم :

والغناء أشد لهوا وأعظم ضررا من أحاديث الملوك وأخبارهم: فإنه رقية الزنا، ومنبت النفاق،وشرك الشيطان وخمرة العقل. وصده عن القرآن العظيم أعظم من صد غيره من الكلام الباطل لشدة ميل النفوس إليه ورغبتهما فيه . إذا عرف هذا فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن وإن لم ينالوا جميعه . فإن الآيات تضمنت ذم استبدال لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا

وإذا يتلى عليه القرآن ولى مستكبرا كأن لم يسمعه كأن في أذنيه وقراً وهو الثقل والصمم وإذا علم منه شيئا استهزأ به فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرا وإن وقع بعضه للمغنيين ومستمعيهم فلهم حصة ونصيب من هذا الذم .

يوضحه أنك لم تجد أحدا عنى بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علما وعملا وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذ ا إلى ذاك وثقل عليه سماع القرآن وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته ويستزيد المغني ويستقر نوبته وأقل ما في هذا أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظ به جميعه .

والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها فأما من مات قلبه وعظمت فتنته قد سد على نفسه طريق النعمة .

﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٤١] [1] .

٢- الدليل الثاني من القرآن على حرمة الغناء :

قال تعالى في خطابه لإبليس عدوه : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ : [الإسراء : ٦٤].

قال مجاهد من أئمة التفسير - ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قال : هو الغناء والمزامير [2].

قال ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن ابن عباس : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ

(١) إغاثة اللهفان (ج١/ ٢٥٧- ٢٦٠)

(٢) انظر تلبيس إبليس (صـ٢٢٢) .

استَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قال : كل داع إلى معصية .

قال ابن القيم : ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ولهذا فسر صوت الشيطان به وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد : قال : استزل منهم من استطعت . قال : صوته الغناء والباطل... وبهذا الإسناد إلى جرير عن منصور عن مجاهد قال : صوته هو المزامير . ثم روى بإسناده عن الحسن البصري قال : صوته هو الدف .

قال ابن القيم : وهذه الإضافة إضافة تخصيص . كما أن إضافة الخيل والرجل إليه كذلك فكل متكلم بغير طاعة الله ومصوت بيراع أو مزمار أو دف حرام أو طبل فذلك صوت الشيطان . وكل ساع في معصية الله على قدميه فهو من رجله . وكل راكب في معصيته الله فهو من خيالته . . كذلك قال السلف كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : رِجْلُه . كل رجل مشت في مصيعة الله . وقال مجاهد : كل رجل يقاتل في غير طاعة الله فهو من رجله . وقال قتادة : إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس [(١)].

٣ـ الدليل الثالث من القرآن على حرمة الغناء .

قال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ : [النجم :٥٩: ٦٠].

روى ابن الجوزي بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال : هو الغناء بالحميرية . سمد لنا : غنى لنا . وقال مجاهد : هو الغناء . يقول أهل اليمن : سمد فلان إذا غنى [(٢)].

وذكر ابن القيم : قال عكرمة عن ابن عباس : (السمود : الغناء في

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٧٤: ٢٧٥) .

(٢) تلبيس إبليس (صـ٢٣١)

لغة حمير) يقال : اسمدي لنا : أي غني لنا . قال أبو زيد :

وكأن العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مسمود .

قال أبو عبيدة : المسمود . الذي غنى له . وقال عكرمة : كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا فنزلت هذه الآية .

وهذا لا يناقض ما قيل في هذه الآية من أن السمود : الغفلة والسهو عن الشيء قال المبرد : هو الاشتغال عن الشيء بهم أو فرح يتشاغل به وأنشد رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا .

قال ابن الأنباري السامد: اللاهي. والسامد: الساهي. والسامد: المتكبر والسامد: القائم . وقال ابن عباس في الآية . : وأنتم مستكبرون . وقال الضحاك: أشرون بطرون، وقال مجاهد: غضاب مبرطمون، وقال غيره : لاهون معرضون . قال ابن القيم : فالغناء يجمع هذا كله ويوجبه [1].

قال الشيخ الجزائري : (هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى قال فيها أئمة التفسير : إنها دالة على تحريم الغناء ومن بين هؤلاء الأئمة ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ الإمام المفسر الكبير القرطبي) [2].

٤- الدليل الرابع : قوله تعالى في وصف عباد الرحمن :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ : [الفرقان: ٧٢].

قال الحافظ بن رجب ـ رحمه الله ـ: قال بعض التابعين : إن اللغو هنا: الغناء [3].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٧٦) وانظر نزهة الأسماع في مسألة السماع صـ٤) للحافظ بن رجب رحمه الله .

(٢) الإعلام بأن العزف والغناء حرام . (صـ١٧) .

(٣) نزهة الأسماع (صـ٤) لابن رجب .

٥ـ **الدليل الخامس : قوله تعالى في وصف المؤمنين :**

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ : [المؤمنون : ٣].

قال الجزائري : (فلو كان الغناء وهو بلا شك لغو لخلوه من أية فائدة - فلو كان مباحا أو خاليا من الفساد المدنس للنفس لما كان الإعراض عنه وعن مثله من لغو وباطل صفة مدح وكمال يمدح بها المتصف بها وتؤهله لأن يكون من ورثة الفردوس حيث قال تعالى في بيان جزائهم : ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون الآية ١٠ : ١١] [١].

فهذه الأدلة من القرآن بتفسير السلف والخلف تدحض القائل أنه لا يوجد نص في القرآن يحرم الغناء .

الأدلة من السنة على تحريم الغناء :

وبعد أن ذكرنا عدة أدلة من القرآن على حرمة الغناء نذكر بعض الأدلة من السنة تؤيد ما نقول : وبالطبع فإننا نسوق هذا لمن تجرد عن هواه وأراد أن يذعن لشرع مولاه فيهمه أن يعلم حكم الشرع في هذه المسألة على وجه الخصوص .

أما من اتبع هواه فقد اتخذه إلها من دون الله فمثل هذا سيرد الحق الجلي الثابت في الكتاب والسنة وقد يتأوله بتأويلات ويذهب بتلك النصوص كل مذهب ليرد حجتها . وإن كثيراً من هذا النوع لا يريدون أن يعلموا ما قال الله ورسوله بل قد يقول: دعنا من قال الله وقال رسوله وتعالى نحتكم إلى العقل أو ... إلخ . ولا شك في كفر هذا .

وقد روى الإمام أبو عبدالله الحاكم النيسابوري في مقدمة كتابه (معرفة علوم الحديث) [٢].

---

(١) الإعلام (صـ١٧) .

(٢) صـ٤ تحقيق أ .د السيد حسين .

عن الشيخ أبي بكر أحمد بن إسحاق الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ: حدثنا فلان . فقال له الرجل : دعنا من حدثنا . إلى متى حدثنا . فقال له الشيخ : قم يا كافر . ولا يحل لك أن تدخل داري بعد هذا . ثم التفت إلينا فقال : ما قلت قط لأحد لا تدخل داري إلا لهذا .

فمن هذه الأحاديث التي احتج بها العلماء على حرمة الغناء ما يلي :

١- عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**»[1]. رواه البخاري.

---

(١) هذا الحديث ساقه البخاري رحمه الله في صحيحه (ج١٠/٥٣) برقم (٥٥٩٠) في كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه فقال : وقال : هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي . حدثنا عبد الرحمن عن غنم الأشعري قال : حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي ﷺ يقول : «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة له يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**» .

وهذا الحديث قد ضعفه ابن حزم ورده وشنع به لأن ذلك يوافق هواه في إباحة الغناء والمعازف وتتبعه على هذا بعض من لا تحقيق عنده ...

وقد رد علماؤنا دعوى ابن حزم وأثبتوا صحة الحديث .

وممن رد عليه الإمام أبو عمرو عثمان بن الصلاح في (علوم الحديث صـ٦١ ط. العلمية) حيث قال : (ولا التفات إلى أبي محمد بن حزم الظاهري الحافظ في رده ما أخرجه البخاري . من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ: «**ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف** ...» الحديث من جهة أن البخاري أورده قائلاً فيه : قال هشام أبو عمار ، وساقه بإسناده ، فزعم ابن حزم أنه منقطع فيما بين البخاري وهشام وجعله جوابًا عن الاحتجاج به على تحريم المعازف وأخطأ في ذلك من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح. إلخ). =

. . . .

= وحكى ابن الصلاح في موضع آخر : أن الذي يقول البخاري فيه قال فلان ويسمي شيخا من شيوخه يكون من قبيل الإسناد المعنعن .

★ وقال الحافظ بن حجر في بحثه على هذا الحديث في «الفتح» (ج١٠/ ٥٥) السلفية : (... وقد تقرر عند الحفاظ أن الذي يأتي به البخاري من التعاليق كلها بصيغة الجزم يكون صحيحا إلى من علق عنه ولو لم يكن من شيوخه لكن إذا وجد الحديث معلق من رواية بعض الحفاظ موصولا إلى من علقه يشترط الصحة أزال الأشكال ولهذا عنيت في ابتداء الأمر بهذا النوع وضعت كتاب (تغليق التعليق) .

وقد ذكر شيخنا في شرح الترمذي وفي كلامه على علوم الحديث أن حديث هشام بن عمار جاء عنه موصولا في (مستخرج الإسماعيلي) قال حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار وأخرجه الطبراني (مسند الشاميين) فقال: حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الصمد حدثنا هشام بن عمار بن يزيد عن جابر بسنده . اهـ. ثم أشار ابن حجر . إلى أن الطبراني أخرج الحديث في معجمه الكبير . وأخرجه أبو نعيم في مستخرجه على البخاري . وأخرجه كذلك ابن حبان ... إلخ .

★ وقال الحافظ بن رجب في (نزهة الأسماع : ص٨) تعليقا على هذا الحديث، هكذا ذكره البخاري في كتابه بصيغة التعليق المجزوم به ، والأقرب أنه مسند ، فإن هشام ابن عمار أحد شيوخ البخاري . وقد قيل : إن البخاري إذا قال في صحيحه : قال فلان ولم يصرح بروايته عنه وكان قد سمع منه فإنه يكون قد أخذه عنه عرضا أو تناوله أو مذاكرة وهذا كله لا يخرجه عن أن يكون مسندا والله أعلم . وأخرجه البيهقي من طريق الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار فذكره فالحديث صحيح محفوظ عن هشام بن عمار . وأخرج أبو داود هذا الحديث مختصرا بإسناد متصل إلى عبد الرحمن ابن جابر بهذا الإسناد . اهـ

★ وقال الإمام ابن حجر الهيثمي في (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع صـ١٣٢)(استدل أصحابنا يعني الشافعية)لتحريم الملاهي المذكورة بقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ**﴾ [لقمان :٦]. فسره ابن عباس والحسن بالملاهي . =

. . . .

= وبقوله تعالى : ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء : ٦٤]. فسره مجاهد بالغناء والمزامير .

وبالحديث الصحيح : أنه ﷺ قال : «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحز والحرير والخمر والمعازف » رواه البخاري تعليقا ووصله الإسماعيلي وأبو نعيم في المستخرج وأبو داود بأسانيد صحيحة والمعازف : آلات اللهو .

وبهذا الذي تقرر من صحة هذا الحديث من هذه الطرق الكثيرة اندفع قول ابن حزم أن الحديث منقطع ولا حجة فيه ولو فرض أن غير البخاري لم يذكره لأن ذكره له حجة لما قد تقرر عند الأئمة أن تعليقاته المجزوم بها صحيحة على أن بعض الحفاظ قال : طرقه المذكورة كلها صحيحة لا مطعن فيها وقد صححه جماعة آخرون من أئمة الحفاظ . على أن ابن حزم ذكر في موضع آخر . أن قول العدل الراوي إذا روى عمن أدركه من العدول فهو على اللقاء والسماع سواء قال : أنبأنا أو حدثنا أو عن فلان . أو قال فلان فكل ذلك منه محمول على السماع .

فتأمل كيف ناقض نفسه؟ فإنه لما ذكر عن البخاري أنه روى في صحيحه في الأشربة قوله : قال هشام بن عمار . حدثنا صدمة بن خالد . حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وساق بسنده إلى أبي عامر وأبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : «ليكونن في أمتي قوم يستحلون الحر» أي بكسر الحاء المهملة وفتح الراء مع التخفيف أي: الزنا . فإن الحر اسم لفرج المرأة والحرى .

قال ـ أعني ابن حزم ـ هذا حديث منقطع غير متصل فلا يستدل به بل حمله تعصبه لمذهبه الفاسد الباطل في إباحة الأوتار وغيرها إلى... أن حكم على هذا الحديث وما ورد في الملاهي بالوضع .

وقد كذب في ذلك وافترى على الله وعلى نبيه وشريعته الغراء كيف وقد صرح الأئمة الحفاظ الذين هم أمناء الله على شريعة نبيهم بتصحيح كثير من الأحاديث الواردة في ذلك كما قدمته؟ ولقد قال بعض الأئمة الحفاظ: إن ابن حزم إنما صرح بذلك تقرير لمذهبه الفاسد في إباحة الملاهي وليس كما زعم وافترى . فقد صحح ذلك الحديث جماعة كثيرون من الأئمة الحفاظ ووقع من حديث عشرة من أصحاب هشام فمنه بل ولم ينفرد به كل من هشام وصدقة ابن جابر .أي فالحديث مشهور عن غير رواة =

. . . .

= البخاري أيضا وبهذا يتضح لك بطلان كلام ابن حزم وأن تعصبه لمذهبه الباطل أوقعه في المجازفة والاستهتار حتى حكم على الأحاديث الصحيحة من غير شك ولا فرية بأنها موضوعة وقد كذب وافترى .

ومن ثم قال الأئمة في الحط عليه: إن له مجازفات كثيرة وأمورًا شنيعة نشأت من غلطه وجحوده على تلك الظواهر . ومن ثم قال المحققون: إنه لا يقام له وزن ولا ينظر لكلامه ولا يعول على خلافه . أي فإنه ليس مراعيا للأدلة بل لما رآه هواه وغلب عليه من عدم تحريه وتقواه ومبالغته في سب العلماء وثلبهم بما أوجب الخزي في آخرته ودنياه أعاذنا الله من مثل هذه الأحوال . وبأنها آلة شربة الخمور فتدعو لشربها . وفيه تشبه بأهلها وهو حرام ولذلك لو رتب جماعة مجلسا وأحضروا له آلة الشرب . وأقداحه وصبوا فيه السكبخين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ويجيب بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم عليهم ذلك لما فيه من التشبه بأهل المعصية . وبهذا مع ما مر من الإجماع على تلك الآلات يندفع قول الغزالي القياس على تحليل العود وسائر الملاهي . ولكن ورد ما يقتضي التحريم .

ووجه اندفاعه :أن ما فيها من المعاني الموجبة للحرمة مع صحة الحديث بحرمتها وقيام الإجماع عليها يلغي ما قاله من القياس ولو فرضت صحته فكيف وهو لم يصح؟ وإنما القياس فيها الحرمة . لما علم واستقر في الشرع من أن وسائل المعاصي معاصي مثلها وهذه الآلات كذلك كما تقرر . وأصل هذا قول إمامه في بعض آلات الملاهي القياس تحليلها . فإن صح الخبر قلنا: بتحريمه وإلا توقفنا .

قال بعض شراح المنهاج : لم يصح . وليس كما زعم . بل صح الخبر من طرق عديدة لا مطعن فيها كما سبق ثم رأيت الغزالي ذكر ما يدفع ما مر عنه فإنه قال في الإحياء: والمنع من الأوتار كلها لثلاث علل :

أحدها : أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها تدعو لذلك ولهذا حرم شرب قليله الذي يقطع بعدم إسكاره لأنه يجر لكثيرة .

والثانية : أنها في قريب العهد . يشربه تذكره محاسن الشرب والذكر سبب انبعاث الفسوق . وانبعاث الفسوق إذا قوى سبب للإقدام . =

. . . .

= والثالثة : أن الإجـماع على الأوتار لما صار منـه عادة أهل الفسق منع مـن التشبه بهم إذ من يتشبه بقوم فهو منهم .

ثم قال ابن حجر المكي : زعم ابن حزم أنه لـم يصح في تحريم العود حديث قال : وقد سمعه ابن عـمر وابن جعفر . وابن حزم هذا رجل ظاهري لا يـحتج بخلافه ولا يعول عليه كما صرح به الأئمة .

وقوله : (لم يصح في تحريم العود حديث) مبـني على ما سبق منه قريبا في حديث البخـاري وقد علم أنه حديـث صحيح عند أئـمة الحديث الذيـن عليهم المـعول في القديم والحديث.

وزعمه أن هذين الإماميـن سمعاه من تهوره ومجازفته . ومن ثـم قال الأئمة في الرد عليه: لـم يثبت ما زعمه عـنهما . وحاشا ابـن عمر من ذلك مع شدة ورعـة وتحريه واتباعه وبعـده عن اللهو . قالوا أيضا : وقولـه لم يصح فيه حديث جحـود منه على ظاهريته . وفي عمـوم الأحاديث الناصَّة على ذم البدع والمحـدثات وإنكارها ما يدل على تحريمه دلالة ظاهرة لا مدفع لها .

ثم رد ابن حجر ما نسب إلى العز بن عبد السلام من إباحة الآلات لها ... إلخ .

★ وقد تكلم العلامة ابن حجر العسقـلاني في مقدمة البخاري (هدي الساري صــ١٩) عن الأحاديث المعلقة في البخاري وشرح أحكامها فقال :

والمراد بالتعليق : ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد .

وتارة يجزم به كـ(قال) . وتارة لا يجزم به كـ(يذكر) وإما المعلق من المرفوعات فعلى قسمين :

أحدهما : ما يوجد في موضع آخر من كتابه هذا موصولا .

ثانيهما : ما لا يوجد فيه إلا معلقا .

فالأول : قد بينا السبب فيه في الفصل الـذي قبل هذا [يعني قوله في صــ١٧ : وربما ضاق عليـه فخرج الحديث حيـث لا يكون له إلا طريق واحـدة فيتصرف حينـئذ فيه فيورده في موضـع موصولا وفي موضع معلـقا .ويورده تارة تاما وتارة مقـتصرا على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب ...]. وأنه يورده معلقا حيث تضيق مخرج=

. . . .

= الحديث إذ من قاعدته أنه لا يكرر إلا لفائدة فمن ضاق المخرج واشتمل المتن على أحكام فاحتاج تكريره فإنه يتصرف في الإسناد بالاختصار خشية التطويل .

والثاني : ما لا يوجد فيه إلا معلق : فإنه على صورتين : إما أن يورده بصيغة الجزم. وإما أن يورده بصيغة التمريض . فالصيغة الأولى: يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه . لكن يبقى النظر فيمن أبرز من رجال ذلك الحديث فمنهم ما يلتحق بشرطه ومنه ما لا يلتحق .

أما ما يلتحق فالسبب في كونه لن يتوصل إسناده إما لكونه أخرج ما يقوم مقامه فاستغنى عن إيراد هذا مستوفي السياق ولم يهمله بل أورده بصيغة التعليق طلبا للاختصار . وإما لكونه لم يحصل عنده مسموعا، أو سمعه وشك في سماعه له من شيخه، أو سمعه من شيخه فذاكره ، فما رأى أنه يسوقه مساق الأصل.

ثم انتقل ابن حجر إلى ذكر نماذج من هذه المعلقات ومنها حديثنا هذا في ص٦٣ فقال: (باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ورواية هشام بن عمار وصلها الحسن بن سفيان في «مسنده» والإسماعيلي والطبراني في «الكبير» وأبو نعيم من أربعة طرق، وابن حبان في صحيحه وغيرهم . اهـ .

★ وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله الحديث في «السلسلة الصحيحة» برقم (٩١ ج١/ ١٢٤).

وقال : (رواه البخاري في صحيحه تعليقا - ثم ساق سنده ثم قال : وقد وصله الطبراني (١/١٦٧/١) والبيهقي (١٠/ ٢٢١) وابن عساكر(١٩/ ٧٩/ ٢) وغيرهم من طرق عن هشام بن عمار به . وله طريق أخرى عن عبد الرحمن بن يزيد فقال أبو داود (٤٠٣٩) :حدثنا عبد الوهاب بن نجده حدثنا بشر بن بكر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به . وأورده ابن عساكر من طرق أخرى عن بشر به .

قلت الألباني : وهذا إسناد صحيح ومتابعة قوية لهشام بن عمار وصدقة بن خالد ولم يقف على ذلك ابن حزم في «المحلي» ولا في «رسالته في إباحة الملاهي» . فأعل إسناد البخاري بالانقطاع بينه وبين هشام وبغير ذلك من العلل الواهية التي بينها العلماء من بعده وردوا عليه تضعيفه للحديث من أجلها مثل المحقق ابن القيم في «تهذيب السنن» (٥/ ٢٧٠-٢٧٢) والحافظ بن حجر في «الفتح» وغيرهما . =

(فالمراد بـالحرِ : الفرج. والمعنـى : أنهم يستحلون الـزنا . والمراد بالمـعازف : آلات اللهو من طـبل وطنبور وعـود وقانون وقيثارة ونـحوها . ومعنى يستحلون : إما أنهم يفعلون هذه المحرمات فعل المستحل لها بحيث يكثرون منـها ولا يتحرجون من فعلهـا .وإما أنهم يعتقدون حلـها وقد يكون

= وقد فصلـت القول في جـزء عندي في الرد علـى رسالة ابن حزم الـمشار إليهـا يسر الله تبييضه ونشره .

وإن ابن حزم رحمه الله مع علمه وفضله وعقله فهو ليس طويل الباع في الإطلاع على الأحاديث وطرقها ورواتها ومن الأدلة على ذلك تضعيفه لهذا الحديث وقوله في الإمام الترمذي صاحب «السنن» (مجهول) وذلك مما حمل العلامة محمد بن عبد الهادي . تلمـيذ بن تيميـة على أن يقول فـي ترجمته فـي (مختصر طبـقات علماء الـحديث) صـ١٠٤) : وهو كثير الوهـم في الكلام على تصحيح الحديث وتضـعيفه على أقوال الرواه) قلت (الألباني): فـينبغي ألا يؤخذ كلامه على الأحاديث إلا بـعد التثبت من صحته وعدم شذوذ شأنه في ذلك شأنه في الـفقه الذي يتفرد به . وعلى الكلام الذي يخالف السلف فيه فقد قال ابن عبد الهادي بعد أن وصفه (بقوة الذكاء وكثرة الاطلاع) ولكن تـبين لي منـه أنه جهمي جـلد لا يثبت مـعاني أسماء الله الـحسنى إلا القـليل كالخـالق والحق وسائر الأسـماء عنده لا يدل عـلى معنى أصـلا: كالرحيم والعـليم والقدير ونحوها بـل العلم عنده القدرة والقدرة هي: العـلم وهي عين الذات ولا يدل العلم على شيء زائد على الذات المجردة أصـلا . وهذا عين السفسطة والمكابرة وقد كان ابن حـزم قد اشتغل في الـمنطق والفلـسفة وأمعن في ذلـك فتقررفي ذهنـه لهذا السبب معاني باطلة .

ثم : بين الألباني الألفاظ الغريبة في الحديث وتكلم على شيء من فقهه ومما قال :

أ- قوله (يستحلـون) فإنه صرح بأن المذكورات ومنها المعازف هـي في الشرع محرمة فيستحلها أولئك القوم .

ب -قرن (المعازف) مع المقطوع بحرمته : الزنا، والخمر ولولم تكن محرمة ما قرنها معها إن شاء الله تعالى :

ثم استطرد في بيـان حرمة الآلات الموسيقية وقال: (ولذلك اتفـقت المذاهب الأربعة على تحريـم آلات الطرب كلها) واستطرد في بـيان حرمة (الموسيقى العـسكرية) إلخ كلامه .

وقد صرح بصـحة الحديث في صـحيح الجامع بـرقم (٥٤٦٦)، وانظر تصحـيح ابن القيم للحديث في «الإغاثة».

هذا سبب فتيا ضالة من فتاوي أصحاب الأهواء ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة قطعية ولو لم يرد في المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيا في التحريم وخاصة في نوع الغناء الذي يعرفه الناس اليوم . هذا الغناء الذي مادته ألفاظ الفحش والبذاءة وقوامه المعازف المختلفة من موسيقى وقيثارة وطبل ومزمار وعود وقانون ومتمماته أو محسناته أصوات المخنثين ونغمات العاهرات . ووجهة دليل الحديث على الحرمة هو قوله ﷺ : «يستحلون» فإنه لو لم تكن هذه الأشياء محرمة لما كان لقوله ﷺ «يستحلون » من معنى يذكر . والأمر واضح فلا يخفى إلا على من طمست الشهوات بصيرته والعياذ بالله تعالى من ذلك) . الإعلام (صـ ٢٢ : ٢٣) .

قال ابن حجر : (يستحلون الحِرَّ) . وهو الفرج : أي يستحلون الزنا . قال ابن التين : يريد ارتكاب الفرج بغير حله ... وقوله يستحلون) قال ابن العربي: يحتمل أن يكون المعنى : يعتقدون ذلك حلالا ويحتمل أن يكون مجازا على الاسترسال أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال

ورأينا من يفعل ذلك الفعل ، ويطلق على الغناء: عزف.

و(المعازف) آلات الملاهي ونقل القرطبي عن الجوهري أن : المعازف: الغناء . (مختصرا في الفتح) (١٠/ ٧٥) .

الدليل الثاني من السنة على حرمة الأغاني والموسيقى :

عن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ:«ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف»[١]

(١) حديث صحيح : رواه ابن أبي الدنيا في (ذم الملاهي) وقد روي من طرق عن عمران بن حصين وأبي أمامة . وعلي وأبي هريرة .وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٠٣) وصحيح الجامع (٥٤٦٧) .

فإن القينات : المغنيات : والمعازف هي الآلات الموسيقية ونحوها .

الدليل الثالث :

قوله ﷺ : «**إن ربي عزَّ وجلَّ حرم علي الخمر والميسر والكوبة والقين**»[1]. والكوبة : الطبل التي قل أن يخلو غناء منها . والقين : الغناء .

قال في « عون المعبود » (٥٢٨/٦) :

وقال الخطابي : الكوبة تفسر بالطبل، ويقال: بل هو النرد ، ويدخل في معناه كل وتر ومزهر ، ونحو ذلك من الملاهي . اهـ

الدليل الرابع :

قوله ﷺ : «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف . فقال رجل من المسلمين : يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال : إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور**» [2].

الدليل الخامس :

قال ﷺ : «**ليشربن ناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**» [3].

الدليل السادس :

قوله ﷺ: «**صوتان ملعونان : في الدنيا والآخرة . مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة**»[4] .

(١) صحيح رواه أحمد (١/ ٢٧٤)، وأبو داود (٢٦٩٢) ، وانظر «صحيح الجامع» (١/ ٣٦٠)

(٢) صحيح رواه الترمذي (٢٢١٢) عن عمران بن حصين، وانظر «صحيح الترمذي» (١٨٠١)

(٣) صحيح رواه ابن ماجه (٤٠٢٠) ، وانظر «صحيح الجامع» (٥٤٥٤) ، والصحيحة (٩٠، ٩١).

(٤) صحيح رواه البزار عن أنس قال المنذري والهيثمي : رواته ثقات . وانظر السلسلة الصحيحة (٤٢٧) .

الدليل السابع :

قال ﷺ : «**إن في أمتي خسفا ومسخا وقذفًا**» . قالوا : يا رسول الله وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ؟ فقال : «**نعم : إذا ظهرت المعازف والخمور ولبس الحرير**» [1] .

الدليل الثامن :

عن النبي ﷺ : «**أنه نهى عن كسب الزمارة**» [2] .

والزمارة : هي المغنية .

الدليل التاسع :

عن نافع مولى ابن عمر قال : كنت رديف ابن عمر إذ مر براع يزمر فوضع أصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق . قال لي : يا نافع هل تسمع شيئا؟ فقلت : لا . قال : فرفع أصبعيه من أذنيه . وقال : كنت مع النبي : فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا)[3] .

وقال القرطبي المفسر بعد أن أورد أثر ابن عمر هذا : (قال علماؤنا : إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل هذا الزمان وزمرهم ؟!

الدليل العاشر : على حرمة الأغاني والآلات الموسيقية :

قال ﷺ : «**الجرس مزامير الشيطان**» رواه مسلم . قال «**لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس**» رواه مسلم .

قال العلماء : إذا كان الجرس سببا لنفور الملائكة فكيف بالآلات

---

(١) حسن لغيره . (رواه ابن أبي شيبة : (١٥/ ٦٤) .

(٢) صحيح رواه البغوي : في شرح السنة (٨/ ٢٢) .

(٣) صحيح رواه أبو داود (ج ٤٩٢٤، ٤٩٢٦، وأحمد (٢/ ٨/ ١٨) والبيهقي (١٠/ ٢٢٢) وهو صحيح وذكره الألباني في صحيح أبو داود .

الموسيقية علي أحدث الأجهزة الألكترونية التي تحرك كل شعرة وعرق في الإنسان ؟

الدليل الحادي عشر :

قال ﷺ : «**إني لم أنه عن البكاء ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة : لهو ولعب ومزامير الشيطان . وصوت عند مصيبة : لطم وجوه وشق جيب ورنة شيطان**» [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«هذا الحديث من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء كما في اللفظ المشهور عن جابر بن عبد الله : صوت عند نغمة : لهو ولعب ومزامير الشيطان فنهى عن الصوت الذي يفعل عند المصيبة والصوت الذي عند النغمة هو صوت الغناء». اهـ

الآثار عن الصحابة ومن بعدهم في تحريم الغناء :

وردت آثار كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم تؤيد ما تقدم نقله من نصوص الكتاب والسنة على تحريم الغناء والموسيقى وهذا يدل على حسن فهمهم رضي الله عنهم لا فهم هؤلاء الشذاذ الذين زعموا أنه ليس هناك نص في كتاب ولا في السنة الصحيحة يدل على حرمة الغناء والموسيقى . وإليك شيء من هذه الآثار .

١- قال أبو بكر رضي الله عنه : «**لما رأى جاريتين صغيرتين تضربان بالدف وتغنيان فانتهرهما وقال: مزمور الشيطان عند رسول الله ﷺ**»وأقره النبي ﷺ [2]

٢- قال عثمان رضي الله عنه ذاكرا فضل الله عليه : إذا لم يقع في هذه المعصية «ما تغنيت وما تمنيت» [3] .

(١) صحيح. عن جابر عن عبد الرحمن بن عوف . رواه الترمذي (١/١٨٧) ، والحاكم (٤/٤١) ، وغيرهما ، وانظر «صحيح الجامع» (٥١٩٤) ، و«الصحيحة» (٢١٥٧)، وانظر : تحريم آلات الطرب للألباني (صـ ٥١ ـ ٥٤).

(٢) رواه البخاري . (٣) رواه ابن أبي عاصم (٢/ ٥٩٥).

٣ ـ قال ابن مسعود ﷺ: «الغناء ينبت النفاق في القلب».

٤ ـ وقال أنس بن مالك ﷺ :أخبث الكسب كسب الزمارة، الزمارة: المغنية[١] .

٥ ـ ومر ابن عمر ﷺ مر على قوم محرمين وفيهم رجل يتغنى فقال : ألا لا سمع الله لكم . ألا لا سمع الله لكم [٢].

٦- قال ابن عباس ﷺ :«الدف حرام، والمعازف حرام . والكوبة حرام . والمزمار حرام»[٣] .

٧- ومرت عائشة ﷺ برجل يتغنى ويحرك رأسه طربا في البيت فقالت: أف شيطان . أخرجوه . فأخرجوه [٤].

٨- قال عمر بن عبد العزيز ﷺ عن الغناء : «بدؤها الشيطان . وعاقبتها سخط الرحمن جلّ جلاله» [٥].

٩- وقال وكيع بن الجراح : خذ الطنبور فاكسره على رأس صاحبه على فعل ابن عمر ﷺ [٦].

١٠- قال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا [٧].

١١- قال الشعبي رحمه الله : لعن المغني والمغنى له [٨] .

١٢- قال الضحاك : «الغناء مفسدة للقلب ومسخطة للرب» [٩] .

(١) ابن أبي الد نيا في ذم الملاهي .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي برقم (٤٤) بإسناد صحيح .
(٣) رواه البيهقي (١٠/ ٢٢٢)
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد .
(٥) رواه الآجري في سيرة عمر .
(٦) رواه الخلال (١٢٦)
(٧) ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي .
(٨ ، ٩) ابن أبي الدنيا .

١٣- قال ابن مسعود إذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان وقال : تغنه فإن لم يحسن قال له : تمنه .

١٤- ومر ابن عمر بجارية صغيرة تغني فقال : لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه.

١٥- قال يزيد بن الوليد : يا بني أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا .

المذاهب في تحريم الغناء

أجمعت المذاهب الأربعة على ما أجمع عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان على تحريم الأغاني وآلات الطرب . وكفى بالأدلة الشرعية التي سقناها مقنعًا لمن كان له عقل وقلب ودين .

أولا : مذهب أبي حنيفة :

عن أبي الطيب الطبري قال :كان أبو حنيفة يكره الغناء ... ويجعل سماع الغناء من الذنوب قال : وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة : إبراهيم والشعبي وحماد وسفيان الثوري وغيرهم . لا خلاف بينهم في ذلك . قال : لا عرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن البصري أنه كان لا يرى به بأسا [(١)] .

ومعنى قوله كان أبو حنيفة يكره الغناء ، المقصود بالكراهة هنا : كراهة التحريم ، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ناقلاً عن الإمام أبي بكر الطرطوشي في كتابه «في تحريم السماع» قال: وأما أبو حنيفة فإنه يكره الغناء، ويجعله من الذنوب . وكذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم خلافا أيضا بين أهل البصرة في المنع منه .

(١) تلبيس إبليس .(صـ٢٢٩) .

قلت : «ابن القيم» . فمذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب وقوله فيه أيضا أغلظ الأقوال .

وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف . حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة وأبلغ ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسق والتلذذ به كفر . هذا لفظهم وأوردوا في ذلك حديثًا لا يصح رفعه .

قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وقال أبو يوسف في دار يسمع منها صوت المعازف والملاهي : أدخل عليهم بغير إذنهم لأن النهي عن المنكر فرض فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض قالوا : ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره فإن أصر حبسه أو ضربه سياطا وإن شاء أزعجه (أي طرده) عن داره[1] .

ثانيا مذهب مالك رحمه الله:

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع قال : سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : إنما يفعله عندنا الفساق وكذا قال إبراهيم بن المنذر الحزامي وهو من علماء أهل المدينة . فتبين بهذا موافقة علماء أهل المدينة المعتبرين لعلماء سائر الأمصار في النهي عن الغناء وذمه . ومنهم : القاسم بن محمد وغيره ، كما هو قول علماء أهل مكة كمجاهد وعطاء وعلماء أهل الشام: كمكحول والأوزاعي . وعلماء أهل مصر :كالليث بن سعد . وعلماء أهل الكوفة: كالثوري وأبي حنيفة ومن قبلهما كالشعبي والنخعي وحماد . ومن قبلهم من

---

(١) الإغاثة (١/ ٢٤٥) وانظر الإعلام بأن العزف والغناء حرام (صـ٣١) .

التابعين أصحاب ابن مسعود . وقول الحسن وعلماء أهل البصرة . وهو قول فقهاء أهل الحديث كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم وكان الأوزاعي يعد قول من رخص في الغناء من أهل المدينة من زلات العلماء التي يؤمر باجتنابها وينهي عن الاقتداء بها [١].

وقال الإمام أبو الطيب الطبري ـ رحمه الله ـ : أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . فإنه قد حكى زكريا الساجي أنه كان لا يرى به بأسا [٢].

فالمعروف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ النهي عن الغناء وعن السماع إليه. وقد سأله مرة تلميذه ابن القاسم ـ رحمه الله ـ عن الغناء فأجابه قائلا : قال الله تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس: ٣٢] أفحق هو ؟

وما أحسن جواب الإمام . وما أعظم فقه مالك !! فإنه إن لم يكن الغناء حقا فهو باطل . وهل من عاقل يقول: الغناء حق ؟ ! [٣]

ثالثا مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ :

روى ابن الجوزي بسنده عن الحسن عن عبد العزيز الحروي قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول : خلفت بالعراق شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن .

وقد ذكر أبو منصور الأزهري : المغيرة : قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغييرا كأنهم

(١) نزهة الأسماع في مسألة السماع للحافظ ابن رجب (صـ١٩ : ٢٠) .

(٢) تلبيس إبليس (صـ٢٢٩) وانظر إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٥) .

(٣) الإعلام (صـ٢٩) .

إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى .

وقال الزجاج : سموا مغيرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة وروى عن أبي الطيب الطبري قال : قال الشافعي : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استنكر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال : وكان الشافعي يكره التغبير .

قال الطبري : فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء . (يعني تحريمه) والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد، وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ : «**عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار**» وقال: «**من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية**».

قال ابن الجوزي : وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي ﷺ ينكرون السماع . وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف . وأما أكابر المتأخرين فعلى الإنكار . منهم أبو الطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع منه كتاب مصنف ... عنه قال : لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال: ومن أضاف إلى الشافعي هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعي في كتاب (أدب القضاء) على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

وقال ابن الجوزي : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا : لا تقبل شهادة المغني والرقاص والله الموفق [1].

قال ابن رجب : وقد صنف القاضي أبو الطيب الطبري الشافعي رحمه الله مصنفًا في ذم السماع واستفتحه بأقوال العلماء في ذمه وبدأ بقول الشافعي رحمه الله : هو لهو مكروه يشبه الباطل . وقوله : من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . قال أبو الطيب: وأما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له

---

(١) تلبيس إبليس (صـ ٣٢٠: ٣٢١) .

فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة ، أو من وراء حجاب، وسواء أكانت حرة أو مملوكة. قال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، ثم غلظ القول فيه وقال : هو دياثة : ثم ذكر بعد ذلك قول فقهاء الأمصار ثم قال : فقد أجمع علماء الأمصار على كراهته والمنع منه قال : وإنما فارق الجماعة هذان الرجلان . إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بالسواد الأعظم»** وقال : **«من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية»** فالمصير إلى قول الجماعة أولى . وهذا الخلاف الذي ذكره في سماع الغناء المجرد فأما سماع آلات اللهو فلم يحك في تحريمه خلاف : وقال : إن استباحتها فسق قال : وإنما يكون الشعر غناء إن لحن وصيغ صيغة تورث الطرب وتزعج القلب وتثير الشهوة الطبيعية . فأما الشعر من غير تلحين فهو كلام كما قال الشافعي: الشعر كلام حسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه . اهـ

وقد أفتى قاضي القضاه أبو بكر محمد بن المظفر الشامي الشافعي . وكان أحد العلماء الصالحين الزهاد الحاكمين بالعدل ، وكان يقال عنه: لو رفع مذهب الشافعي من الأرض لأملاه من صدره بتحريم الغناء . وهذه صورة فتياه بحروفها، قال : لا يجوز الضرب بالقضيب ولا الغناء ولا سماعه ومن أضاف هذا إلى الشافعي فقد كذب عليه . ثم ذكر بعض الأدلة . ثم كتب بعده موافقوه له على فتياه جماعة من أعيان فقهاء بغداد من الشافعية والحنفية والحنبلية في ذلك الزمان وهو عصر الأربعمائة وهذا يخالف قول كثير من الشافعية في حمل كلام الشافعي على كراهة التنزيه [1].

وقد نقل ابن القيم ـ رحمه الله ـ نص كلام الشافعي ثم قال : وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه وأنكروا على من نسب إليه حله كالقاضي أبي الطيب الطبري والشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ .

(١) نزهة الأسماع (صـ١٩: ٢١) .

قال الشيخ أبو إسحاق في «التنبيه»: ولا تصح يعني الإجارة على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر ولم يذكر فيه خلافا .

وقال في «المهذب» : ولا يجوز على المنافع المحرمة لأنه محرم فلا يجوز أخذ العوض كالميتة والدم .

وقد نقل عن النووي تحريم الغناء . وقال : وقد صنف أبو القاسم الدولعي كتابا في تحريم اليراع . وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع بين الدف والشبابة والغناء. فقال في فتاويه . (وأما إباحة هذا السماع، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب الأربعة، وغيرهم من علماء المسلمين لم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله الإجماع [1].

رابعا مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ :

ذكر الإمام ابن الجوزي أن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ سئل عن رجل مات وترك ولدا وجارية مغنية فاحتاج الصبي إلى بيعها . فقال : لا تباع على أنها مغنية فقيل له إنها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوي عشرين دينارا . فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة .

قال ابن الجوزي : وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغني بقصائد الزهد بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق وهذا دليل أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظورًا ما أجاز تفويت المال على اليتيم وصار هذا كقول أبي طلحة للنبي ﷺ عندي خمر لأيتام. فقال : أرقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى .

وروى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه قال: كسب المخنث خبيث

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٤٦-٢٤٧) .

يكسبه من الغناء ثم قال : ابن الجوزي : فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات[1] .

قال محمد : فكيف لو أدرك الإمام أحمد وابن الجوزي وغيرهما زماننا هذا فرأوا ما أحدث شياطين الإنس والجن في الغناء والطرب [2].

وقال ابن القيم : (وأما مذهب الإمام أحمد فقال عبد الله ابنه : سألت أبي عن الغناء ؟ فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب . لا يعجبني .ثم ذكر قول مالك : إنما يفعله عندنا الفساق . قال عبد الله : وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلا عمل بكل رخصة . بقول أهل الكوفة في النبيذ . وأهل المدينة في السماع وأهل الكوفة في المتعة لكان فاسقًا .

قال أحمد : وقال سليمان التيمي : لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . ونص على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره إذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها . وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها وروايتان منصوصتان .

ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية وأرادوا بيعها فقال : لا تباع إلا على أنها ساذجة . فقالوا : إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفا أو نحوها . وإذا بيعت ساذجة لا تساوي ألفين . فقال : لا تباع إلا على أنها ساذجة .

ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام [2].

فمن غير المشكوك فيه تحريم الملاهي عامة غناء كانت أو ضربا على عود، أو مزمار أو غير هذه عند أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وعند أصحابه أجمعين [3].

---

(١) تلبيس إبليس (صـ٢٢٨-٢٢٩)

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٤٨) .

(٣) الإعلام (صـ٣١:٣٢) .

ذكر الإجماع على تحريم الغناء وآلات الطرب

اعلم ـ رحمك الله ـ أن تحريم الغنـاء والطرب والآلات الموسيقية أمر لا ينبغي أن يكون فيه خلاف . فليس هو من المسائل التي يسوغ فيه الخلاف وليست من مسائل الاجتهاد .

وذلك لأن فيها نصوص صريحة في الكتاب والسنة . وأجمع على ذلك خير القرون وكفى بجيل الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين .

ولأجل هذا حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك .

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ: (وقـد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغـيره من العلـماء الإجماع علـى تحريم السـماع المعتـاد في هذه الأزمان على وجهه الـمعتاد . قال : ومن نسب إباحته إلى أحـد من العلماء يجوز الاقـتداء به في الدين فـقد أخطأوا؛ وما جـاء عن بعض المشـايخ من استباحته ففي غير هذا السماع وبشروط شرطوها غير موجودة في هذا السماع . ومما ينبغي أن يعلم: أن الله تعالى أكمل لـنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام دينا فما ترك شيئا مما يقرب منه ومن دار كرامته إلا و أرشدنا إليه ولا شيئا يباعد عنه وعن دار كرامته إلا وزجرنا عنه ...) [1].

وقال أيضا : (وقـد حكى زكريا بن يحـيى الساجي في كتـابه اختلاف العلماء : اتفاق العـلماء على النهي عن الغناء إلا إبراهيـم بن سعد المدني ، وعبيدالله بن الحـسن العنبري ، قاضي البصرة ، وهذا فـي الغناء دون سماع آلات الملاهي . فإنه لا يعرف عن أحد من السلف الرخصة فيها وإنما يعرف ذلك عن بعض المتأخرين من الظاهرية والصوفية ممن لا يعتد به ...)[2] .

(١) نزهة الأسماع (صـ٣٥) .

(٢) السابق (صـ١٨, ١٩)

قال ابن القيم : وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة والغناء فقال في فتاويه : وأما إباحة هذا السماع ، وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع . والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة مفردة والدف منفردا فمن لا يحصل أو لا يتأمل ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي . وذلك وهم بيِّن من البصائر إليه تنادى عليه أدلة الشرع والعقل مع أنه ليس كل خلاف يستروح إليه ويعتمد عليه . ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد . قال : وقولهم في السماع المذكور : إنه من القربات والطاعات قول مخالف لإجماع المسلمين ومن خالف إجماعهم فعليه ما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ : [النساء : الآية : ١١٥] [1].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري ـ حفظه الله ـ :

١- الإجماع على أن الغناء حرام بآلة ولو كانت الألفاظ التي يتغنى بها من كلمات الله أو أسمائه أو صفاته تعالى .

٢- أجمعوا على أن سماع صوت الأجنبية والتلذذ به حرام ولو كان بالتهليل والتكبير فقد قال ﷺ : «إنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال» . فلم يأذن ﷺ للمرأة أن ترفع صوتها لغير ضرورة أكيدة حتى لو بذكر الله عز وجل وهي أكمل حال في الصلاة .

٣- كانوا مجمعين على أن المغني من الرجال يطلق عليه اسم المخنث والمغنيات مخنثات وكفى بالمرئ خزيا وعارا أن يقال : أنه مخنث ...

(١) الإغاثة (صـ٢٤٦-٢٤٧) .

٤- ومن المعلوم يقينا أن الرجل الغيور الذي يتحلى بالمروءة والشهامة والعزة والكرامة لا يرضى بحال لامرأته أن تسمع غناء أجنبي يطرب بصوته ويصف في غنائه العشق والحب والخلخال والدلال والهجر والوصال .

٥- الإجماع على تحريم القول الباطل وسماعه وسواء كان بصوت مطرب أو بغيره من الأصوات العادية . والغناء المعروف اليوم والذي كابرتم في تحريمه وهو ما ترسله أجهزة الراديو ومحطات الإذاعة وغيرها، قد اجتمع فيه كل محذور مما لا يجعل مؤمنا واحدا يتردد في منعه وتحريمه وذلك لأنه بآلة لهو وبألفاظ خليعة وبأصوات النساء العاهرات والرجال المخنثين وفوق هذا أنه كلام باطل ليس فيه من الحق شيء والباطل ضلال والضلال في النار.

قال ابن القاسم : سألت مالكا ـ رحمه الله ـ عن الغناء فقال لي: قال الله تعالى : ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [يونس: ٣٢] . أفحق هو[1]. اهـ

أسماء الغناء .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحماني له في الشرع بضعة عشر اسما . : اللهو - واللغو - والباطل - والزور - والمكاء - والتصدية - ورقية الزنا - وقرآن الشيطان - ومنبت النفاق في القلب -والصوت الأحمق - والصوت الفاجر - وصوت الشيطان - ومزمور الشيطان - والسمود .

أسماؤه دلت على أوصافه تبا لذي الأسماء والأوصاف

ثم ذكرها اسما اسما وذكر عليها الدليل من الكتاب والسنة والآثار .

١- أما اللهو : فقد تقدم معنا قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث...﴾ [لقمان : الآية : ٦: ٧].

(١) الإعلام بأن العزف والغناء حرام (١٩ : ٢٠) ط مكتبة عباد الرحمن بالسنبلاوين .

وأنه قد روى أكثر المفسرين عن جماعة من الصحابة أن المراد بلهو الحديث : الغناء .

3.2 - أما الزور واللغو : ففي قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان : ٧٢] .

قال محمد بن الحنفية : الزور ههنا : الغناء . وقاله ليث عن مجاهد . وقال الكلبي : لا يحضرون مجالس الباطل.

واللغو في اللغة : كل ما يلغي ويطرح. والمعنى : لا يحضرون مجالس الباطل وإذا مروا بكل ما يلغى من قول أو عمل أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه أو يميلوا إليه . ويدخل في هذا أعياد المشركين كما فسرها به السلف والغناء وأنواع الباطل كلها . وقال الزجاج : لا يجالسون أهل المعاصي ولا يمالئوا عليها ومروا مر الكرام الذين لا يرضون باللغو .

الإسم الرابع : الباطل :والباطل ضد الحق . قال تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١].

وقد تقدم سؤال ابن القاسم لمالك : وأنه حكم على الغناء بأنه باطل وبقوله تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس : ٣٢] .

وقال رجل لابن عباس ﷺ : ما تقول في الغناء أحلال هو أم حرام فقال : لا أقول حراما إلا ما في كتاب الله فقال : أفحلال هو ؟ فقال : ولا أقول ذلك .ثم قال له : أرأيت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة فأين يكون الغناء ؟ فقال الرجل : يكون مع الباطل . فقال له ابن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك .

قال ابن عباس : فهذا جواب ابن عباس ﷺ عن غناء الأعراب الذي

ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط والتشبيب بالأجنبيات وأصوات المعازف والآلات المطربات. فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته ... فمن أبطل الباطل أن تأتي شريعة بإباحته فمن قاس هذا على غناء القوم فقياسه من جنس قياس الربا على البيع والميتة والمكاء على المذكاة .

وأما التسمية برقية الزنا : قال فضيل بن عياض : الغناء رقية الزنا .

وقال يزيد بن الوليد : يابني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا .

أما تسميته منبت النفاق : فقد ثبت هذا عن ابن مسعود موقوفا قال : (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع) وروى هذا مرفوعا ولا يصح رفعه .

وأما تسميته : قرآن الشيطان :

فقد روى هذا عن قتادة رحمه الله .

وقد روى عن أبي أمامة مرفوعًا - ورواه ابن أبي الدنيا - قال ابن القيم: وشواهد هذا الأثر كثيرة .

وأما تسميته بالصوت الأحمق والصوت الفاجر:

ثبت هذا عن النبي ﷺ : لما مات ابنه إبراهيم وبكى عليه قيل له : أتبكي وأنت تنهي الناس؟ قال : «**إني لم أنه عن البكاء وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان**

وصوت عند مصيبة: خمش وجوه وشق جيوب ورنة وهذا هو رحمة ...». رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وأما تسميته بصوت الشيطان :

قال بعض السلف من قوله تعالى : ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ...**﴾ [الإسراء : ٦٣ : ٦٤].

وأما تسميته: مزمور الشيطان:

ففي الصحيحين عن عائشة $ قالت: دخل علي النبي ﷺ وعندي جاريتان [١] تغنيان بغناء بعاث [٢] فاضطجع على الفراش وحول وجهه . ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال : مزمار الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : دعها . فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

فلم ينكر ﷺ على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان . وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب - وكان اليوم يوم عيد فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبي أمرد صوته فتنة وصورته فتنة يغني بما يدعو إلى الزنا والفجور وشرب الخمور مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله ﷺ في عدة أحاديث . ويحتجون بغناء جويرتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوها في يوم عيد بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق ويدعون المحكم الصريح لهذا المتشابه وهذا شأن كل مبطل . نعم نحن لا نحرم ولا نكره منها ما كان في بيت رسول الله ﷺ على ذلك الوجه وإنما

---

(١) جاريتان : طفلتان صغيرتان.

(٢) بعاث : بضم الباء: حصن كان للأوس ويوم بعاث معركة كانت بين الأوس والخزرج.

نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك . وبالله التوفيق .

عقوبة سماع الغناء والموسيقى :

اعلم ـ رحمك الله ـ: أن الله تعالى توعد عشاق الغناء والموسيقى بأشد أنواع العقاب وأليم العذاب في الدنيا والآخرة . وآثار هذا كثيرة .

١ ـ فمن آثار الغناء التي يترتب عليها العقوبة : أنه أعظم قائد إلى الفاحشة الكبرى : الزنا ولأجل ذلك قال السلف ـ رحمهم الله ـ : الغناء رقية الزنا .

وقال يزيد بن الوليد : يا بني أمية إياكم والغناء . فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فإن كنتم لابد فاعليه فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا .

وعن محمد بن الفضل الأزدي قال : نزل الحُطَيْئَةُ - الشاعر- برجل من العرب ومعه ابنته مليكة ، فلما جنه الليل سمع غناء فقال لصاحب المنزل : كف هذا فقال : وما تكره من ذلك ؟ فقال: إن الغناء رائد من رادة الفجور ولا أحب أن تسمعه هذه يعني ابنته فإن كففته وإلا خرجت عنك .

وعن خالد بن عبد الرحمن قال : كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك فسمع غناء من الليل فأرسل إليهم بكرة فجيء بهم . فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة . وإن التيس لينبُّ فتستحرم له العنز [1] وأن الرجل ليتغنى فتشتاق إليه المرأة . ثم قال :

(١) الرمكة - محركة - الفرس تتخذ للنسل . واستودقت : دنت للفحل وأظهرت له حاجتها للفساد وهدير البعير : صوت في غير شقشقة من شدة هيجانه ومنعه من الفساد ونبَّ التيس : صاح للعنز يطلبها . واستحرمت العنز وكل ذات ظلف والكلبة والذئبة حراما -بكسر الحاء المهملة: اشتهت فحلها .

اخصوهم : فقال عمر بن عبد العزيز : هذه المثلة . ولا تحل فخل سبيلهم. قال : فخلى سبيلهم .

وقال الحطيئة لقوم :لا تسمعوني أغاني شبيبتكم فإن الغناء رقية الزنا .

قال ابن القيم : فإذا كان هذا الشاعر المفتون اللسان والذي هابت العرب هجاءه خاف عاقبة الغناء ،وأن تصل رقيته إلى حرمته فما الظن بغيره ؟

ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء كما يجنبهن أسباب الريب ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه.

ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء فحينئذ تعطي الليان . وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدا فإذا كان الصوت بالغناء صار إنفعالها من جهتين : من جهة الصوت، ومن جهة معناه ولهذا قال النبي ﷺ لأنجشة جارية : «يأنجشة رويدك رفقا بالقوارير» يعني النساء .

فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدف والشبابة والرقص والتخنث والتكسر فلوحبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء .

فلعمر الله . كم من حرة صارت بالغناء من البغايا . وكم من حر أصبح عبدا للصبيان أو الصبايا، وكم من غيور تبدل به اسما قبيحا من البرايا.

٢- ومن آثار الغناء ومضاره : أنه يفسد القلب : قال الضحاك: الغناء مفسدة القلب مسخطة للرب ويدل على ذلك ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» وروى مرفوعا ولا يصح رفعه . والنفاق كما هو معلوم من أمراض القلوب فإن قيل : فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي ؟

قيل: هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها .وأنهم هم أطباء القلوب .دون المنحرفين عن طريقتهم الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها . فكانوا كالمداوي من السقم بالسم القاتل وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو بأكثرها . فقلة الأطباء وكثرة المرضى وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف والعدول عن الدواء النافع الذي ركبه الشارع وميل المريض إلى ما يقوي مادة المرض فاشتد البلاء وتفاقم الأمر وامتلأت الدور والطرقات والأسواق من المرضى ، وقام كل جهول يطبب الناس فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزرع بالماء فمن خواصه:

٣- أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه: فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدا لما بينهما من التضاد . فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي وينهى عن اتباع خطوات الشيطان والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها ويزعج قاطنها ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح فهو والخمر رضيعا لبان : وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان . فإنه صنو الخمر ، ورفيقه ونائبه ، وحليفه، وخدينه، وصديقه عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ وهو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل يتغلغل في مكامن القلوب ويطلع على سرائر الأفئدة ويدب إلى محل التخيل فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة .

٤- وقال بعض السلف : السماع يورث النفاق في قوم . والعناد في قوم والكذب في قوم . والفجور في قوم. والرعونة في قوم .وأكثر ما يورث عشق الصور واستحسان الفواحش وإدمانه ويثقل القرآن على القلب ويكرهه

إلى سماعه بالكلية وإن لم يكن هذا نفاقا فما النفاق حقيقة ؟

وسر المسألة : أنه قرآن الشيطان فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدا . وأيضا فمن علامات النفاق : قلة ذكر الله والكسل عند القيام إلى الصلاة ونقر الصلاة وقل أن تجد مفتونا بالغناء إلا وهذا وصفه .

وأيضا : فإن النفاق مؤسس على الكذب والغناء من أكذب الشعر فإنه يحسن القبيح ويزينه ويأمر به ويقبح الحسن ويزهد فيه وذلك عين النفاق .

وأيضا : فإن المنافق يفسد من حيث يظن أنه يصلح كما أخبر الله بذلك عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه لا محاله من حيث يظن أنه يصلحه . والمغني يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات والمنافق يدعوها إلى فتنة الشبهات .

ولذلك قال الضحاك رحمه الله «الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب»، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن . فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم : أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء .

فالغناء يفسد القلب وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق وبالجملة فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء وحال أهل الذكر والقرآن تبين له حذق الصحابة ومعرفتهم بأدواء القلوب وأدويتها . وبالله التوفيق .

5- **ومن عقوبات الغناء وآثاره** : نزول العذاب والهلاك والمسخ وقد روي في ذلك أحاديث كثيرة يشهد بعضها لبعض .

من ذلك : عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال : «ليشربن ناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنازير»[1] .

(١) رواه ابن ماجه قال ابن القيم في الإغاثة (١/٢٧٨) وهذا إسناد صحيح .

وقد توعد مستحلي المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض ويمسخهم قردة وخنازير وإذا كان الوعيد على جميع هذه الأفعال فلكل واحد قسط من الذم والوعيد .

وقد وردت أحاديث في هذا المعنى عن جماعة من الصحابة منهم : سهل بن سعد الساعدي .وعمران بن حصين . وعبد الله بن عمر، وعبدالله ابن عباس، وأبي هريرة ،وأبي أمامة الباهلي، وعائشة أم المؤمنين . وعلي بن أبي طالب .وأنس بن مالك، وعبد الرحمن بن سابط، والغازي بن ربيعة . وقد ساقها العلامة ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (ج١/ ٢٧٩-٢٨٤)

ثم قال : وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمر وفي بعضها مطلق . ثم استطرد ـ رحمه الله ـ فذكر جملة من الآثار عن السلف في وقوع المسخ في هذه الأمة . فراجعه فإنه نفيس .

6- **سماع الغناء من خوارم المروءة** ويسقط العدالة ويرد الشهادة عند أهل العلم والإيمان وهذا من آثاره الخبيثة . وقد تقدم عن الشافعي ـ رحمه الله ـ قال : خرجت من بغداد وتركت فيها شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون – أو يشغلون به الناس عن القرآن وقال أيضا : (الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فإنه سفيه ترد شهادته) وقال مالك : لما سئل عن الغناء : إنما يفعله عندنا الفساق .

وقد صرح الأحناف - كما تقدم- بتحريم سماع الملاهي كلها وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة . بل قالوا : إن السماع فسق والتلذذ به كفر .

وقال العلامة تقي الدين الحصني الشافعي في (شرح الغاية) : (وكذا لا

تقبل شهادة المغني سواء أتى الناس أو أتوه . وكذا الرقاص كهذه الصوفية الذين يسعون إلى ولائم الظلمة والمكسة (جباة الضرائب) ويظهرون التواجد عند رقصهم وتحريك رءوسهم وتلويح لحاهم الخسيسة كصنع المجانين . وإذا قرئ عليهم القرآن لا ينصتون . وإذا زعق مزمار الشيطان فصاح بعضهم على بعضهم يتمايلون قاتلهم الله ما أفسقهم وأزهدهم في كتاب الله سبحانه وتعالى. وما أرغبهم في مزمار الشيطان وقرآن الشيطان عافانا الله[1] .

فلا ينبغي لعبد أن يتساهل في هذا كهؤلاء المتصوفة الذين يقولون: إنها ترقق قلوبنا .

فقد سئل أبو علي الروزباري عن سماع الملاهي ويقول هي لي حلال لأني وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال : نعم وصل لعمري ولكن إلى سقر (أي جهنم)[2] .

كلمات الأغاني في ميزان الشريعة[3]

علمت فيما تقدم الأدلة على حرمة الغناء من الكتاب، والسنة، والآثار، والمذاهب الأربعة، والإجماع . ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من جهال المتصوفة وأمثال ابن حزم .

ومعنى ذلك أن الغناء حرام بآلة وبغير آلة حتى ولو كان الغناء شعرا عفيفا.

فكيف يكون الحكم إن كانت كلمات الأغاني وألفاظها تحتوي على الشرك ،والكفر ، وإنكار المعلوم من الدين بالضرورة، وتتضمن كذلك

(١) انظر مصايد الشيطان وذم الهوى مختصر إغاثة اللهفان لابن غانم المقدسي صـ٤٣ : ٤٤ ، مكتبة دار القرآن.

(٢) السابق (صـ٥٧) .

(٣) انظر رسالة بهذا العنوان للشيخ محمد صالح المنجد ط مكتبة أبي حذيفة السلفية بمصر.

استباحة المحرمات، والعهر، والفجور ؟

الجواب : أنه لا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر أن هذا الغناء حرام حتى لو افترضنا أنه في الأصل جائز وهذا لا يكون .

هذا والناظر في كلمات الأغاني في هذه الأزمان وغيرها يجدها لا تخلو من أن تكون : شركا أو كفرا أو كبيرة فضلا عن الصغائر . كما أننا لا نجد في كلمات الأغاني في الغالب إلا دعوة إلى الفسق والفجور والزنا والعهر والخروج عن الشريعة والدين أو التعصب للقوميات الجاهلة التي تفرق المسلمين . كما نجد فيه تعظيم الحقير والتافه وتصغير الكبير العظيم وتخوض في أبواب كثيرة بغير علم فتأتي بالطامات والمنكرات التي لا تحصى ...) [1] .

ولا شك أن هذه نتيجة طبيعية للبعد عن الدين والتوحل في الجاهلية وعموم الجهالة بالشريعة وقد أذكى هذا كله تسلط طواغيت الأرض وكلابها النابحة على الموحدين وتحديهم لشعورهم وأيمانهم وسعيهم في تدعيم أنظمتهم الفاسدة عن طريق إفساد دين الشعوب وأخلاقها حتى يصيروا غوغاء أتباع كل ناعق لاهم لهم إلا الشهوات التي في سبيلها يكدحون ومن أجلها يوالون أو يعادون . فتسلط عليهم أولئك المجرمون بأجهزة إعلامهم الخبيثة وبوسائل غزوهم الحديثة . ولا شك أن الذي يكمن وراء هذا كله ويحركه من ورائه . أصابع الصهيونية العالمية . وحوافر الصليبية الدولية،والمسلمون خراف تكاد إلى حتفها على يد قصاب لا يرحم ولا يرقب في مؤمن إلا ولاذمه .

أضف إلى هذا (تسلط علماء السوء) الذين هم في الجهل أقبح أو على الأقل - مثل غيرهم من الحكام والعوام ـ الذين يحتاجون إلى من

(١) من مقدمة الرسالة المذكورة .

يعلـمهم لا أن يعلـموا هم الناس ويحـتاجون إلىٰ من يـفقههم لا أن يـقوموا بتفقيه الناس والأخذ بأيديهم . كل همهم : التنافس علىٰ الكراسي والرواتب - إلا من رحم الله وهـم قليل جدا فهـا هم المشايـخ يتسابقون فـي الإفتاء بالـفتاوىٰ الـتي تتـوافق مع الأهـواء والشهـوات بل ليـس أهواء المـسلمـين وشهواتهم فقط وإنما صاروا يفتون بالفتاوي التي يسترضون بها أعداء الإسلام من الكفـار والملحدين وأشبـاههم فهذا يفتـي بحل الربا . وهذا يفـتي بحل الغنـاء والموسيقىٰ . وذاك يـفتي بحرمـة النقاب وآخر يـفتي بحرمة الـختان للبنات . وثان يحضر الموالد ويـقر الشرك والمنكرات ودعاء الأموات وثالث صاحب طريقة صـوفية مبتدعة ورابع حزبي وخامـس وسادس وعاشر . فهم كثير وكثير . لا كثرهم الله - ولكن تـراهم ولا أثر لهم يذكر في الدعوة إلىٰ الخير ولا فـي التحذير من الشر وإنـما حيث وجدوا توجد البـدع والخرافات والمنكرات ويصدرونـها لغير بلادهم. وإنما الذي قل : العـالم الرباني الذي يخشىٰ الله عز وجل وبقينا في رءوس الضلالة .

صدق ابـن المبارك ـ رحـمه الله ـ : لا يصلـح أمر هذه الأمة إلا بـما صلح به أولها ...

هذا وإذا كان في الأغاني المشهورة عند عامة الناس الكثير من الكلمات المخالفة لـلعقيدة والشريعة كمـا سيظهر من الأمثلة التـي سنذكرها . إلا أن هناك أنواعا أخرىٰ من الغناء الذي هو أشد ضررا بعقائد المسلمين ومناهجهم .

فالغنـاء كما هو مذهب عـامة المسلمـين - حرام ومن الكبـائر التي لا يستريح لهـا حتىٰ كثير من الذين يقومـون بها ويعتبرون أنفسهـم أهل معصية وذنب وربمـا أراد الكثير مـنهم التوبـة والرجوع وترك الـغناء لولا المـغريات

(١) وبعض إخواننا يسميها التفاشيح والالتهابات اللادينية .

وأصدقاء السوء وغلبة الشهوات .

أما ما يعرف بالإنشاد الديني والتواشيح والابتهالات :[1] التي تذاع ليل نهار وللأسف في إذاعة القرآن الكريم المصرية أو تنشد في كثير من المساجد خاصة تلك المساجد التي تحتوي على قبور ومشاهد فإنها أشد خطرا وفتكًا كما سبق وهذا لأمرين .

الأمر الأول : أنها مليئة بالخرافات والعقائد الباطلة في الله عز وجل: حيث يوجد في كثير منها عقيدة الحلول والاتحاد مما كان عليه ابن عربي الصوفي الضال وأمثاله ومنها طلب الاستعانة والاستغاثة ودعاء الأموات من النبي ﷺ والأولياء وأهل البيت وغيرهم مما هو شرك وكفر واعتداء على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى أولياء الله الصالحين الذين يتبرءون من توسل هؤلاء ومدحهم الغالي [1]. ودعائهم مما فيه أكبر الضرر على عقائد المسلمين

الأمر الثاني : أن هذه المدائح والأناشيد والأشعار صارت في صورة يتدين بها فيرى منشدها ومستمعيها أنه في عبادة تقرب إلى الله تعالى بل كثير منهم يصرح بأنه عند سماعه لهذه التواشيح والأناشيد يكون أشد خشوعا وقربا من الله منه عند استماعه إلى القرآن الكريم [2]. وعليه فلا يمكن أن يتوب هذا الإنسان عن هذا الأمر بل وازداد سوءا باستعاضته بهذه الأغاني والأناشيد عن كلام الله عز وجل الذي هو خير الكلام وهذا أعظم خطر في هذا الباب والذي يغرق صاحبه في الإثم والجرم وموافقة هوى الشيطان .ذلك الأول الذي يتغنى بأغاني الفسق والفجور ووصف القدود والعيون وهو

(١) ومن غلوهم وإطرائهم المذموم : قولهم مخاطبين الرسول ﷺ : يا أول خلق الله وهذا باطل بالشرع والعقل .

٢) حالهم في ذلك حال المتصوفة الأوائل مع الغناء راجع تلبيس إبليس .

مقر بأنه مذنب ويتمنى التوبة .

الأناشيد الإسلامية :

ولا يفترق كثيرا عن الإنشاد الديني المنتشر خلطًا وخطأ ذلك الإنشاد الذي يسمى بالأناشيد الإسلامية التي أصبح الرجال هم الذين ينشدونها في الأفراح وزفة العروسين وغير ذلك ففيه ما في النوع السابق الذكر من كونه محتويا على أخطاء بعدم موافقته لهدي السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ في الأشعار وإنشادها في الأفراح وغيرها . فما كان الرجال ينشدون في الأفراح وإنما كان ذلك للجواري الصغار ...

وفي هذه الأناشيد أيضا تشبه بالنساء حيث أصبح الغالب على هذه الفرق المسماه بالفرق الإسلامية أن يقوم بالغناء حالقوا اللحية المتميعون بطريقة (قد) لا تفترق عن الأغاني العادية مع تلحين أناشيدهم بزعمهم على ألحان الأغاني الماجنة ...

وفيه أيضا خطر اعتقاده دينا ومما يتقرب به أو يحبه الله وشرعه الله مما يجعله في مصاف البدع والمنكرات التي يخشى على صاحبها من عقاب الله تبارك وتعالى .

وفيه أيضا : إدمان الكثير لسماع الأناشيد والالتهاء بها عن القرآن والسنة والعلم النافع[١] .

وبعض الأغاني الشعبية فيها سب لله ورسوله : ومنها وصف لله تعالى عن أقوالهم بألفاظ شنيعة وأنه سبحانه وتعالى يشاركهم الغناء والطرب . فماذا بقي ؟

أما القضاء والقدر ولوم الرب : فكثير في هذه الأغاني الكافرة .

(١) من مقدمة الأستاذ/ محمود بن الجميل لرسالة : (كلمات الأغاني) باختصار وتصرف .

كقول القائل : (ليه القسوة ليه ؟ ليه الظلم ليه ؟ ليه يارب ليه؟

فريد الأطرش : ليه الظلم ليه ؟ ليه يارب ليه : هكذا يتهم الله صراحة بالظلم والقسوة والله يقول : ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] وقال : ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

ثم أن منهم من يصرح بأنه مستعد للذهاب إلى النار مع محبوبته :

[ياتعيش وياي في الجنة .ياتعيش وياي في النار . بطلت أصوم وأصلي بدي أعبد سماك .لجهنم ماني رايح إلا وأنا وياك]. ويصرحون بأنهم يختارون بين الجنة والنار .

[ياتختار الجنة ياتختار النار . علشانك إنت أنكوي بالنار وألقح جتتي وأدخل جهنم وانشوي بالنار وأقول يا لهوتي] . هذا نص كلامهم . هذا نص غنائهم .

ويصرح قائلهم بأنه قبلها في الصباح . فقالت تفطر يا هذا والناس صيام قلت لها : أنت الهلال . والصوم بعد الهلال حرام) .سبحان الله : الصوم بعد رؤية الهلال حرام .

ومنهم من يصرح بأنه إن لم تحل له محبوبته على دين محمد أخذها على دين المسيح ابن مريم وهل كان دين المسيح ابن مريم يحل الزنا ؟ ولكنه الاستعداد للردة عن الدين .

ويقول قائلهم :(صوتك ذكرياتي عزي وصلاتي) .

ويقول قائلهم :(فكانت حلالاً لي ولو كنت أو كنت محرمي) .

لو كانت من المحارم لاستحلها وهي عزته وصلاته وهي هلاله وهي التي يفطر عليها . هكذا صارت المحبوبة، إلى آخر هذا الهراء .

ثم يقول عبد الحليم شبانة: يا ولدي قد مات شهيدا من مات فداء

للمحبوب هكذا حولوا الشهادة المقام العظيم عند الله من مات فداء للمحبوب؟ ومن المحبوب؟

ويقول القائل: (جلست والخوف بعينيها تتأمل فنجاني المقلوب . قالت ياولدي لا تحزن فالحب عليك هو المكتوب) .

فانظر إلى إقرار الكهانة والشعوذة وقراءة الفنجان . والكذب على الله تعالى بأنه كتب الحب على هذا الرجل والله يقول : ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [النمل : ٦٥] .

وقال ﷺ : «**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاته أربعين يوما**» (١) .

وقال ﷺ : «**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» (٢) .

وادعاء علم الغيب كفر بالله واعتداء على خصوصية من خصوصياته سبحانه وتعالى وهي علم الغيب .

ثم إنك تجد في أغانيهم (مدد يا نبي مدد) .

والاستعانة بغير الله ونداء الأموات والحلف بغير الله والحلف بالنبي ﷺ وحياة الغالي عندك وحياة عينيك :

كما يقول قائلهم : (أحلف والحب يمين) .

والنبي ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » (٣) .

ويحلفون كذلك بالأضرحة والمشاهد والقبور كقول القائل : (مقدرش

(١) رواه مسلم عن صفية بنت عبيد عن بعض أمهات المؤمنين (٥٩٣٩) .

(٢) صحيح. رواه أحمد والحاكم (ص.ج ٥٩٤٠) .

(٣) انظر الصحيحه برقم ٢٠٤٢ . ورواه أصحاب السنن.

على كدة ومقام السيدة) .

وكذلك فإن سب الدهر في الأغاني شائع ومنتشر كشتم الساعة، والزمان، والعمر، والشهر، والدهر، والزمان .

كقول القائل : [كتاب حزين كله مأسي جانا في زمان غدار قاسي].

ومن أغانيهم الفصيحة : (السح ادح امبو . .) إلى آخره .

والحاصل أن هذه الأغاني فيها ما هو مناف للدين وردة عن الإسلام وكفر بالله تعالى، وفيها ما يدعو إلى الانحلال والفجور .

وفيها ما يدعو إلى التفاهة والوقاحة .

فكيف يسمح عاقل لنفسه أو لأهل بيته أن يسمع شيئًا من هذا .

نسأل الله العافية والسلامة.

أمثلة ونماذج من كلمات الأغاني الضالة

قال الشيخ محمد صالح المنجد : (لقد كنت أظن برهة من الزمن أن كلمات الأغاني فيها خطورة كبيرة وفيها مخالفات شرعية كثيرة ولكنا لما طلبنا من بعض الإخوان أن يأتوننا بما يعرفون من كلمات الأغاني التي سمعوها فيما مضى من دهرهم وغيرهم . وبعد المراجعات (المقرفة) لبعض دواوين المغنيين واستبيانا قمنا به مع بعض الشباب التائهين تبين أن الأمر أخطر بكثير مما يتصور والتصور السابق شيء وما يطلع عليه الإنسان في البحث شيء آخر ولقد قال النبي ﷺ : « **ليس الخبر كالمعاينة** » [1] .

ولقد وجدت في كلمات الأغاني بعد الفحص والمراجعة وما جلبه هؤلاء الإخوان وجدت فيها درجات الكفر بجميع أنواعه والشرك الأكبر والأصغر والخفى وأنواع المعاصي من الكبائر والصغائر والمحادة لله عز وجل .

ولذا نعرض لكم بعضًا مما اطلعت عليه ليكون في ذلك عبرة ولنعلم جميعًا بأن قضية الأغاني ليست قضية طرب فقط مع أن الطرب بها محرم ولكنها قضية خطيرة، ومدخل من مداخل إبليس لإدخال الشرك والكفر والانحلال إلى أوساط المسلمين .

إن المسألة أخطر مما نتصور يا عباد الله . إن هذه الكلمات التي

---

(١) صحيح رواه أحمد في المسند ١ / ٢١٥ عن ابن عباس مرفوعًا . وفي لفظ (١ / ٢٧١) (ليس الخبر كالمعاينة إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت) وانظر ص . ج .

ترددها الأجيال يرددها الصغار والكبار بهذه الأشرطة المنتشرة التي هي بالملايين بين الناس ذكوراً وإناثًا تخرب في النفوس تخريبًا لا يعلم مداه إلا الله . وإني أستسمحكم وأستعذركم لذكر بعض هذه الكلمات لأن المسألة فيها أشياء عجيبة من الكفر والانحلال .

ولعلك تتصور نفسك وأنت تستمع في جو الأغنية ولكن انقل نفسك أيها المسلم وخصوصًا يا من تسمع إلى الأغاني إلى جو الكتاب والسنة لتقارن بين هذا وبين ما هو موجود في كلام الرب ورسوله .

١ـ كفر صريح :

لقد وجدنا أن في كلمات الأغاني التي يغنيها المشاهير من المغنين والمغنيات كفرًا صراحًا وردة معلنة عن دين الله تعالى .

كان مما غنوه قصيدة الشاعر النصراني : (جئت لا أعلم من أين؟ ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري) .

لقد غنوا الأغنيات ذات الأشعار التي تبين أنهم لا يعرفون سبب وجودهم في هذه الدنيا . ولا يعرفون أبعد هذا الموت بعث أو النشور أو أنه يكون هناك الإهمال والترك . .

والله يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ويقول : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون/ ١١٥ .

ولا شك أن كاتب الأغاني وملحنها والمغني لها كلهم في النار شركاء في الإثم.

وتقول قائلتهم أم كلثوم التي طرب لهـا الملايين وأعجبوا بها واستمعوا لها الساعات الطوال : (لبست ثوب العيش ولم أستشر) .

ويقول الآخر التافه الهالك : (لو كنـت أعلم خاتمتي ما كنت بدأت) .

هل هؤلاء يحيون ويموتون كما يريدون ؟ ويأتون إلى الدنيا متى أرادوا؟ وعندما يـشاءون ؟ ويفعلون مـا يشاءون ؟ أم الله هو الذي يأتـي بهم ؟ وهو الذي يحييهم ثم يميتهم ثم إليه يرجعون ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص :٦٨] .

وهؤلاء يقولون : لبسنا ثوب العيش ولم نستشر من الذي سيستشيرهم؟ وهل لهم رأي؟

ثم وجدنا في كلمات الأغاني : الصراحـة بعبادة المحبوب وأنه لأجله يعيش في هذه الدنـيا ويصرح بأنه مخلوق في الدنيا من أجـله وأنه يعيش من أجله

ويقول : (عشت ليك وعلشانك) .

وتقول : (أنا جئت إلى الدنيا من أجلك وأجل حبك) .

ويصرح بعـضهم بصرف أنواع من العـبادة إلى المحبوب أو المـحبوبة وهو التوبة فيقول قائلهم : (أتوب إلـى ربي وإني بمرة يسامحني ربي أتوب إليك ورأيت أنك كنت لي ذنبًا سألت الله ألا يغفره فغفرته) .

والله هو الذي يـغفر : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

فإليه يتاب سبحانه قال الله : ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد : ٣٠] . وتقديم حرف الجر هنا (إليه) يفيد الحصر يعني : إليه التوبة لا إلى غيره .

وهم يستخدمون ألفاظ التوحيد والدين في العلاقة بين المحبوب والمحبوبة وهكذا يعبدون ومنهم من شيعه الملايين من المسلمين مشوا في جنازته .

ويعبرون : (أحب حبيبي - وأعشق حبيبي - وأعبد حبيبي) .

وتقول القائلة : (وحبك عليَّ أكبر فريضة) .

ويقول القائل : (الله أمر لعيونك أسهر - الله أمر) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف : ٢٨] .

ويقول الآخر في أغنيته : (أنا عبدُكِ . أنا عبدُكِ) .

وهذا أحدهم يقول في حيرة على فراق المحبوب أو المحبوبة : (صبرت مثل صبر أيوب) . والآخر يقول : (أيوب ما صبر صبري) . اعتداء فاحش على رسل الله وعلى أنبيائه بل لقد حصل الاعتداء على كتاب الله لقد لحنوا آيات القرآن . لقد لحنوا سورة (إذا زلزلت) وعبثوا فيها ولعبوا . وهكذا من قصار الصور حصل التلحين والغناء لها نصا ومقاطع . وبعضهم يعلم ذلك فما بقيت حرمة في الدين وللدين إلا واعتدى عليها هؤلاء المفتون.

وحسبنا الله ونعم الوكيل


الباب الرابع
العواصم من
الشيطان

العواصم من الشيطان

أول الأسباب التي يتحصن بها العبد من الشيطان الرجيم

اعلم ـ رحمك الله ـ أن لكل داء دواء . وقد شرع الله تعالى لنا عدة أسباب بها نعتصم من الشيطان الرجيم فنرد كيده أو على الأقل نضعفه فلا نجعل له علينا سبيلا، وأن العبد إذا تفطن إلى هذه الحروز الشرعية وجاءه اليقين عليها وامتثلها علما وعملا . فإن الله تعالى سيجعل فيها الشفاء .

ومن هذه الأسباب :

١ ـ العلم : فإن الجاهل بعداوة الشيطان وخطواته ومداخله ومكائده كيف يتقي شره ؟ وكذلك من جهل شرع ربه كتابا وسنة ؟

ولذا جاء في الأثر : ((فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)) وهذا لا يصح من قول النبي ﷺ إنما يروي عن ابن عباس ٪ .

لذلك فإن الشيطان يستولى علي الجهال والعباد وسهل عليهم الوقوع في فخاخه .

ويروي : أن الشيطان جاء إلى جاهل فقال له : هل يستطيع ربك أن يدخل الدنيا كلها في بيضة ؟ قال : لا يستطيع ذلك كيف يدخل الدنيا كلها بما فيها في بيضة ؟ ثم إن الشيطان أتى عالما فقال له : هل يستطيع ربك أن يدخل الدنيا كلها في بيضة ؟ قال : نعم . قال الشيطان : كيف؟ قال العالم: يكبر هذه ويصغر هذه وهو على كل شيئ قدير . فقال الشيطان: أفلتَّ مني. وهكذا كفر الجاهل ، وآمن العالم.

ويروي كذلك : أن عابدًا جاهلاً مر على فأرة . ميتة . فرق لها

ورحمها فحملها في كمه وهو ذاهب إلى الصلاة وصلى بها . فصلى وهو حامل للنجاسة فبطلت صلاته ولا يدري المسكين .

وذكر أن إبليس لعنه الله لقى الإمام الشافعي ﷺ في طريق فقال له يا إمام: ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار ثم بعد ذلك يدخلني الجنة أو يدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فقال الشافعي - رحمه الله - : يا هذا إن كان خلقك كما تشاء أنت فقد ظلمك وإن كان قد خلقك كما يشاء هو فلا يسئل عما يفعل، وانصرف أيها الملعون فقد عرفتك .

و الحاصل أن العلم سلاح فعَّال ضد الشيطان المريد وسبب من أقوى الأسباب للوقاية منه ومن شره . فإن قال قائل: كيف ذلك؟ وقد حكى الله تعالى عن حبر من أحبار اليهود (وهو الملقب بلعام بن عوراء) قوله تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ .

فنقول إن الله تعالى قال في شأنه : ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ معنى ذلك أن الشيطان لم يتبعه إلا بعد أن انسلخ من الآيات ووالى الظلمة المشركين ضد موسى عليه السلام ومن معه من الموحدين .

وليس معنى ذلك أن العالم معصوم! كلا ! ولكننا نقول : إن العالم البصير بحلال الله وحرامه والذي على علم بخطط الشيطان ومكره يسهل عليه بإذن الله أن يجتنب كثيرًا من مكائده .

وأقرب هذا أكثر فأقول :لو أنك أيها القارئ لهذا الكتاب لم تقرأ شيئا في هذا الموضوع قبل ذلك أو قرأت شيئا غير وافٍ ولا مستقصى كما فعلنا نحن هنا بحمد الله وتوفيقه . فاسأل نفسك هل كنت على علم بهذه الأمور قبل قراءتها؟ وهل حالك الآن كحالك قبل العلم بها ؟

والله أسأل أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح .

وتذكر هنا قصة العابد من بني إسرائيل الذي بلغه أن شجرة تُعبد من دون الله فخرج لقطعها وفيها قال له الشيطان : إنك إذا قطعتها لم تقض على الشرك وأنت ضعيف . وينالك الأذى . وهذا جهل بفقه الدعوة من قصة أصحاب القرية ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ .

ومن أسباب الاعتصام من الشيطان الرجيم :

٢- اتباع السنة:

فإن العبد إذا جرد المتابعة للرسول ﷺ وهذا مضمون شهادة أن محمدًا رسول الله) وابتعد عن البدعة فقد أخذ بسبب عظيم من أسباب الاحتراز من الشيطان الرجيم . وإنما يستخف الشيطان أهل البدع ، وقد ورد عن بعض السلف قوله : إن الشيطان يلعب بأهل الأهواء كما يلعب الصبي بالكرة.

وساق ابن الجوزي بسنده عن الأعمش قال : حدثنا رجل كان يكلم الجن قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة : وأما أهل الأهواء (أهل البدع) فإنا نلعب بهم لعبا[1] .

٣- الإخلاص:

إن تحقيق الإخلاص سبيل من سبل الخلاص من الشيطان باعترافه هو حيث يقول تعالى على لسانه : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ :[الحجر : ٣٩: ٤٠].

قال بعض السلف: هو الذي يعمل ولا يحب أن يحمده الناس .

وقال آخر : المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .

وقيل : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى .

(١) تلبيس إبليس (صـ٣٧: ٣٩)

وقيل : الإخلاص صدق النية مع الله .

وقال النبي ﷺ : «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه**»[1] .

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

٤- الاستعانة بالله تعالى :

اعلم أنك لن تستطيع أن تتغلب على الشيطان إلا بإعانة الله لك وتوفيقه إياك وروي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال :فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال : ، فإن عاد ؟ قال : أجاهده قال : هذا يطول . أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدي . قال : هذا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

فإذا أردت أت تتخلص من كيد الشيطان فاستعن بخالقه يصده عنك ويحميك منه[2] .

قال بعض السلف : (لا تكن ممن يلعن إبليس علانية ويطيعه سرًّا) .

٥- تحصين الأهل والأولاد والأموال :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه» وفي رواية : (ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم. وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ

(١) رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٦) .

(٢) وقاية الإنسان (صـ٢٣٨) .

بذروة سنامه وليقل مثل ذلك) [1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا**»[2] .

وللعروس أن يصلي ركعتين بزوجته عند دخوله بها فإن ذلك حفظ لحياتهما الزوجية من كل مكروه . قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إذا أتتك امرأتك فمرها أن تصلي وراءك ركعتين وقل :اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم في. اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير وفرق بيننا إذا فرقت على خير»[3] .

وإذا أعجب الرجل بشيء من ماله وولده فليقل : (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) .

قال تعالى : ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾ [الكهف الآية : ٣٩] .

ويستحب للرجل أن يؤذن في أذن المولود - فعن أبي رافع رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة) [4].

ويستحب للرجل أيضا أن يعوذ أولاده . قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة من كل عين لامة ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما

(١) رواه أبو داود (٢/ ٢٤٩) وقال الألباني : إسناده حسن (تخريج الكلم الطيب صـ١٥١)

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٤٢ فتح)(ومسلم (١٠/ ٥ نووي)

(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني في آداب الزفاف.

(٤) رواه أبو داود (٤/ ٣٢٨) والترمذي (٣/ ٣٦) وقال حسن صحيح .

إسماعيل وإسحاق) [١].

٦ - قراءة سورة البقرة في البيت :

قراءة سورة البقرة فـي البيت من أعظم الحروز من الشـيطان كما دلت على ذلك سنة رسول الله ﷺ .

فعن أبي هرير ﷺأن رسول الله ﷺ قال : «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان**»[٢] .

قلت : وهذا حديث صريح في أن قراءة القرآن على القبور لا تجوز .

وقال ﷺ : «**اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم فـإن الشيطان لا يدخل بيتًا يقرأ فيه سورة البقرة**» [٣] .

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه**» [٤].

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «**إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة وإن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ خرج من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» [٥].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٥٨فتح) والترمذي (١/ ٢٦٧) وقال حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم (٣/ ٦٨نووي) وأحمد (٣٦٧٢) والترمذي (٤/ ٢٣٢) وقال حسن صحيح .

(٣) صحيح . رواه الحاكم ، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٢١) ، و«صحيح الجامع» (١١٧٠).

(٤) رواه أبو عبيد بسند حسن .

(٥) رواه الحاكم وصحح ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٥٨٨) .

٧- قراءة خاتمة سورة البقرة :

فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «**من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**» متفق عليه. أي: من شر ما يؤذيه . وقيل : كفتاه من قيام الليل . وعن النعمان بن بشير # قال النبي ﷺ : «**إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا تقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان**» رواه الترمذي (٤/ ٢٣٥) وقال غريب : والحاكم وصححه على شرط مسلم والطبراني عن شداد بن أوس وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٣) رجاله ثقات وقال علي رضي الله عنه ما كنت أرى أحدا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة البقرة .

٨- قراءة آية الكرسي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني النبي ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث : فقال : «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ : «**صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان**» [1].

وهي أعظم آية في كتاب الله لاشتمالها على أسماء الله الحسنى وصفاته العلى [2].

٩- قراءة المعوذات :

وهي سورة الإخلاص، والفلق، والناس .

عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيها : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ

(١) ذكره البخاري (٤/ ٤٨٧فتح) معلقا مجزوما به ووصله غيره .

(٢) الأسباب التي يعتصم بها (صـ١٩) .

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات »[1] .

وعن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا . فأدركناه فقال : قل . فلم أقل شيئا .ثم قال : قل. فلم أقل شيئا. ثم قال : قل . قلت: يا رسول الله! ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»[2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : أعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس**» [3] .

وفي رواية : «**ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون . قلت: بلى : قال: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس**» .

وعن عائشة $ أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها) [4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «**أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما**»[5].

(١) رواه البخاري (١١/ ١٢٥فتح) والترمذي (٥/ ١٣٩) .

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٣٢١) والترمذي (٤/ ٣٤٤) وقال: حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم (٦/ ٩٦ نووي) والترمذي (٤/ ٣٤٤) وقال: حسن صحيح والنسائي (٢/ ١٥٨) وذكر له ابن كثير (٤/ ٥٧٢) عشر طرق وقال: (فهذه طرق كالمتواترة) .

(٤) رواه البخاري (٩/ ٦٣ فتح) ومسلم (١٤/ ١٨٢ نووي) ومالك (٢/ ٩٤٣) .

(٥) صحيح. رواه ابن ماجه (٢/ ١١٦١) والترمذي (٣/ ٢٦٧) وقال: حسن غريب ، «صحيح الجامع» (٤٩٠٢).

والحاصل : أن للمعوذتين تأثير عجيب في الاستعاذة بالله من شر الشيطان ودفعه والتحصن منه لهذا كان يتعوذ بهما النبي ﷺ كل ليلة عند النوم وأمر أن يقرأهما دبر كل صلاة وأخبر أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثا حين يمسي وثلاثا حين يصبح كفته من كل شيء .

١٠- الاستعاذة :

والاستعاذة : هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من كل ذي شر . ومعنى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ولهذا أمر بالاستعاذة من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بطبيعته ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه) [1].

وقد أمر الله تعالى بالاستعاذه به من الشيطان الرجيم .

فقال تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ : [الأعراف: ١٩٩ : ٢٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون : ٩٦ : ٩٨].

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ : [فصلت : ٣٤ : ٣٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥) .

وقال تعـالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ :[النحل : ٩٨ : ٩٩].

وعن أبـي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أبـا ذر : تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقلت : أوللإنس شياطين ؟ قال: نعم» [1].

مواضع الاستعاذة :

وقد شرع الله تعالى الاسـتعاذة به من الشيطان الرجـيم في عدة مواضع منها ما يلي :

أولا : عند الإحساس بنزغات الشيطان ووساوسه :

قال تعالى : ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله...﴾ : [الأعراف : الآية : ٢٠٠].

وقد تقدم حديث الصحيحين : (يأتـي الشيطان أحدكم فيقول له : من خلق كـذا . من خلق كـذا . ثم يقول لـه : من خلق ربـك؟) قال ﷺ : **«فمن بلغه ذلك فليستعذ بالله ولينته»** .

ثـانـيـا : عند إرادة تلاوة الـقرآن : فيشرع للمسـلم إذا أراد التلاوة أن يستفتح بالتـعوذ بالله تعالى . ولهذا التعوذ صيغ صحـيحة منها : (أعوذ بالله من الشيطان الرجـيم) و (أعوذ بالله السميع العليم من الشـيطان الرجيم) فإن زاد : (من همزه ونفخه ونفثه) كان ذلك حسنا .

قـال الله تـعـالـى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل:٩٨].

(١) حسن لغيره. رواه النسائي هـكذا مختصرا (٢/ ٣١٩)، وأحمد مطولا (٥/ ١٧٨، ١٧٩) عن أبي أمامة (٥/ ٢٦٥)، وانظر «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

واتفق العلماء على أن الاستعاذة تكون في أول القراءة . وقيل بوجوبها وليس ذلك ببعيد وهي كالتطهير للقلب من باب (التخلية قبل التحلية) قيل : بالاستعاذة تحصل فائدة القرآن وبها أيضا تحفظ فائدته وتبقى وتحفظ وتثبت.

وقد صح أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع لقراءته كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ القرآن ورأى مثل الظلة فيها مثل المصابيح فقال ﷺ : «**تلك الملائكة**»[1] .

والشيطان ضد الملك وعدوه فأمر القارئ أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضر خاص ملائكته لأن هذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين .

وشرعت الاستعاذة هنا أيضا : لئلا يجلب الشيطان على الإنسان فيشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة مراد الله تعالى به .

ثالثا : الموضع الثالث الذي شرعت عنده الاستعاذة : عند دخول الخلاء ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : «**كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» وقد تقدم .

والخبث : بضم الباء جمع خبيث . والخبائث : جمع خبيثة . يريد ذكران الشياطين وإناثهم . فأمر الداخل للخلاء بالتعوذ بالله تعالى من ذكور الشياطين وإناثهم وقد صح عنه ﷺ قوله : إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث)[2] أي تحضرها الشياطين.

رابعا : الاستعاذة عند الدخول إلى الصلاة :

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ يصلي قال : «**الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا . أعوذ بالله من الشيطان**

(١) رواه البخاري (٩/ ٦٣فتح) مسلم (٦/ ٨٣ نووي) .

(٢) صحيح. رواه أحمد ، والنسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن زيد بن أرقم ، «صحيح الجامع» (٢٢٦٣).

الرجيم . من نفخه ونفثه وهمزه»[1].

و(نفخه) : الكبر . ونفثه : الشعر . و(همزه) الموته (الخنق، والصرع، والجنون) .

خامسا : الاستعاذة عند الوساوس في الصلاة :

فعن عثمان بن أبي العاص قال : قلت: يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال ﷺ : «**ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا . ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**» [2].

ولكن بعض الناس يقولون : إنا نتعوذ بالله من الشيطان في الصلاة ومع ذلك يظل يوسوس لنا ويشغلنا فيها ؟ والجواب : إن هذا يختلف من إنسان لآخر . فالمؤمن التقي بمجرد الاستعاذة يطرد الشيطان . قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ : [الأعراف : ٢٠١].

هؤلاء هم المتقون الذين يطردون الشيطان بمجرد الذكر أما ضعفاء الإيمان قليلوا التقوىٰ الذين شحنت قلوبهم بحب الدنيا والانشغال بها ولم يعد في قلوبهم مكان لذكر الله فلا يمكن أن يطردوا الشيطان بمجرد الاستعاذة ... كيف وقد باض الشيطان وأفرخ في قلوبهم ؟فلابد أولا من تطهيرها من قوت الشيطان ودنسه وقوت الشيطان هو حب الدنيا أرأيت لو أن إنسانا أحب امرأة وعشقها أتراه ينساها ؟ لابل يفكر فيها دائما فتراه جالسا معك بجسمه وعقله هناك كذلك عشاق الدنيا وسكارىٰ الهوىٰ لا يفارقهم ذكرها ولو كانوا

---

(١) صحيح رواه أبو داود (١/٢٠٣) وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (صـ٥٥) .

(٢) رواه مسلم (١٤/ ١٩٠) نووي . وعبد الرزاق في المصنف (٢/٤٦٩) .

أمام ربهم وخالفـهم في الصلاة لا يفيق أحدهم إلا إذا اصـطدم رأسه بجدار القبر هناك تكون الصحوة الكبرىٰ واليقظة العظمىٰ نعوذ بالله من الغفلة» [1].

سادسا : عند الغضب :

فقد استب رجلان عند النبي ﷺ حتىٰ أن أحدهما ليتمرغ أنفه من شدة الغضـب فقال النـبي ﷺ : «**إني لأعلـم كلمة لو قالـها لذهب عنه مـا يجد فقالوا: ما هي يا رسول الله ؟ قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» [2].

سابعا : عند نباح الكلاب ونهيق الحمار .

عن أبي هـريرة رضي الله عنه أن النبـي ﷺ قال : «**إذا سمعـتم نهاق الحـمير فتعـوذوا بالله من الشـيطان الرجـيم فإنهـا رأت شيطانـا . وإذا سمعتـم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فإنها رأت ملكا**» [3].

وعن جـابر رضي الله عنه : قال رسـول الله ﷺ : «**إذا سمعتم نـباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهن يرين مالا ترون**»[4] .

١١- ومن العوصم : الأذكار.

ومن أسباب الاعتصام من الشيطان : كثرة ذكر الله تعالىٰ .

قال ابن القيم ــ رحمه الله ـ : وهو من أنفع الحروز من الشيطان .

---

(١) وقاية الإنسان (صـ٢٤٣)

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٥١٩فتح) ومسلم (٦/ ١٦) نووي .

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٥٠) فتح . ومسلم (١٧/ ٤٧نووي) .

(٤) حسن رواه أبـو داود (٢/ ٢٤٩) وقال الألبانـي : إسناده حسـن صحيح (تـخريج الكـلم الطيـب صـ١٥١) وقد وفقنـي الله تعالىٰ لجـمع كتاب كامـل هو (التعوذات النـبوية) الأشياء التي استعاذ منها النبي ﷺ فهو مفيد إن شاء الله .

ففي الترمذي من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : «إن الله أمر يحيىٰ بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد يبطئ بها . فقال عيسىٰ : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها . فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم . فقال يحيىٰ : أخشىٰ إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب . فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ وقعدوا علىٰ الشرف . فقال : إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن :

أولهن أن تعبدوا الله ولا تتشركوا به شيئا وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشتري عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه داري . وهو عملي . فاعمل وأد لي فكان يؤدي إلىٰ غير سيده فأيكم يرضىٰ أن يكون عبده كذلك ؟ وإن الله أمركم بالصلاة : فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وآمركم بالصيام :فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها . وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

وآمركم بالصدقة : فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلىٰ عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدىٰ نفسه منهم .

وآمركم أن تذكروا الله: فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتىٰ أتىٰ علىٰ حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله) قال النبي ﷺ :«**وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع والطاعة – والجهاد والهجرة . والجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن ادعىٰ**

دعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم» فقال رجل : يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ . قال : «**وإن صلى وصام**»، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين عباد الله)[1] .

قال ابن القيم : (فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله . وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ . فإنه وصف الشيطان فيها بأنه الخناس والخناس: الذي إذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض وإذا غفل عن ذكر الله تعالى التقم القلب . وألقى إليه الوساوس التي هي مبادئ الشر كله فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل)[2]. اهـ

ومما يبين أيضا أن ذكر الله تعالى مما يمنع أو يضعف تسلط الشيطان على العبد ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس . وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار. فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول ؟ فقال : أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا . وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا . وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا . وإذا دهن سمى الله فأظل شعثا . فقال : ولكني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)[3].

وروى ابن أبي الدنيا عن قيس بن حجاج قال : قال شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور - أي البعير- وأنا فيك اليوم مثل العصفور . قال :

---

(١) رواه الترمذي في الأدب) الباب (٨٨) وقال: حسن غريب صحيح، ورواه أحمد بن حنبل (٥/ ٣٤٤) وقال البخاري . الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث . وصححه الألباني وغيره ، وقد أفاض ابن القيم في شرح هذا الحديث في «الوابل الصيب».

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (ج٢/٢٢٨-٢٢٩) ط. دار الخير .

(٣) وقاية الإنسان (صـ١٤٠) .

قلت: ولم ؟ قال : تذيبني بكتاب الله) [1].

وقال أحد الصحابة : (كنت رديف النبي ﷺ على حمار فعثر الحمار فقلت : تعس الشيطان . فقال لي النبي ﷺ : «**لا تقل تعس الشيطان . فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم في نفسه وقال : صرعته بقوتي . وإذا قلت : بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب**»[2] .

قلت : وذكر الله تعالى له صور كثيرة متنوعة .وكل طاعة أقبل عليها العبد مخلصا لله تعالى فهي ذكر له سبحانه .

فيدخل في هذا : تلاوة القرآن الكريم والتفكر والتدبر فيه وقد سماه الله تعالى ذكرا قال تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**﴾ ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾

ويدخل في هذا الصلاة :قال تعالى : ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ ويلحق بها سائر العبادات العملية والقلبية والقولية .

ومن ذلك الأوراد الثابتة عن النبي ﷺ أذكار الأوقات والأحوال كأذكار الصباح والمساء - وسائر الأذكار المعروفة : عند الأكل والشرب - ولبس الثياب وخلعه - وركوب الدابة - وأذكار النوم واليقظة ... إلخ .

ومن ذلك أيضا طلب العلم وتعليمه والجلوس في حلقاته وقد سمى الله تعالى العلم ذكرا ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ وقال معاذ بن جبل : (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ومذاكرته تسبيح وطلبه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة) .

---

(١) وقاية الإنسان (صـ١٤٠) .

(٢) رواه الإمام أحمد قال المنذري في الترغيب إسناده جيد . وقد تقدم.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب . وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**» [1].

وعن أبي ذر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : «**من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات . محي عنه عشر سيئات . ورفع له عشر درجات . وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه . وحرس من الشيطان .ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى**» [2].

وروى الترمذي عن عمارة بن شبيب قال: قال النبي ﷺ : «**من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات على إثر المغرب (أي بعد صلاة المغرب مباشرة) بعث الله تعالى له مسلحة يحفظونه من الشيطان حتى يصبح وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات ، ومحى عنه عشر سيئات موبقات ، وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات**» [3].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٣٨فتح) ومسلم (١٧/ ١٧نووي) ومالك (١/ ٢٠٩) .

(٢) حسن لغيره. رواه الترمذي (٥/ ١٧٧) وقال: حسن صحيح . وانظر صحيح الترغيب (ج ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢)، و«ضعيف الجامع» (٥٧٣٨).

(٣) حسن. رواه الترمذي (٥/ ٢٠٤) وقال الترمذي : لا نعرف لعمارة سماعا من النبي ﷺ وقال ابن حبان من زعم أن لعمارة من شبيب صحبة فقدوهم . التقريب (٢/ ٥٠) وبهذا يكون الحديث مرسلا .لكن رواه النسائي في (عمل اليوم والليلة) من طريقين أحدهما: هكذا والآخر: عن عمارة عن رجل من الأنصار نقل النووي عن ابن عساكر أنه قال : الثاني هو الصواب ،وبهذا يكون الحديث متصلا والله أعلم . وقد حسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٦٩) ، وانظر : «ضعيف الجامع» (٥٧٣٩).

وفوائد الذكر كثيرة [1] منها أن الذاكر يبقى على صلة بالله تعالى : ﴿فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ : [البقرة : ١٥٢] .

والشيطان إنما يريد أن يستحوذ على الإنسان ويصده عن ذكر الله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ : [المائدة الآية : ٩١].

ولما كان الذكر يريح القلوب كما قال تعالى : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ :[الرعد: ٢٨].

ولما كان الشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله لأن الذكر يحوط الإنسان ويحفظه وفي اللحظة التي يتخلى الإنسان فيها عن الذكر يسلط الله عليه الشيطان : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ : [الزخرف: ٣٦].

وإذا تسلط الشيطان على الإنسان أنساه ذكر الله ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ : [المجادلة: ١٩] .

ولذلك شرع الذكر في كل وقت وعلى كل حال .

١٢- الاستغفار :

ومن العواصم من الشيطان : المحافظة على الاستغفار . وهذه نعمة كبرى تستطيع عن طريقها تفويت الفرصة على الشيطان .

قال ﷺ : «**إن الشيطان قال: وعزتك يارب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر**

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه (الوابل الصيب) جملة كثيرة منها فراجعها .

لهم ما استغفروني» [1].

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: [النساء : الآية ١١٠].

١٣- إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس .

وهذه من أعظم الحروز والتحصينات ، وذلك لأن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم ، وينال غرضه منه من هذه الأبواب الأربعة .

أما النظر : فإن إطلاق البصر من أعظم مداخل الشيطان ولذا كان غض البصر قاصما لظهر الشيطان قاطعا لطمعه في الإنسان .

وفي الأثر : (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم أن يلقاه) [2].

وصدق من قال :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرؤ ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغيد موقوف على

وقال آخر

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

(١) رواه أحمد وغيره وإسناده حسن . صحيح الجامع (٢/ ٧٢) .

(٢) لا يصح حديثا مرفوعا فقد رواه الطبراني والحاكم عن حذيفة وابن مسعود وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي واه لكن معناه صحيح ، انظر : «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣) ، و«المستدرك» (٨/ ٢٨٠٧) ، و«الضعيفة» (٣/ ١٧٧) .

وأنـا الـذي جـلـب الـمـنـيـة طـرفـه[1]   فمـن المطـالب والقتـيل القـاتل

ولما كان البصر جارا إلى المهالك وجالبا للمخاطر فقد نهى النبي ﷺ عن إطلاقه .

فقال لعلي # :(لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى ، وليست لك الآخرة) [2].

وقال ابن مسعود :(ما من نظرة إلا للشيطان فيها مطمع) .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة . العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع . واللسان زناه الكلام .واليد زناها البطش .والرجل زناها الخطي والقلب يهوي ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[3] .

وعن جرير قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال : «**اصرف بصرك**» [4].

وأما الكلام : فقال ابن القيم : (وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها . وكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: «**وهل يكب الناس على مناخيرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟**» [5].

---

(١) الطرف : هو البصر .

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٥١) وأبو داود (٢/ ٢٤٦) ، وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٦فتح) ومسلم .

(٤) رواه مسلم (١٤/ ١٣٩) نووي وأبو داود (٢/ ٢٤٦) والترمذي (١٤/ ١٩١)وقال حسن صحيح .

(٥) صحيح. رواه الترمذي (٢٧٤٩) ، وقال : حسن صحيح. ، وأحمد (٥/ ٢٣١) ، وابن ماجه (٣٩٧٣) ، و«صحيح الجامع» (٥١٣٦).

وأكثر المعاصي إنما يولدها فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة الطعام . وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات» [1].

فاللسان هو أعظم آلة الشيطان في استهواء الإنسان .ولذا كان حفظ اللسان من أعظم تحصينات الإنسان .

ويدخل في حفظ اللسان ما يلي :

١- حفظ اللسان عن الكلام فيما لا يعني :

فإن (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) [2] (ومن صمت نجا). [3]

٢- حفظ اللسان عن فضول الكلام .

وهي الزيادة التي لا فائدة من ورائها . فإذا أدىٰ مقصوده بكلمة فذكر كلمتين فالثانية فضول .

قيل :(طوبي لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله).

وقال ابن مسعود : (أنذركم من فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته) .

٣- حفظ اللسان عن الخوض في الباطل :

كالكلام في المعاصي . مثل : حكاية أحوال النساء . ومجالس الخمر، ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء .

(١) التفسير القيم (صـ٦٢٧) .

(٢) رواه الترمذي (٣/ ٣٨٢) وهو صحيح .

(٣) رواه الطبراني بسند جيد قاله العراقي في (تخريج الأحياء) (صـ١٥٣٧) ، ورواه أحمد (٢/ ١٥٩ ، ١٧٧) ، والترمذي (٢٦٠٨) ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٧) ، و«الصحيحة» (٥٣٦).

عن بلال بن الحارث المزني : (أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه .وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**» [1].

وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث .

قال ابن مسعود : أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل .

٤- حفظ اللسان عن المراء والجدل :

فعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ :«**أنا زعيم (أي: ضامن) ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**» [2].

وقال ﷺ : «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» [3].

٥- حفظ اللسان عن الخصومة :

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «**إن أبغض الرجال عند الله الألد الخصم**»[4] .

٦- حفظ اللسان عن التقعر في الكلام .

٧- حفظ اللسان عن الفحش والتفحش .

(١) رواه الترمذي (٣/ ٢٨٤) وقال حسن صحيح ورواه مالك (٢/ ٩٨٥).

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وصححه النووي (الرياض (١/ ٤٢٠) والترمذي (٣/ ٢٤٢) بنحوه من حديث أنس .

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٣٧٨) وصححه .

(٤) رواه البخاري (٥/ ١٠٦) فتح .

٨- حفظ اللسان عن السب «سب الله، أو سب دينه ، أو رسوله ، أو المؤمنين».

٩- حفظ اللسان عن اللعن .

١٠- حفظ اللسان عن سب الأموات .

١١- حفظ اللسان عن رمي المؤمن بالكفر .

١٢- حفظ اللسان عن كثرة المزاح .

١٣- حفظ اللسان عن السخرية والاستهزاء .

١٤- حفظ اللسان عن إفشاء السر .

١٥- حفظ اللسان عن الكذب .

١٦- حفظ اللسان عن الغيبة .

١٧- حفظ اللسان عن النميمة .

١٨- حفظ اللسان عن خصلة ذي اللسانين .

١٩- حفظ اللسان عن التحدث بما كان بينك وبين زوجتك .

٢٠- حفظ اللسان عن الغناء .

٢١- حفظ اللسان عن الحلف بغير الله .

٢٢- حفظ اللسان عن الحلف بملة غير الإسلام .

٢٣- حفظ اللسان عن سب الديك .

٢٤-حفظ اللسان عن سب الدهر

٢٥-حفظ اللسان عن سب الريح

٢٦- حفظ اللسان عن سب الحمى

٢٧- حفظ اللسان عن شهادة الزور .

٢٨- حفظ اللسان عن المن بالعطية .

٢٩- حفظ اللسان عن سب النفس .

٣٠- حفظ اللسان عن اليمين الغموس (الكاذب) .

٣١- حفظ اللسان عن تسويد الفاسق والمبتدع والمنافق .

٣٢- حفظ اللسان عن النطق بواو الإشراك .

٣٣- حفظ اللسان عن قول : (مطرنا بنوء كذا ...) ونحوه .

٣٤- حفظ اللسان عن عيب الطعام .

٣٥- حفظ اللسان عن النجوىٰ .

٣٦- حفظ اللسان عن إنشاد الضالة في المسجد .

٣٧- حفظ اللسان عن طلب المدد من غير الله .

٣٨- حفظ اللسان عن الاستغاثة بغير الله [١].

وأما حفظ البطن :

فتشمل أيضا عدة أمور منها :

١- حفظ البطن عن أكل الربا .

٢- حفظ البطن عن أكل الرشوة .

٣- حفظ البطن عن أكل ثمن الكلب وكسب البغي .

(١) وقد أشبع هذه الأمور تفصيلا فضيلة الشيخ / وحيد عبد السلام بالي في كتابه (وقاية الإنسان من الجن والشيطان) ط دار البشير (صـ٢٤٩:٢٩٣) .

٤- حفظ البطن عن أكل مال اليتيم .

٥- حفظ البطن عن الشبهات .

٦- حفظ البطن عن الحرام بأنواعه .

٧- حفظ البطن عن الإمعان حتى الشبع .

وأما حفظ الفرج فيشمل عدة أمور :

١- حفظ الفرج عن الزنا .

٢- حفظ الفرج عن اللواط .

٣- حفظ الفرج عن إتيان البهيمة .

٤- حفظ الفرج من إتيان المرأة وهي حائض أو في دبرها .

٥- حفظ الفرج عن السحاق ونكاح اليد .

وأما حفظ اليد :

١- حفظ اليد عن نزغات الشيطان .

٢- حفظ اليد عن قتل المسلم .

٣- حفظ اليد عن قتل النفس .

٤- حفظ اليد عن مصافحة الأجنبية .

٥- حفظ اليد الرجل عن لبس الذهب .

٦- حفظ اليد عن اللعب بالنرد .

وأما فضول المخالطة:

فيعلم أن الناس أربعة أقسام :

القسم الأول: من مخالطته كالغذاء لا يستغني عنه في اليوم والليلة : وهم العلماء بالله وأمره ومكائد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهؤلاء في مخالطتهم الربح كله .

القسم الثاني : من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحا فلا حاجة لك في خلطته وهو من لا يستغني عن مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من .

القسم الثالث : وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواع وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن وهو لا تربح عليه في دين ولا دنيا .ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف .

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربا عليك فإذا فارقك سكن الألم ومنهم : من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها . بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على... قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس .وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض .

ويذكر عن الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه قال : ما جلس إلى جانبي ثقيل

إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر .

قال ابن القيم : ورأيت يوما عند شيخنا (يقصد ابن تيمية) ـ قدس الله روحه ـ رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله (يعني يتحمله) وقد ضعفت القوى عن حمله فالتفت إلي وقال : مجالسة الثقيل حمى الربع ثم قال : لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة أوكما قال .

وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضية ولازمة ،ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلي بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا .

القسم الرابع : من مخالطة الهلاك كله ومخالطته بمنزلة آكل السم فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء ، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فيجعلون البدعة سنة والمعروف منكرا ، والمنكر معروفا . فإن جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء والصالحين وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين .

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين .

وإن أمرت بما أمر الله ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله عن المنكر قالوا : أنت من المفتنين.

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين.

وإن انقطعت إلى الله وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا : أنت من المبلسين .

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله تعالى من الخاسرين وعندهم من المنافقين. فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله ورسوله بإغضابهم وأن لا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالي بذمهم ولا بغضبهم فإنه عين كمالك .

كما قيل :

وإن أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم وهي : فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التي تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم وفتح عليها أبواب الرحمة وانغمر ظاهره وباطنه ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء . فعند الممات يحمد القوم التقي و(عند الصباح يحمد القوم السري) والله الموفق لارب غيره ولا إله سواه) [١] .

وأخيرًا ما أجمل قول ابن القيم :

(إن فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت من عداوة وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهي القلوب لا تزول . ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة)[٢] .

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (ج٢/ ٢٣٢-٢٣٣) ط دار الخير .

(٢) السابق (صـ٢٣٢) .



نسأل الله حسنها

وبعد هذا الطواف في هذا البحث القيم الذي وفقني الله تعالى لجمعه وترتيبه في فضح الشيطان وتحذير إخواني المسلمين منه . حيث تحدثنا عن عداوته لبني الإنسان وعن خطواته وعن مداخله وعن مكائده حديثا مستفيضا جامعًا للشتات ثم ختمت ذلك كله بخاتمة منطقية وهي بيان سبل الوقاية منه وأسباب الاعتصام من مكره وكيده وأسأل الله تعالى أن أكون موفقا فيما جمعت ورتبت . وأن أكون مأجورا من الله لأني إلى الخير قصدت .وعلى كل من نظر فيه أن يكون كالنحلة تنتقل من غصن إلى غصن ومن فن إلى فنن ومن زهرة إلى زهرة ثم تخرج عسلا شهيا حلو المذاق (فيه شفاء للناس) ولا يكون كالذبابة التي لا تقع إلا على كل خبيث قذر .

وقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه قرأ عليه تلميذه المزني كتاب الرسالة أربعين مرة في كل مرة يجد أخطاء فيصلحها ثم قال : هيه . أبى الله أن يكون كتابا كاملا إلا كتابه ثم قرأ قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ .

وقال الشافعي رحمه الله : لقد ألفت هذه الكتب ولم آل جهدا فيها ولابد أن يوجد فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ .فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب أو السنة[1] فقد رجعت عنه أخرجه عبد الله بن شاكر في مناقبه .

(١) وهذا يدل على أن المقصود بالأخطاء المذكورة آنفا ليست النسخية (المطبعية) ولكن المقصود بها الأخطاء في المعاني من مخالفة الكتاب والسنة عن جهل أو سوء تأويل=

ولبعضهم :

كم من كتاب تصفحته وقلت في نفسي: أصلحته
حتى إذا طالعته ثانيا وجدت تصحيفا فصححته

وقال العماد الأصفهاني : لا يؤلف أحد كتابا في يومه إلا وقال في غده: لو غير هذا الكتاب أحسن . ولو حذف هذا الكتاب أجمل .ولو أضيف هذا الكتاب يستحسن .

وفي النهاية : أوصيك أخا الإسلام بأن تتسلح في حربك مع الشيطان .وأن تأخذ الحذر والحيطة منه . فإن هذا العدو الخبيث الماكر حريص على ضلال بني آدم .

وله من وراء ذلك هدفان رئيسان أحدهما بعيد ، والآخر قريب .

أما الهدف البعيد : فهو أن يلقى الإنسان في الجحيم ويحرمه من جنات النعيم قال تعالى : ﴿...إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر الآية :٦] .

وأما الأهداف القريبة فهي متعددة : منها إيقاع العباد في الشرك والكفر . فمن نجا من ذلك أوقعه في الذنوب والكبائر والصغائر - ومنها صده للعباد عن طاعة الله . ومنها إفساد الطاعة على المطيعين . وهو يتخذ من المداخل والوسائل ما يتمكن به من إهلاك المرئ .

فاجتهد في تعلم حيله . فبمقدار علمنا بهذا العدو وأهدافه ووسائله وسبله في إضلالنا تكون نجاتنا منه .

وأوصيك أيضا : بالتزام الكتاب والسنة الصحيحة . فهما أعظم سبيل للحماية من الشيطان الرجيم وقد جاءا بالصراط المستقيم . والشيطان إنما

= أو نحو ذلك والله أعلم .

يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط فإنه قال لربه : ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : [الأنعام : الآية ١٥٣] .

وقد شرح النبي ﷺ هذه الآية وبينها فقد خط ﷺ خطا بيده ثم قال : «**هذا سبيل الله مستقيما**» وخط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه . ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...﴾ »[١]. فاتباع ما جاءنا من عند الله من عقائد وأقوال وعبادات وتشريعات ، وترك كل ما نهى عنه يجعل العبد في حرز من الشيطان.

وأخيرا : لا فرار من الله إلا إليه . ولا احتماء من الشيطان إلا بالله تعالى . لذا فإن خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه والاستعاذة الدائمة به من الشيطان فإنه سبحانه القادر على أن يجير عبده ويخلصه من الشيطان وكيده .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

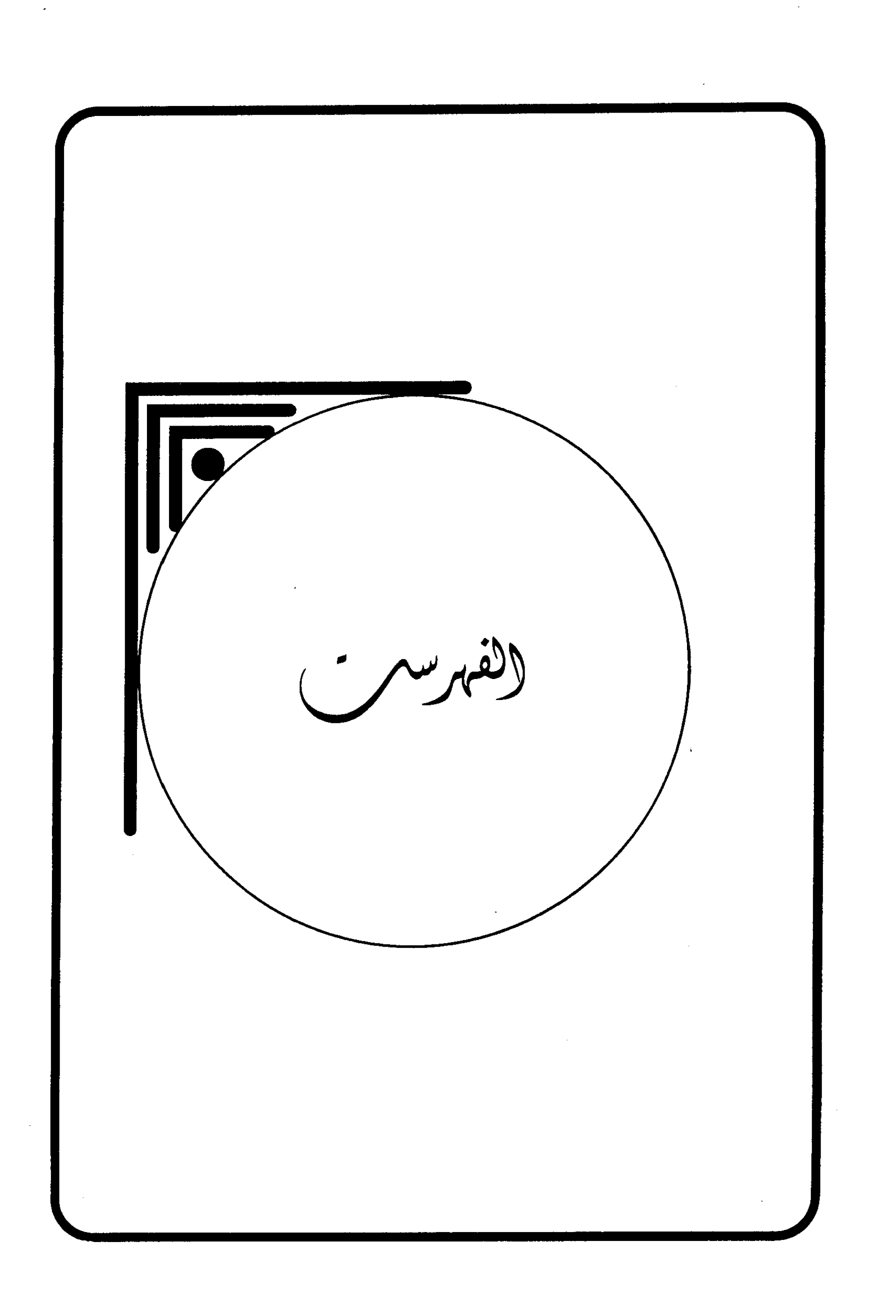
وكتبه الفقير إلى عفو ربه ورضاه
محمد بن أحمد بن محمد عيسى

الشبانات - مركز الزقازيق - شرقية - مصر
وكان خاتمة مراجعته للطبع
يوم السبت الموافق ١٤ شوال ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١/١٢/٢٩ م

---

(١) **صحيح** .

رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه في «المستدرك» (٩٣٨) ، (٣٢٤١) ، ووافقه الذهبي.



الفهرست

المقدمة	٣
الباب الأول	٥
الفصل الأول: حقيقة الشيطان وعداوته لبني الإنسان	٧
المبحث الأول: حقيقة الشيطان	٩
المبحث الثاني: عداوة الشيطان لبني الإنسان	١٧
الفصل الثاني: خطوات الشيطان: أو مراتب الإغواء	٢١
الخطوة الأولى: الكفر والشرك	٢٣
الخطوة الثانية: البدعة	٣٤
الخطوة الثالثة: الكبائر	٣٥
الخطوة الرابعة: الصغائر	٣٦
الخطوة الخامسة: الشغل بالمباحات	٣٧
الخطوة السادسة: الشغل بالمفضول عن الفاضل	٣٩
الخطوة السابعة: تسليط الناس عليه	٣٩
الباب الثاني: مداخل الشيطان: وفيه فصلان:	٤١
تمهيد: تسليط الشيطان على القلوب	٤٣
الفصل الأول: من مداخل الشيطان:	٤٧
١ - الجهل	٤٩
٢ - الغضب	٥١
٣ - حب الدنيا	٥٦

٤ ـ طول الأمل	٥٧
٥ ـ الحرص	٥٩
٦ ـ البخل	٦٠
٧ ـ الكبر والغرور	٦٢
٨ ـ حب المدح	٦٣
٩ ـ الرياء	٦٥
١٠ ـ العجب	٦٧
١١ ـ العجلة وترك التثبت	٧٠
١٢ ـ الشبع من الطعام	٧١
١٣ ـ التكاسل عن الطاعات وارتكاب المحرمات	٧٢
١٤ ـ الرفيق السيء	٧٣
١٥ ـ الشهوة	٧٣
١٦ ـ مداخل أخرى «الجزع والهلع ـ اتباع الهوى ـ سوء الظن بالمسلمين»	٧٤
الفصل الثاني : كيف تسد مداخل الشيطان؟	٧٧
الباب الثالث: مكائد الشيطان لبني الإنسان	٨٣
تمهيد : عظم كيد الشيطان ومكائده للنبي ﷺ ودعوته صور من مكائد الشيطان لبني الإنسان	٨٥
١ ـ ملازمته الدائمة للعبد: «عند الجماع ـ عند الولادة ـ عقده على القافية ـ بوله في أذن الإنسان ـ عدم	

مفارقته للإنسان في طعامه ، وشرابه ، ومبيته،
يبيت على خيشوم العبد». ٩٣
٢ ـ الحسد ١٠١
٣ ـ الصرع والمس الشيطاني ١٠٢
٤ ـ السهو في الصلاة ١٠٥
٥ ـ محاولة إفساد عبادة العبد ١٠٦
٦ ـ التبرج والسفور ١٠٩
٧ ـ إيقاع العباد في الشرك والكفر والتشكيك في
التوحيد ١١٢
٨ ـ تنغيص النوم وتحزين المسلم ١١٣
٩ ـ الضحك من المتثائب ١١٥
١٠ ـ التفنن في إفساد الطاعة على الطائعين ١١٦
١١ ـ بعث جنوده لفتنة الناس وإضلالهم ١١٦
١٢ ـ إنساء العبد الخير ١١٧
١٣ ـ إشعال العداوة بين الناس ١١٩
١٤ ـ ترصده الدائم للعبد ١٢١
١٥ ـ تزيين الباطل ١٢٤
١٦ ـ التنفير من الحق وأهله ١٢٦
١٧ ـ دخوله إلى النفس من أحب الأبواب إليها ١٢٧
١٨ ـ التدرج في الإضلال ١٣٢

١٩ ـ الصد عن الحق ١٣٦
٢٠ ـ التظاهر بالنصح للإنسان ١٣٧
٢١ ـ الاستعانة على العبد بشياطين الإنس ١٤٠
٢٢ ـ الوسوسة ١٤٢
٢٣ ـ فتنة النساء ١٤٥
٢٤ ـ بث الخوف عند الإنسان ١٥٢
٢٥ ـ أنه لص سارق ١٥٥
٢٦ ـ أنه يخذل أتباعه أحوج ما يكونوا إليه ١٥٦
٢٧ ـ يخرب البيوت ويفرق بين الأحبة ١٥٧
٢٨ ـ فضح العبد ١٥٩
٢٩ ـ ترويج الشائعات الباطلة ضد المؤمنين ١٦٠
٣٠ ـ التصوف ١٦١
٣١ ـ مكيدة التحليل «زواج المحلل» ١٧١
٣٢ ـ تغيير خلق الله ١٨٠
٣٣ ـ عبادة القبور ١٨٣
٣٤ ـ العشق ١٩٥
٣٥ ـ الأغاني والموسيقى ٢٠٥
ـ الأدلة من القرآن والسنة على تحريم الغناء والموسيقى ٢٠٦

- الآثار عن الصحابة ومن بعدهم في تحريم الغناء ٢٢٣

- مذاهب الفقهاء في تحريم الغناء ٢٢٥

- ذكر الإجماع على تحريم الغناء وآلات الطرب ٢٣٢

- أسماء الغناء ٢٣٤

- عقوبة سماع الغناء والموسيقى ٢٣٨

- كلمات الأغاني في ميزان الشريعة ٢٤٣

- أمثلة ونماذج من كلمات الأغاني الضالة ٢٥١

الباب الرابع : العواصم من الشيطان: ٢٥٧

«العلم - اتباع السنة - الإخلاص - الاستعانة بالله تعالى - تحصين الأهل والأولاد والأموال - قراءة سورة البقرة في البيت - قراءة خاتمة سورة البقرة - قراءة آية الكرسي - قراءة المعوذات - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم - الأذكار - الاستغفار - إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس»

الخاتمة ٢٨٥

الفهرست ٢٨٩